مركز البحوث العربية
للدراسات العربية والأفريقية والتوثيق

لجنة توثيق تاريخ الحركة
الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر

شهادات ورؤى

الجزء الرابع

أديب ديمترى   أمينة رشيد   بهيج نصار
جمال البراد   حمزة البسيونى   شحاتة عبد الحليم
فؤاد مصطفى   متولى السلماوى   محمد شريف
معروف عبد الحميد   نبيل قرنفلى

تقديم
د. عاصم الدسوقى

إهـــــــداء ٢٠٠٦

المرحوم / يوسف درويش

القاهرة

من تاريخ الحركة الشيوعية في مصر
شهادات ورؤى

اسم الكتـــاب : من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر : شهادات ورؤى – ج ٤
المـــــؤلــــــف : مجموعة من المؤلفين
الـنـاشـــــــــر : مركز البحوث العربية بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥ .
عنوان المـركـــز : ٨/١٠ ش متحف المنيل – منيل الروضة
تليفـون وفـاكس : ٣٦٢٠٥١١
E.mail : arc@ie-eg.com
الجمع والتوضيب : هـبـة حـمـدي
رقـــم الإيـــداع : ١٣١٣٠ / ٢٠٠٠
الـتـرقـيم الـدولى : ISBN : 977-5347-26-2

الطبعة الأولـى

٢٠٠٠

مركز البحوث العربية
للدراسات العربية والأفريقية والتوثيق

لجنة توثيق تاريخ الحركة
الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر



الجزء الرابع

أديب ديمتري | أمينة رشيد | بهيج نصار
جمال البراد | حمزة البسيوني | شحاتة عبد الحليم
فؤاد مصطفى | متولى السلماوى | محمد شريف
معروف عبد الحميد | نبيل قرنفلى

تقديم
د. عاصم الدسوقى

المحتويات

تصدير

د. عاصم الدسوقى

هذا هو الجزء الرابع من شهادات ورؤى رفاق الحركة الشيوعية المصرية بمختلف فصائلها التى تقوم على إعدادها "لجنة توثيق الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥".

وليست هناك أهمية معينة أو وضعية خاصة تميز الشهادات التى صدرت فى الجزء الأول عن الشهادات التى صدرت فى الأجزاء التالية وتصدر تباعا فيما بعد كما تأمل اللجنة، ذلك أن هذا الترتيب فرضته ظروف إعداد الشهادات بمعرفة أصحابها. وقد لا يعلم القارىء مدى المعاناة التى تواجهها اللجنة فى السعى وراء الرفاق لتشجيعهم على تسجيل شهاداتهم للتاريخ ولإجلاء ما يحيط بالحركة من غموض بسبب تبدد الوثائق، وسيطرة وسائل الإعلام البورجوازية على أذهان الناس فى النظر إلى كل ما هو شيوعى، والخلط بين انهيار حكم الأحزاب الشيوعية فى أوربا الشرقية وبين فكرة العدالة الاجتماعية التى حملتها تلك الأحزاب على عاتقها وعملت على التبشير بإقرارها.

ومجموعة الشهادات التى تنشر فى هذا الجزء تمثل رؤى أجيال مختلفة العمر ابتداء من الذين ولدوا فى أول العشرينيات وانتهاء بالذين ولدوا فى نهاية الثلاثينيات، لكن كلاً منهم ارتبط بفصائل الحركة وهو فى العشرينيات من العمر شأن الغالبية العظمى لعناصر اليسار. وتتنوع درجة تعليمهم من التعليم المتوسط إلى التعليم الجامعى وفى مختلف فروع وتخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الأساسية والتطبيقية. كما تتراوح أصولهم الاجتماعية بين شرائح البورجوازية الصغيرة والمتوسطة إلى الأرستقراطية المالية والعقارية؛ مما

يبدد فكرة الربط العشوائى المطلق بين الوضع الطبقى للإنسان وبين انتمائه السياسى وتوجهاته الفكرية، فليس شرطا فى النهاية أن يكون البورجوازى فى زمرة الرأسماليين فكريا وسياسيا. لكن هؤلاء جميعا وغيرهم استقروا فى منطقة اليسار بعد جولات متعددة اقتربوا فيها من مختلف التجمعات السياسية القائمة آنذاك، سواء التجمعات الفاشية التى التحفت برداء الدين مثل جماعة الإخوان المسلمين ومصر الفتاة أو التجمعات التى أخذت صفة ليبرالية.

وفى هذه الشهادات معلومات تؤكد بعض ما كتب عن فصائل الحركة الشيوعية، وأخرى جديدة تعكس التجربة الفردية، وثالثة عن طبيعة العلاقات التنظيمية الصارمة والمتشددة داخل الحركة، ورابعة عن تأثير قيادات بعض التنظيمات على توجيه الخط السياسى للتنظيم وخاصة فيما يتعلق بالتحول من وصف حركة الجيش بالفاشية إلى وصفها بالوطنية، وابتداع نهج الطريق اللارأسمالى لتحقيق الاشتراكية لتفسير إجراءات التأميم، وتفسيرات لافتة لمساندة عبد الناصر للأجنحة اليمينية العسكرية فى ثورات التحرر الوطنى. وبعض الشهادات تبين أن الموقف من حركة يوليو ١٩٥٢ كان أحد أسباب انقسام الحركة الشيوعية ثم ذوبانها فيما بعد مع حل المنظمات الشيوعية عام ١٩٦٥ .وفى الشهادات بعض المراجعات حول لماذا كان الإصرار على أن يكون حل الحزب الشيرعى قرارا جماعيا وليس بالأغلبية، ولمصلحة من كان قرار الحل.. وأيهما كان أفضل.. تحالف اليسار مع البورجوازية العسكرية كما عبرت عنه منظمة حدتو، أم التحالف مع الطليعة الوفدية التى تمثل بورجوازية الملاك كما عبرت عنه منظمة طليعة العمال، وجدل آخر حول وضع اليهود فى الحركة الشيوعية بين الوطنية والأممية.

وتلفت بعض الشهادات النظر إلى خطورة الاعتماد على محاضر التحقيق مع المعتقلين الشيوعيين فى كتابة تاريخ الحركة حين تذكر أن المحقق كان يكتب كلاما لم يرد على لسان المعتقل مما يثير إشكالية الاعتماد على المصدر الواحد مهما كانت قيمته الرسمية.

وهكذا فإن المعلومات التى حفلت بها تلك الشهادات وغيرها مما سبق نشره، وما سوف ينشر فيما بعد، تؤكد أن تاريخ الحركة الشيوعية محيط بلا شواطىء وقاع بلا قرار، والإحاطة

به عملية مستمرة.

وأخيرا ..تحية إلى روح المناضل نجاتى عبد المجيد أحد الأعضاء الأساسيين فى لجنة التوثيق الذى رحل دون أن يشهد ثمار جهده فى إعداد هذا الجزء، ودون أن يحتفى به مع رفاق نضاله، ودون أن نسعد نحن بملاحظاته.. وعزاؤنا أن التوثيق مستمر، وهو ما كان يحرص عليه أشد الحرص ويتعجل الانتهاء منه، ولم يكن يدرك أن طائر الموت يحوم حول روحه الطاهرة.

شهادة

أديب ديمتري

البيانات الشخصية

الاســـــــــــــم : أديب ديمترى بولس

محل وتاريخ الميلاد : ١٩٢٢/٧/٧ - أرمنت، مركز الأقصر

المـــــؤهـــــلات : ليسانس فى الآداب قسم الفلسفة سنة ١٩٤٣.

دبلوم معهد التربية العالى سنة ١٩٤٥.

دبلوم خاص فى التربية سنة ١٩٥٦.

المـــــهـــــنـــة : مدرس الفلسفة بالخديوية الثانوية سنوات ٤٦-٥٢.

مدرس للتربية وعلم النفس بمعاهد المعلمين الخاصة (معهد بورسعيد ثم معهد الزيتون)

فترة السجن والاعتقال : اعتقلت سنة ١٩٤٨ حتى ٢١ فبراير ١٩٥٠، ثم من منتصف مارس سنة ١٩٥٢ حتى ٣٠ يوليو ١٩٥٢، ثم من ١٨ نوفمبر ١٩٥٢ حتى ابريل ١٩٥٦، ثم من يناير سنة ١٩٥٩ حتى إبريل سنة ١٩٦٤.

بيانات عائلية :

من أسرة قبطية، وحسب ما يرويه والدى كانت تقطن فى الأصل فى قرية الضبعة غرب النيل بالأقصر، وكانت الأسرة كلها بالنظام الأبوى تعيش كلها فى دوار واحد، الآباء والابناء والأحفاد، الأزواج والزوجات، الجميع يشاركون فى حياة واحدة . والدوار تحده بوابة تغلق على الجميع بعد العودة من العمل فى الحقول. فقد كانت الأسرة تملك أرضا وتزرعها، حوالى ٥٠ فدانا على ما يرويه والدى. وخلال الحرب الأولى، مع ارتفاع أسعار القطن اغتنى كبيرها كمزارع وأصبح يملك بعدها (٥٠٠٠) فدان وحصل على لقب الباشوية (بولس باشا حنا) ولكن الأسرة حافظت على ارتباطها الأبوى.

رحلت الأسرة وراء أولادها طلبا للتعليم على عادة وتقاليد الأسر القبطية التى كانت ترحل إلى حيث توجد المدارس. فانتقلت من الضبعة إلى الأقصر، ولكنها حافظت على نفس الروابط العائلية. فبدلا من الدوار الواحد الذى تحده البوابة أصبح أفرادها كل يسكن مع زوجته وأولاده فى بيت خاص ولكن يجمعهم جميعاً شارع واحد يكاد مخرجه يشبه البوابة القديمة

فى الضيعة، ويطلق على هذا التجمع من الفيلات أو البيوت الصغيرة اسم «الساحة». ابن الباشا وبناته وأحفاده يسكنون نفس الساحة، ومعهم أولاد العم والخال.. الخ. ويجتمعون فى «العصارى» الجميع يثرثرون أما الباشا فقد بنى لنفسه قصراً على النيل فى الأقصر.

فى هذا الجو الأبوى والأسرة الكبيرة المترابطة كانت نشأتى الأولى.

وكان زوج خالتى قنصل إمبراطورية النمسا والمجر فى الأقصر، على عادة الدول الأجنبية فى عهد الحماية، باختيار قناصل من أهل البلد، وكانت الأقصر فى ذلك الزمان مقصد الأسر المالكة والنبالة الأوربية لآثارها وجوها... ولم تكن السياحة بعد شعبية.

وفى بيت خالتى هذا عشت فى بداية حياتى المدرسية فى «التحضيرى» وهو ما يعادل روضة الأطفال. ثم السنة الأولى الابتدائية بمدرسة الامريكان بالاقصر. وأذكر قروانة كبيرة كانت تبس فيها الردة للكتاكيت، وكانت تستهوينى بألوانها ورسومها الزاهية على الوجه الآخر. وفهمت حين كبرت أن هذه القراونة كانت شعار امبراطورية النمسا والمجر، يعلقها القنصل على باب بيته الذى يكاد يكون قصراً صغيراً حوله حديقة واسعة وساقية تروى الجنينة. وعندما مات القنصل قبل مولدى وانهارت الامبراطورية تحول شعار الإمبراطورية إلى قروانة لطعام الكتاكيت!

وكان والدى ووالدتى ابنى عم وكان والدى يعمل ناظر معاون محطة بمحطة الأقصر قبل مولدى، ثم أصبح ناظراً لمحطة أرمنت حيث ولدت ونشأت حتى سن الحادية عشرة. ولكننى لضرورات الدراسة كنت أعيش مع إخوتى وأخواتى فى هذا البيت الكبير خلال العام الدراسى حيث لم يكن بأرمنت سوى المدرسة الأولية.

واشتغل شباب الأسرة بالوظائف الحكومية (الميرى) وفى الأغلب فى الوظائف التى تعمد الانجليز تخصيصها للأقباط مثل السكك الحديدية والبريد والمالية.. وغيرها.. وكانت مؤهلات الآباء تقف تحت الابتدائية أو ساقط ابتدائية، وكان هذا مؤهلاً للوظيفة، أو الكفاءة أو ساقط كفاءة .. وقلما حصل واحد منهم على البكالوريا لعدم توفر المدارس الثانوية فى مدن الصعيد (الجوانى).

ومع انتشار التعليم انتقلت هذه الأسرة الأبوية بكاملها الواحد وراء الآخر بالطبع وراء أولادهم إلى القاهرة حيث الجامعة. والتحق الجيل السابق على جيلنا بالجامعة، ولكن كان اللافت أن هذه الأسرة عندما انتقلت إلى القاهرة سكنت بشبرا، فى بيوت للإيجار فى شوارع

تكاد تكون متلاصقة، فالعائلة رحلت إلى العاصمة ولكنها حافظت على نفس الترابط والتلاصق حتى في السكن.. أما الباشا فقد بنى قصراً في العجوزة.

وظل جيلنا على نفس الترابط.. أولاد العم والخال، والخالة والخالات الخ. ندور داخل نطاق العائلة، ويتزوج جيلنا من داخل العائلة نفسها، ماعداي. وبعد الثورة، طبق الإصلاح الزراعى على ابن الباشا وأحفاده، وصودرت مئات الفدادين من أرضهم. ولكن ما أذكره أن أحفاد الباشا وكانوا من جيلى وسنى، وبعد أن عرفوا أننى شيوعى، حسبونى على عبد الناصر عدوهم، ومع ذلك ظلت نفس علاقات المودة الأسرية، فقد تغلبت على الحقد الطبقى. ولا يزال من يعيش من جيلنا سواء فى مصر الجديدة أو الدقى على نفس الترابط الأسرى والعلاقات الحميمة.. وقد هاجر الكثير منهم إلى امريكا وكندا واستراليا، ومن ثم فقد تقطعت هذه العلاقات الأبوية الحميمية في جيل أولادنا، ولكن ظل هناك خيط من الترابط والتآزر هو البقية الباقية من التراث الأبوى .. ولعله الآن فى طريق الاندثار فى عصر الانفتاح.

حرصت أن أروى هذه التفاصيل حتى أقدم صورة لمصر فى جيل آبائنا الذين وعينا عليهم وفى جيلنا، منذ أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين من بدايته .. وحتى يومنا هذا.

وأحب أن أضيف لاستكمال الصورة حياتى فى قريتى أرمنت التى ولدت فيها وكان والدى كما سبق وذكرت ناظر المحطة فيها. فقد كان الأفندى الوحيد فى القرية، أصدقاؤه العمدة ومشايخ البلد وناظر المدرسة الأولية المعمم، وكان ناظراً ومدرسًا وحيداً بالمدرسة يدرس لمختلف الصفوف. وكان بجوارنا فى قرية أرمنت، نجع النصارى، الذى يسكنه فلاحون ورعاة وحمالون ومراكبية وكذلك صيادون عندما يتحول النجع إلى جزيرة فى وسط مياه الحياض أثناء الفيضان.

وكانت والدتى تتزاور مع فلاحى النجع، وأجلس معهم على الحصير ويثرثرون، وكنت أسعد بزيارتهم أو زياراتهن، إلا واحدة، أذكر اسمها «سفينة»، كلما تحضر كانت تمسك بقطة من القطط التى كنت أحبها، وتدفع بها إلى شوال تحمله معها وتعلق والدتى : «مسكينة لا تذوق اللحم» .. وكان من عادة والدى دعوة العمدة ومشايخ البلد وناظر المدرسة الأولية وراعى كنيسة «دير القديس» فى الصحراء على أطراف القرية فى أول أيام رمضان يتناولون الافطار، وكانوا هم يدعوننا فى الأعياد وعند العودة من الحج، ولايزال طعم لحم الجمل فى فمى، وكنت لا أقوى على قضمه فى طفولتى. كما كنت أزور مع والدى الموالد التى تقام فى القرية أو حولها وأسعد

بالمراجيح والطراطير وملابس أطفال الفلاحين وطهورهم.

كان أقباط القرية ومسلموها نسيجاً واحداً بالفعل، نسج خيوطه عبر التاريخ نساج عبقري. كنت أشم رائحة المودة والمشاركة فى الأفراح والمياتم، دون أن أعيها.. وقد تنقلت خلال طفولتى المبكرة بين الأقصر وقنا وأسوان، وكان نفس الإحساس.. وغادرت الصعيد سنة ١٩٣٧.

تعليمى :

التحقت بالمدرسة الأولية بأرمنت، وكان ناظرها المعمم هو مدرسها الوحيد يعلم كل الصفوف ، والتحقت فى السنة الأولى الابتدائية بمدرسة الأمريكان فى الأقصر وأقمت مع إخوتى للدراسة فى بيت خالتى فى المنزل الذى سبق وصفه، ثم انتقلت إلى أسوان فى السنة الثانية الابتدائية وأقمت عند عمى، ثم انتقلت فى الثالثة الابتدائية إلى مدرسة إسنا الأميرية عندما عمل والدى ناظرا لمحطتها، والرابعة الابتدائية كانت فى أسوان الأبتدائية الإميرية بعد أن نقل والدى ناظرا لمحطة أسوان.

واذكر أنه فى امتحان الابتدائية سنة ١٩٣٤ كان موضوع الامتحان فى اللغة العربية (الإنشاء)، محادثة بين قطين أحدهما سمين يعيش حبيسًا فى بيت ولكنه يشبع، والآخر ضامر يعيش حراً فى الشارع.. واخترت الدفاع عن القط الضامر الحر.. وطالع المراقب فى الامتحان ما أكتب وكان يعرف والدى ، وذهب يعبر عن إعجابه بما كتبت لوالدى، وبالفعل حصلت على ٤٠ درجة من ٥٠ فى اللغة العربية.

وفى الأولى الثانوية، انتقلت إلى مدرسة شبرا الثانوية سنة ٣٤-١٩٣٥ وأقمت عند عمى مع إخوتى فى القاهرة. لأن اسوان لم يكن بها مدرسة ثانوية أميرية. وفى شبرا الثانوية كان ناظرها ابراهيم تكلا بك، وكان مرهوب الجانب من الطلبة، كما كان آخر ناظر مدرسة ثانوية أميرية من الاقباط، وبعدها أصبحت نظارة المدارس الثانوية محرمة على الأقباط، إلى أن جاء طه حسين فى وزارة الوفد الأخيرة سنة ١٩٥٠، وعمد إلى تعيين اثنين أو ثلاثة من الأقباط فى أكبر مدارس القاهرة الثانوية، وكان منها المدرسة الخديوية، وهى المعروفة بأنها فى حى إسلامى ولايكاد يتجاوز عدد التلاميذ الأقباط فيها عدد أصابع اليد الواحدة، وكانت تضم اكثر من ألفى طالب. وكنت حينذاك مدرساً للفلسفة فيها. وكان الطلبة الإخوان قوة بها حيث كان مركز الارشاد يقع خلف الخديوية فى نفس مبنى قسم الدرب الاحمر حاليًا، ولم يكتب

الاخوان المسلمون خيراً، وكان أن هجموا على ناظر المدرسة الجديد القبطى بالأسياخ الحديدية وتصدى لهم المدرسون المسلمون والأقباط والطلبة الوفديون والشيوعيون، وأنقذوا الناظر القبطى من أسياخهم.

فى شبرا الثانوية، شهدت أول إضراب ومظاهرات وطنية للطلبة، وكان عام ١٩٣٥ حافلا بالصدامات بين الحركة الوطنية، وفى طليعتها طلبة الجامعة والمدارس الثانوية، وكانت كلها مسيسة.

وفى الثانية الثانوية انتقلت إلى مدرسة الأقباط الثانوية فى أسوان، لأن والدى عجز عن تحمل مصاريف ثلاثة من أبنائه فى القاهرة، رغم أنهم يقيمون فى منزل عمهم. ثم افتتحت فصول ثانوية بالمدرسة الابتدائية الأميرية بأسوان حتى الثالثة الثانوية فانتقلت إليها .. وفى مدرسة الأقباط الثانوية بأسوان شهدت المظاهر الوطنية الثانية. وأذكر أنها كانت ضد تصريحات لوزير الخارجية البريطانى هور، وكانت تهتف «يسقط هور ابن التور» وكانت أسوان مدينة مسيسة تماماً، وقلعة من قلاع الوفد. أذكر بائعة الحلوى أمام المدرسة الابتدائية الخالة أمينة تجلس أمام صندوقها على الأرض ونشترى منها الحلوى بمليم، ويوما رأيتها تهرع فجأة وتترك صندوقها بما فيه من حلوى وتجرى إلى شارع البحر (النيل) تهتف عاش الوفد، عاش النحاس، ويبدو أنه كان فى زيارة المدينة ورأت موكبه فانطلقت تهتف. كما أذكر وأنا فى الثانية الثانوية بنفس المدرسة عندما أصبحت ثانوية، أن كان هناك طالبا متحمسًا لمصر الفتاة ويهاجم الوفد بشدة، وكنت أتصدى له، وأسفه من كلامه .. وكان الصراع وقتها بين القمصان الزرق والسود، عنيفًا ممتداً من القاهرة إلى أسوان. كما أذكر فى دروس التربية الوطنية أن سأل المدرس عن معنى «الحرية» ورفعت إصبعى وأجبت، وكان أن استحسن المدرس كلامى، وفى آخر العام حصلت على (٢٠) درجة من (٢٠) فى التربية الوطنية.

قضيت فى مدينة أسوان خمس سنوات، تمت فيها الصياغة الأولى لمشاعرى الوطنية الملتهبة... أثناء حرب الحبشة، كما كنا نسميها فى ذلك الحين .. وغزو إيطاليا الفاشية للحبشة وكان قتال الأحباش بأسلحتهم البدائية، ودفاعهم عن وطنهم.. مما أثار موجة من الحماس فى المدينة بأكلمها .. كانت تقدم مسرحيات مدرسية بدائية تشيد بالأوطان والدفاع عنها، وبالأحباش ودفاعهم المجيد عن وطنهم.

وأذكر الحماس الشديد الذى كان يسرى بين جمهور الحاضرين... كما كنا نتابع الحرب

يوما بيوم.. الامبراطور هيلاسلاسى ومن حوله الروس، الرأس كاسا وغيرهم.. وكانوا فى أعيننا أبطالا. وكان بالمدينة مدرسة إيطالية للراهبات .. وكان قسيسها الراهب من المتحمسين الأشداء لموسولينى وغزو الحبشة، وكنا نتصدى لهم ونجادلهم بحماس ..

وقبلها، وقبل منظر الخالة أمينة وهى تنطلق وتهتف للوفد .. رسب فى ذاكرتى حادث لا أنساه، وإن لم أعه وقتها، كان سنى حوالى العشر سنوات فى إسنا عندما كان والدى ناظراً لمحطتها.. وكان بيتنا، مثل كل بيوت نظار السكك الحديدية يفتح على رصيف المحطة بالنظام الانجليزى .. حتى يتواجد الناظر إلى جوار مكتبة إذا لزم الأمر.

وذات يوم وأنا أقف على الرصيف ، أنتظر وصول قطار الاكسبريس، إذا بالرصيف يفرغ من المسافرين، وبنزعة جيئة وإيابا ضباط بوليس بكروش وعساكر ببنادقهم.. وحول سور المحطة احتشدت جموع غفيرة تهتف ولكنها ممنوعة من أن يتخطى واحد منها الرصيف.

وإذا بالقطار يقف أمام الرصيف ويطل من نافذته رجل لا أعرف اسمه ولا هويته.. وفجأة قفز فارس أسود بحصانه، تخطى سور المحطة وقفز عليه إلى الرصيف وأخذ يجرى بفرسه على الرصيف ويهتف، وبالطبع ارتبك الضباط ذوو الكروش ارتباكًا شديداً وأخذوا يصرخون والعساكر يجرون على طول الرصيف وعرضه.. أما الراكب الذى يطل من النافذة فهو يشتم ويسب «سيبه يا ولد .. سيبه يا ابن... سيبه» كان هو النحاس باشا بشخصه، وبالطبع لم أعرفه، ولكن هذا ما فهمته فيما بعد.. بعد سنين.. كان النحاس فى اكسبريس الصعيد فى طريقه إلى أسوان، فى عهد الانقلاب الدستورى ، وكان وقتها فى الوزارة إسماعيل صدقى، كان ذلك حوالى سنة ١٩٣٢ أو ١٩٣٣.. طفل يرقب حرب النجوم!!

ولم يتحمل والدى الإنفاق علينا وقد اقتربنا من نهاية التعليم الثانوى، وهو فى أسوان والجامعة فى القاهرة وحدها، فطلب النقل إلى بلد قريب من القاهرة . وبالفعل نقل إلى شبين القناطر ناظرًا لمحطتها، وكنا نسافر يوميًا بالقطار إلى القاهرة ونعود آخر النهار. وكنت منقولا من الصف الثالث الثانوى إلى الرابع (أو الثقافة). وقدم والدى طلبًا لتحويلى من اسوان الثانوية إلى القبة الثانوية ومعها طلب بالمجانية، وقبل تحويلى ورفض طلب المجانية. فاضطر والدى إلى الحاقى بمدرسه أهلية هى النيل الثانوية بشبرا، وشعرت وقتها بمرارة شديدة أن أحرم من مدرسة أميرية لألتحق بمدرسة أهلية دونها فى المصروفات .. ولكن الواقع أن مدرسة النيل الثانوية لم تكن مدرسة أهلية تجارية بالمعنى المعروف فى ذلك الوقت، بل

مدرسة تابعة لجمعية تربوية أنشأها فيما يبدو مجموعة من خريجي المعلمين العليا الذين اشتركوا في ثورة ١٩ ومعظمهم فصل أو اضطر إلى مغادرة البلاد، فأنشأوا هذه المدرسة، ومن بينهم محمد ثابت الرحالة المعروف في ذلك الوقت والذى سجل رحلاته في كتب عديدة، وكذلك ناظرها على ما أذكر واسمه سيد باشا (ليس لقبًا بل اسمًا) وكان في الأغلب ممن حكم عليهم في الثورة وأضطر إلى الهرب إلى ايطاليا، وعندما عاد أصبح ناظرًا لهذه المدرسة.

ولكن مرارة رفض طلبي للمجانية، واضطرارى للالتحاق بمدرسة أهلية، عمق لدى الإحساس بمرارة الفقر والعوز وتفهم التضحية التي يقوم بها والدى وهو الموظف الصغير لتعليم أولاده، وكان مريضًا بالسكر فلم يكن يعنى بصحته وكان همه أن نكمل تعليمنا. فأحسست بالمسئولية، ولم أغال في أي طلب خاص بي تقديرًا الظروف.

ثقافتي :

لم يكن بالمدارس التى التحقت بها مكتبات أو كتب للقراءة غير الكتب المدرسية، كما لم يكن في بيتنا سوى الإنجيل وبعض كتب الدراسة الانجليزية لأعمامي في الأغلب.

أما مدرستى الأولى فقد كانت هي جريدة الأهرام بلاشك. كان والدى يشتريها يوميا، وكنت وأخى نتسابق عند عودته من العمل وبيده الصحيفة، ونتخاطف الأهرام. وكانت صحيفة مدرسة بحق، فيها الأخبار والمقالات السياسية والاجتماعية والأدبية، وفيها أيضًا قصة مسلسلة تنشر يوميا في أسفل صفحة من صفحاتها. وكنا نقرأها بشغف شديد. وأذكر منها قصة عالمين مخترعين، كل منهما يخترع اختراعا يريد به أن يدمر الآخر، يفاجئه بأحسن منه، وهكذا.. وأرجح أنها هى قصة حرب الأكوان لويلز التي لم أجد فرصة لقراءتها حتى يومنا.

وبعد الاهرام جاء دور سمير التلميذ، وكانت مجلة للتلاميذ ، وأعتقد أنها قامت بدور هام في تدريب الصغار على القراءة والاطلاع، وكنت أتابع أعدادها بشغف.. كما عثرت في منزلنا على دائرة معارف وجدى .. وقرأتها من الجلدة للجلدة.

هذا قبل أن التحق بالجامعة... وكانت في أيامنا جامعة بحق بين سنة ٣٩ تاريخ التحاقنا وسنة ٤٣ تاريخ تخرجنا، كان عميد كليتنا أحمد أمين، وكان الصراع السياسي الداخلى قد انطفأ بالانشغال في الحرب الثانية وكان جيل الأساتذة فيها هم تلاميذ طه حسين، ولطفى السيد ومنصور فهمي ومحمد عوض محمد وغيرهم من جيل الجامعة الاهلية ١٩٠٨ وكبار

المستشرقين الذين تركوا بصماتهم فى الاستشراق وبعث تراث الحضارة العربية الاسلامية.

كان أساتذتنا فى قسم الفلسفة، هم عبد الرحمن بدوى ويوسف مراد ومصطفى زيور وأبو العلا عقيب ويوسف كرم.. ومندور والشيخ أمين الخولى وغيرهم..

وكان أستاذنا الرائد بحق هو عبد الرحمن بدوى.. وكان قد عين معيداً بعد تخرجه وكنا أول تلاميذه، نتحلق حوله بعد المحاضرة، هو يدافع بحماس شديد عن الفاشية والمحور ومصر الفتاة.. وعن نيتشه، وبعدها عن الوجودية .. ونحن نرد عليه بمثلها دفاعا عن الحلفاء وعن الديمقراطية وعن الوفد.. ولكنه كان أستاذا جامعيًا بحق.

وأراني متفقًا مع الرفيق نبيل قرنفلى فى مجمل وجهات النظر والتنظيمات التى وردت فى شهادته(١)، ولذلك لا أرى ضرورة التكرار، وأكتفى ببضع ملاحظات وإيضاحات، من خلال تجربتى فى العمل الجماهيرى الذى شاركت فيه.

بداية تعرفى على الماركسيين :

التحقت بكلية الآداب قسم الفلسفة جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٣٩ وفى سنة ١٩٤٠ على ما أذكر، حدثنا زميل عن جمعية فى وسط القاهرة تقدم محاضرات وبحوثًا علمية، وكانت الدراسة فى القسم لا تشبعنا، خاصة فى علم الاجتماع لأن أستاذ الاجتماع ومدرسيه كانوا ينتمون لمدرسة دركايم، كما كان سلوكه لا يروق لنا، فتوجهنا مع الزميل إلى هذه الجمعية، ووجدنا فيها مجموعة من الأجانب والمتمصرين يتحدثون العربية، بينهم يونانيون وأرمن ولا أذكر مصريين، وكان اسمها «جماعة الدراسات» Groupe Etudes. ومقرها قرب شارع الألفى على ما أذكر. واستمعنا لمحاضرة حول «قضية الفلاح فى مصر» فى الأغلب أو عن موضوع حول مصر، أعقبه مناقشات ومساهمات من الحاضرين. وأعجبنا بالمحاضرة والمناقشات حولها، وكنا شلة فى قسم الفلسفة نسكن متجاورين فى شبرا، نتحرك معا ويقودنا ترام (١٥) إلى الجيزة. وكانت هذه الشلة المترابطة، فى الدراسة والمرح، تتكون من أبو سيف يوسف وعبد العزيز قسطندى (أصبح اسمه بعد ذلك كصحفى عبد العزيز فهمى) وإسحق حنا ومحمد اسماعيل. وواظبنا على الحضور، واستهوتنا الأفكار الجديدة التى كنا نسمعها وكذلك المناقشات الجادة من أجانب ومصريين، وكلها محاولات للتعرف على مشاكل مصر وأحوال أهلها، وأنارت لنا طريقًا لم نكن نعرفه، كما أثارت فينا اهتمامات فكرية وثقافية جديدة.

(١) انظر شهادة أ. نبيل القرنفلى فى نفس الجزء من شهادات ورؤى، ويلاحظ أن الزميلين يقيمان فى فرنسا منذ سنوات.

وتعرفنا فى حينها على شخصيتين ظلت صداقتهما صداقة العمر، هما ريمون دويك وصادق سعد، أما يوسف درويش فقد تعرفت عليه فى فترة لاحقة، لأنه كان ينشط فى المجال العمالى. وأحب أن أسجل أن علاقتى بريمون ظلت حميمة فى باريس، رغم اختلافنا اختلافا بيننا فى الرأى السياسى فى بداية وصولى إلى هناك. وكان ذلك بعض تراث «طليعة العمال» فقد كان الحوار والمناقشات التى تجرى بداخلها أحيانًا حادة، ولكنها كانت رفاقية على الدوام. ولذلك لم يكن واردا فيها التفكير فى الانقسام من جانب أى من أعضائها، وظلت أخبار الانقسامات تدور من حولنا ونسمع عنها، ولا تترك فينا أى أثر. أما عن شخص ريمون دويك وزوجته مارجو، ورغم غيبته الطويلة عن مصر بعد أن أقعده المرض العضال، وأصبح عاجزًا عن الحركة حتى داخل بيته، فقد كنت أحس أن مصر تعيش فى أعماقه، وفاجأنى فى أيامه الأخيرة بسؤال عجبت له. سألنى عن السفر إلى مصر، وأى شركات الطيران أفضل، وعجبت بينى وبين نفسى، كيف يفكر فى السفر وهذا حاله. وأحسست وقتها أن النهاية قد قربت.. وأنه يحلم بأن يدفن فى ترابها، وظلت أفضل هدية نقدمها له هى طبق فول أو طعمية .. حتى أن مذاق طعامهما ظل فى فمه لآخر لحظة.

وبعد انتهاء الحرب أسست نفس المجموعة «الفجر الجديد» وكان مقرها على ما أذكر فى حى الفوالة الشعبى قرب ميدان الأوبرا ومعها «دار القرن العشرين» للنشر والتوزيع وكان مديرها ريمون دويك. وكنا نلتقى فى الفجر الجديد، البعض منا يشارك فى التحرير، أما بالنسبة لى فقد شغلت بمواصلة الدراسة فى معهد التربية، ولكننى ظللت على اتصال دائم بها حتى إغلاقها والقبض على محرريها فى حملة صدقى سنة ١٩٤٦ وتعرفت من خلالها على شخصيات بارزة منها أحمد رشدى صالح وعلى الراعى ونعمان عاشور، ولابد أن يذكر لرشدى صالح ريادته فى ميدان الفولكلور المصرى، فهو مؤسس المدرسة المصرية فى الفلكلور، وكتابه من جزئين يظل علامة فى هذا الطريق، وكان هذا التوجه فيما أعتقد جزءًا من التوجه العام لمجموعة الفجر الجديد نحو دراسة الواقع المصرى وتفهم مشاكله، ولاشك أن تاريخ مصر وأدبها الشعبى يمثل ركنا هامًا فى فهم هذا الواقع ودراسته. وكذلك كان اهتمام نعمان عاشور بالجبرتى، وعلى الراعى نحو دراسة تاريخ الفن المصرى فى خيال الظل وغيره، جزءًا من التوجه العام لهذه المدرسة.

وكنا بالطبع نسمع عن جماعات أخرى للدراسة والبحث، ولكنها اقترنت فى ذهننا بحكايات عن تجاوزات تجرى بداخلها لا تتفق مع تقاليد الشعب المصرى، وذلك ما أبعدنا عنها منذ

البداية.

خط د.ش ثم «طليعة العمال» حتى إعلان حزبها «ع.ف» :

وهى الأسماء التى تعاقبت على نفس المنظمة فى مراحلها المختلفة. كان خطها ثابتًا فى التحالفات، وأساسه التحالف الوطنى الديمقراطى، وهو ما كان شائعا فى الأدبيات الماركسية، ولدى التنظيمات الأخرى أيضاً. ولكن تميز طليعة العمال فى هذا المجال، كان فى ثبات الربط بين القضية الوطنية وقضية الديمقراطية واعتبارهما وجهى عملة واحدة، وأى فصل بينهما كفيل بتدمير العملة ذاتها. ولذلك كان توجهها فى العمل الجماهيرى - بعد العمال - نحو الجماهير الوفدية باعتبارها قاعدة النضال الوطنى الديمقراطى المنحدر من ثورة ١٩ وما قبلها.

أثمر تركيز العمل فى وسط الجماهير الوفدية فى النهاية ما سمى «بالطليعة الوفدية» بين شباب الوفد. وقد اتهمت المنظمة فى حينها من البعض، بأنها تحولت إلى جناح يسارى فى الوفد، وفقدت بذلك صفتها الطبقية «كتنظيم ماركسى» وذابت فى الوفد.

وانطلاقا من مفهومها الوطنى الديمقراطى كان موقفها الثابت أيضًا برفض التعاون أو التحالف مع أى من الاجنحة اليمينية فى البورجوازية الوطنية، بدءًا من الفاشية الصريحة فى الاخوان المسلمين ومصر الفتاة والداعين إلى المستبد العادل، حتى الجناح اليمينى فى أحزاب الأقلية وفى حزب الوفد. وهذا ما ميزها عن قيادة حدتو والحزب الشيوعى المصرى (الراية) اللذين شاب تحالفاتهما الكثير من التردد بين هذه الأجنحة، والتحالف أحيانًا أو الدعوة للتحالف حتى مع الحركات الفاشية الصريحة واليمينية المتطرفة فى الاخوان المسلمين، وهو ما أوضحه الرفيق نبيل قرنفلى فى شهادته.

على سبيل المثال موقف الراية الصريح من الوفد، والذى لم يميز بين بعض قياداته اليمينية وجماهيره الواسعة، ودعوته للتحالف مع الاخوان المسلمين، وكذلك موقف قيادة حدتو فى قمة صعود الحركة الوطنية سنة ٤٦ من محاولاتها الدائبة لجذب الاخوان المسلمين للتحالف الوطنى، بدعوى جذب جماهير الاخوان المخدوعة، وهو مالم يُجد، وظل الاخوان على موقفهم الثابت من الشيوعيين والتقدميين والطليعة الوفدية وحزب الوفد.

وبعد الثورة كان تأييد قيادة حدتو المطلق وبدون شروط للثورة منذ لحظتها الأولى، وقبل أن تتكشف خطوطها واضحة بالنسبة لقضية الديمقراطية والحزبية والحريات الديمقراطية. وكذلك

موقف بعض القادة الكوريليين فى حدتو من أحداث كفر الدوار وإعدام خميس والبقرى، ولا يغير من الأمر شيئا موقفهم بعد أن تكشفت الجريمة وأبعادها .. وكان هذا الخطأ من القيادة الكوريلية سواء قبل الثورة أو بعدها يتعلق بقضية الديمقراطية ودورها فى التحالف الوطنى، ومدى ضرورتها كشرط لهذا التحالف. كان هذا الخطأ ينبع من مفهوم خط القوات الوطنية الذى يجنح إلى تحقيق أوسع تحالف وطنى بصرف النظر عن مكوناته وجوهره، وقد وصل هذا الخط إلى قمته بعد حملة يناير - مارس ١٩٥٩ وموقف قيادة حدتو من عبد الناصر ونظامه، وتأييدهم له دون شروط داخل السجن والمعتقلات، ومهما كانت الضربات التى يوجهها للديمقراطية.. ووصل بعدها هذا الموقف إلى عنان السماء بالدعوة إلى الحل، وكانت المبادرة منها، وكان الذوبان فى الاتحاد الاشتراكى بصرف النظر عن طبيعته الاستبدادية المعادية للديمقراطية. وشارك مع قيادة حدتو الكوريليين فى هذا التوجه قيادة الحزب الشيوعى المصرى، التى تصدرت أيضًا الدعوة إلى الحل والذوبان فى الاتحاد الاشتراكى.. ولا يغير من هذه الصورة فى شئ انزلاق الجميع بعد ذلك إلى نفس المصير، ما عدا قلة وفى قواعد الشيوعيين خاصة.

كان هذا الجوهر والشرط الديمقراطى للتحالف الوطنى هو ما يميز خط طليعة العمال، سواء عن خط القوات الوطنية أو خط المصرى عن البرجوازية من النوع الجديد.

وفى تقديرى أن هذا الموقف الثابت، فكرا وممارسة، من الديمقراطية كشرط أساسى للتحالف الوطنى، ووضع الديمقراطية فى قلب العمل الثورى وكأداة أساسية من أدواته لا يمكن التخلى عنها بحال، هو من أهم الإسهامات والإضافات للفكر الماركسى، فى إطار العلاقة بين الماركسية والديمقراطية، وبشكل أكثر تحديداً بين الحريات الديمقراطية الليبرالية المكتسبة، والديمقراطية الثورية بأبعادها الطبقية والاجتماعية الراديكالية. وهى علاقة، رغم وضوحها القاطع فى الفكر الماركسى اللينينى، شابها الالتباس والغموض والتورط فى الأخطاء الجسيمة، حتى على المستوى الأممى إلى حد إهدار الحريات الأساسية فى الممارسة والتطبيق، والتى قادت إلى الكوارث التى حلت بالمعسكر الاشتراكى، وكانت الماركسية اللينينية بريئة منها تمامًا.

ولنزيد الأمر وضوحًا وتحديداً نقول : ولد الجيل الوسط من الماركسيين المصريين، بوجه خاص ووراءهم تراث عريق من الفكر الليبرالى، ومفاهيم الحريات الديمقراطية الليبرالية، امتدادا من رفاعة الطهطاوى، إلى الحزب الوطنى الذى قاد الثورة العرابية ودستورها

الليبرالى، ثم تلتها ثورة ١٩ ودستور ٢٣، وانطلاقًا منها كانت نضالات الوفد الممتدة فى مواجهة السراى ومن أجل الدستور؛ هذا التراث الذى لا يقارن به أى من البلاد العربية أو بلدان شرق أوروبا التى قامت بها النظم الاشتراكية، وروسيا نفسها حتى ثورة اكتوبر. ويكاد هذا التراث فى مصر يقف فى مصاف التراث الديمقراطى الليبرالى فى بلدان الغرب الرأسمالية، رغم كل الإحباطات التى صادفها هذا الفكر فى مصر ولأسباب كلها كانت خارجه عن إرادة الشعب المصرى.

وكان تعلق الفلاح المصرى الأمى، ولا أقول جمهور المثقفين فحسب، بالحريات الديمقراطية ودفاعه عن الدستور، وما سجلته نضالات الجماهير الشعبية خلال الثلاثينيات والأربعينيات، ضد حكم صدقى وأحزاب الاقلية، وخلده عبد الرحمن الشرقاوى فى رائعته «الأرض»، وبالطبع يأتى أدب نجيب محفوظ وعظمة روايته الأدبية لهذا التاريخ فى المقدمة.

ولد جيلنا ووراءه كل هذا التراث فكراً ونضالا لا ينقطع، وكان علينا المضى به قدما، وإكماله، والارتفاع به إلى مستوى المرحلة الثورية الجديدة. وكان فكر ماركس وموقفه من هذه القضية لا لبس فيه. فقد احتفى ماركس بالثورات البرجوازية الليبرالية، ثورة ١٨٣٠ وثورة ١٨٤٨ المحبطة، وأشاد بالمدى الذى وصلته فى كميونة باريس، التى لم تتنكر للحريات الليبرالية فى شئ، بل زادتها عمقا وتجذيراً وراديكالية، فلم يكن وارداً فى فكر ماركس ومن بعده لينين، أن الديمقراطية الثورية تعنى الارتداد أو التنكر للحريات الليبرالية، التى جاءت بها الثورات البرجوازية التاريخية. بل اعتبرها مكاسب للجماهير الشعبية، يتعين التمسك بها والانطلاق منها، فالعلاقة بين الديمقراطية الليبرالية وحرياتها الأساسية، والديمقراطية الراديكالية فى فكر ماركس ولينين، هى علاقة جدلية، علاقة نفى النفى، بمعنى أن الديمقراطية الاشتراكية تنفى الديمقراطية الليبرالية، ولا تلغيها، بل تعلو بها إلى المركب الجديد وهى الديمقراطية الاشتراكية. أى دفع الديمقراطية الليبرالية وإعطائها بعدها الاجتماعى والطبقى، دون التنكر بحال لأى من حرياتها الأساسية، التى اعتبرها الفكر الماركسى كما سبق وذكرنا من منجزات البرجوازيات الصاعدة، ومكتسبات الشعوب والطبقات الشعبية.

هذه القضية، قضية العلاقة بين الاشتراكية والديمقراطية، بين البناء الاشتراكى والحريات الديمقراطية، وبين النضال من أجل الاشتراكية والنضال الديمقراطى، كانت ولاتزال محل جدل وخلافات شديدة وانقسامات، خلال تاريخ الاشتراكية، وفى الدولية الثانية، والدولية الشيوعية،

ليس هنا مجالها. ولكنه ازداد أهمية وإلحاحا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى، وما تكشف من ممارسات، لا نقول خاطئة، بل كارثية، ولم نكن نعلم عنها شيئا بالطبع، إلا من خلال كتابات من كانوا يسمون بالمنشقين، وهذه كانت من البداية مرفوضة من جانبنا أصلا، ولكن الحقيقة التى تكشفت بعد انهيار المسكر الاشتراكى كانت أبعد بكثير مما كنا نجمله ونبسطه فى الستالينية، وكان الجميع يدينها، كانت تتعلق بجوهر الفكر والممارسة وجوهر العلاقة بين البناء الاشتراكى والديمقراطية، وفى المعسكر الاشتراكى بمجمله.

تعود هذه القضية اليوم بقوة وبزخم أشد فى الجدل الدائر فى أوساط اليسار والأحزاب الشيوعية الغربية بوجه خاص، وهى تتصدى لإعادة بناء فكرها واستراتيجياتها فى هذه المرحلة. وفى هذا الإطار تبدو أهمية التأكيد على الإنجاز الذى حققته طليعة العمال، فى الفكر والممارسة فى الواقع المصرى بالنسبة لهذه القضية، وأهمية الانطلاق من تراثنا الديمقراطى، وإغنائه لا التفريط فيه.. ولا يعنى هذا بالطبع إنكار دور التنظيمات الشيوعية الأخرى، سواء قيادة حدتو أو المصرى فى النضالات الديمقراطية فى مصر. فنضالات الماركسيين المصريين وتضحياتهم الجسيمة، بمختلف فصائلهم وتنظيماتهم لا يستطيع أن ينكرها أحد. ولكننى أعنى، فى إطار الفكر والممارسة فى هذه القضية، كان الالتباس قائما، والرؤية الضبابية غالبة، وتمثلت فى المواقف السياسية الخاطئة أو المترددة التى سبق ذكر أمثله منها، سواء قبل ثورة يوليو أو بعدها ..

طبيعة قيادة كوريل داخل حدتو :

وفى هذا أتفق مع الرفيق نبيل قرنفلى فيما جاء فى شهادته، وتوصيفه لها بالهيكل الكوريلى تشبها بالهيكل العظمى داخل الجسم.

وأحب بادئ ذى بدء أن أسجل، أننى لم أعرف كوريل شخصيًا، ولم ألتق به، وهو من الشخصيات التى يحيط بها الكثير من الغموض، وتتضارب حولها الآراء خاصة فى الخارج، حيث عاش وكان له حضوره السياسى. وكذلك أيضا بالنسبة لموقفى من الحلقة المصرية التى التفت حوله وتعلقت به، فاننى لا أحاول أن أغمط من شأن أحد فيها، أو التنكر لتضحياتهم، وإنما هو خلاف فى الفكر والممارسة والسلوكيات لا أكثر.

وانطلاقًا من هذا التنويه الضرورى، واعتماداً على تجربتى الخاصة فى العمل الجماهيرى الذى شاركت فيه، سواء العمل النقابى أو السياسى أو السلامى، ومن خبراتى الشخصية مع

أفراد من هذه المجموعة الضيقة التى التفت حول كورييل وتعلقت به، أرى أنها حلقة بالغة الضيق، أقرب إلى توصيفها «بالنحلة» أو «الطريقة» Secte تستلهم زعيمها « شيخ الطريقة» Gorou ولا تقف عند حدود «عبادة الفرد» التى كانت شائعة فى التنظيم الشيوعى فى مصر والخارج أو الستـالينية، بل تتعداها إلى الاستلهام الروحى، والركون الى صاحب الوحى والسطوة فيها.. كما درجت هذه الحلقة على تسمية نفسها باسم «حدتو» وكانت تتماهى دائما فى هذا التنظيم «الأم» كما كانت تطلق عليه أحيانًا، وهذا غير صحيح على إطلاقه.. فتنظيم حدتو أوسع بكثير، وانقسم إلى تنظيمات وحلقات تجاوزت بكثير هذه الحلقة الضيقة، بالغة الضـيق، حـتى ولو كـانت هى التى أنشـأته فى الأصل، وسـيطرت عليـه من أعلى بفكرها وممارساتها وسلوكياتها الأبوية والقبلية فى أحيان كثيرة . فتنظيم حدتو تنظيم واسع يضم عددًا كبيرًا من الماركسيين المخلصين والمناضلين الأشداء. كانت لى صداقات حميمة ولا تزال مع البـعض منهم أحياء وأمواتا. وأذكر على سـبيل المثال والحصر المرحوم زكى مراد، والمحسوب تاريخيا على هذا التيار، ولكننى أعتقد أنه كان له من نضـاليته وأخلاقه وشارعيته، ما لوكتب له العمر، لاختط طريق المناضل الراحل شيخ العرب محمد على عامر فى استقلاليته، ولذلك كان موت زكى مراد المفاجئ خسارة جسيمة للحزب الذى ساهم فى ولادته.

كان دأب هذه «الحلقة»، «النحلة» أو «الطريقـة» على الدوام، وفى كل تاريخـهـا، السـعى بلا كلل للسيطرة والانفراد بالسلطة داخل أى تنظيم أو حزب وجدت فيه. وممارساتها فى سعيها هذا الدءوب، كـمـا فى فكرهـا وسيـاسـاتهـا وسلوكيـاتهـا، براجـمـاتيـة تمامًا، تلجـأ إلى كل الأسـاليب والوسـائل الأخلاقى منهـا وغير الأخلاقى، «القبلى» دائما و«النفعى» أحيـانًا، إذا اقتضى الحال، وكان شعارها على الدوام «اللى تكسب به العب به»!! ولذلك فهى فى تقديرى، بخط زعيمها وشيخها «خط القوات الوطنية»، كما فى ممارساتها السياسية وسلوكياتها، أقرب إلى أن تكون فصيلاً يساريا فى البرجوازية الوطنية.

أما بالنسبة لتنظيم حدتو على اتساعه، فكان له حضوره البارز وسط الجماهير، كما كان له إنجازاته الهامة. ولكن بحكم سيطرة الحلقة الكوريلية معظم الوقت، فقد غلب على سياساته ومفاهيمه خطها اليمينى. وكذلك كانت قاعدته المتسعة هلامية لا تتوفر لها صفات التنظيم اللينينى الحديدية. فقد تجمع فيـها عدد كبير من رفقة الطريق. ولذلك سـهل على الأجـهزة اختراقه، كما تميز بالتمدد الواسع مع صعود الموجة الثورية، والتقلص والانكسار إلى حد التلاشى مع جزرها.

قضية الكفاح المسلح فى القناة سنة ٥١ – ٥٢ :

وقد أشار الرفيق نبيل قرنفلى فى شهادته إلى أن المشاركة فى هذا الكفاح المسلح، أو ما سمى فى حينها «بحركة الفدائيين» من جانب طليعة العمال جاء متأخراً بعد تردد.

وأذكر المناقشات التى دارت داخل التنظيم وقتها، وكذلك كان يزاملنى فى تلك الفترة صادق سعد فى التدريس بالمدرسة الخديوية، أنا مدرس الفلسفة، وهو مدرس للغة الفرنسية، بعد أن أبعدته الأجهزة عن العمل وسط العمال بحكم مؤهله كمهندس. وبالطبع كانت علاقتى به أقدم، تعود إلى بدايه الأربعينيات، كما ذكرت سابقًا، فى «جماعة الدراسات» وفى الفجر الجديد. وأذكر المناقشات التى دارت بينى وبينه فى المدرسة الخديوية، وكان وقتها فى قيادة التنظيم. وكانت الخديوية كشأن المدارس الثانوية الكبرى فى القاهرة فى ذلك الوقت، مركزاً هاماً من مراكز الحركة الوطنية الطلابية، وقياداتها من جميع الفصائل والانتماءات امتدادا من الشيوعيين إلى الوفديين والطليعة الوفدية إلى الاخوان المسلمين إلى البوليس السياسى. وكانت المدرسة تموج بالثورة والدعوة إلى التطوع والتعبئة والانضمام إلى حركة «الفدائيين». ومن خلال مناقشاتى معه، كان صادق يقدم دائمًا قضية الديمقراطية فى الداخل وتشديد النضال من أجلها فى نفس الوقت كشرط ضرورى لحماية ظهر المقاتلين، خاصة وأن وزير الداخلية فى الوزارة الوفدية، فى ذلك الحين، كان فؤاد سراج الدين باشا الإقطاعى، وكان جناحه اليمينى فى قيادة حزب الوفد يغلب سياسة المهادنة مع السراى، ويسعى إلى قمع الحركة الوطنية، خاصة الطلابية، ويعطل حركة الفدائيين، بإلقاء عبء القتال على قوات الأمن فى القناة. أما حجته الثانية التى أذكرها، فهى ضرورة أن تتوافر للكفاح المسلح بمعناه الماركسى المعروف، قواعد فلاحية واسعة، وكان الشيوعيون بجميع تنظيماتهم يفتقدونها فى مصر عموما، وفى منطقة القناة بصفة خاصة. فهى التى تقدم للكفاح المسلح قاعدته وعمقه الشعبى، وإلا تحول إلى عمل من قبيل ما قام به الإخوان المسلمون فى فلسطين وبعدها فى القناة.

ورغم كل هذه الحجج، فقد انخرط التنظيم فى الحركة المسلحة بدفع من قاعدته الشعبية، وإن جاءت مساهمته متأخرة. وقد كشف تطور الأحداث وجاهة الرأى الذى كان يعبر عنه صادق سعد. فما إن احترقت القاهرة بتدبير من السراى والانجليز، وأعلنت الأحكام العرفية، وطرد الوفد من الوزارة، حتى اعتقل جميع الفدائيين عن بكرة أبيهم!! وانهارت حركة الفدائيين

التى افتقدت أساسها الشعبى.. وعندما اضطرت «حركة يوليو ٥٢ (قبل أن تتحول إلى ثورة) أثناء تعثر المفاوضات مع الانجليز، إلى اللجوء إلى نوع من الكفاح المسلح، حرصت فى نفس الوقت على إبعاده عن الجماهير تماماً، وحصرة فى إطار قوات الجيش.

قضية الوحدة :

تميز تنظيم طليعة العمال – منذ منشأه – بالحذر الشديد ولكن هذا الحذر، لم يؤد به إلى الانغلاق والعزلة عن الجماهير، بل على العكس نجح، بفضل خطه السياسى والجماهيرى السليم فى أن يخلق له قواعد راسخة فى الطبقة العاملة، وبين جماهير الوفد خاصة الشباب فى «الطليعة الوفدية» وكذلك فى الحركة الطلابية. وكان على حق تماما فى حذره وصرامته التنظيمية تجاه قضية الوحدة. فقد كانت الحركة الماركسية تموج بالتنظيمات التى تتوحد ولا تلبث حتى تنقسم، ثم تعود إلى التوحد، وهذه فى ذاتها كانت تقدم للبوليس السياسى فرصة التسلل والتغلغل داخل هذه التنظيمات. ولذلك تعرضت كل هذه التنظيمات دون استثناء، لضربات بوليسية قاسية، طالت قياداتها مثلما طالت قواعدها. وامتلأت بهم السجون نتيجة التسيب التنظيمى الذى اقترن بالضرورة بخطوطها اليمينية أو المغامرة، ونجت منه «طليعة العمال» بفضل تنظيمها اللينينى «الحديدى» كما سبق القول وخطها السياسى والجماهيرى، وبذلك تحقق لها نمو متواصل وهادئ لا تعكره صراعات لا مبدئية أو انقسامات، ولا اختراقات بوليسية. وكنا فى عملنا الجماهيرى نتحرك يملؤنا شعور بالثقة والاطمئنان لأن ظهورنا محمية تنظيمياً.

ولكن وبعد أن اجتازت المرحلة الأولى من حياتها بنجاح، مرحلة بناء تنظيمها وخطها السياسى والجماهيرى، وأرست لها قواعد جماهيرية حقيقة وواسعة، وكان الحذر التقليدى الذى لازمها إلى حد الانغلاق التنظيمى خلال هذه المرحلة مفهوما ومبرراً بل وضرورياً .. أقول بعد اجتياز مرحلة التأسيس والبناء هذه بنجاح يثور سؤال : كيف لم تقبض هذه المنظمة بقوة على قضية مركزية وجوهرية، قضية الحزب والوحدة.. فلا ثورة دون حزب قائد بداهة، ولا حزب فى الواقع المصرى دون التصدى لقضية الوحدة..؟

لم يكن السبب على الإطلاق ما أشيع حولها عن إيمانها، «بالنمو الذاتى» . فلا أذكر خلال كل مراحل هذا التنظيم من (د.ش) إلى (طليعة العمال) إلى (ع.ف) والتى عشتها كلها، لا أذكر

أن طرح ولو مرة هذا المفهوم، لا بهذا العنوان، ولا بمضمونه.

كما لم يكن وارداً أن يسقط تنظيم طليعة العمال في الوهم الذى سيطر على (م.ش.م) على سبيل المثال، والمفهوم الانطوائى الانعزالى بأنها التنظيم الشيوعى الوحيد، وكل من خارجها بوليس!! فمثل هذا المفهوم الانعزالى كان غريباً عن «طليعة العمال» قيادة وقاعدة، بحكم جماهيرية الغالبية الكبيرة من قادتها وقواعدها، وهم يلتقون يوميا فى ساحات النضال السياسى والنقابى، مع رفاق من تنظيمات أخرى، قد يكون لهم رأى فى سياساتهم، ولكنهم ماركسيون ومناضلون مثلهم أو اكثر. فكيف يطرأ على أذهانهم هذا الوهم.. أو يغيب عنهم أن هناك ماركسيين آخرين ومناضلين صادقين أعضاء في التنظيمات الأخرى ويتعين أن يبحثوا عن طريق للوحدة والتوحد معهم فى حزب واحد؟!

ما أذكره من هذا التاريخ، أنه كلمت طرحت قضية الوحدة، وكثيراً ما كانت تطرح، لأن الساحة كانت تموج بالانقسام ثم التوحد ثم الانقسام.. الخ. كان لتنظيم طليعة العمال موقف مبدئى ثابت وفى تقديرى صحيح فى هذه القضية : أن الوحدة لا يمكن أن تتم باتفاقات علوية ومساومات بين قيادات على كراسى القيادة ، كما كان الحال فى كل محاولات الوحدة التى تدور من حولهم.. بل لابد للوحدة، من خط سياسى وفكرى موحد يتم من خلال صراع بين القواعد .. وتنسيق فى العمل الجماهيرى بشتى ساحاته. وأذكر أن كان لهم اقتراح جيد فى هذا الشأن، وهو ضرورة نشرة أو مجلة للحوار، والأهم التنسيق فى العمل الجماهيرى.

وحتى فى المؤتمر الذي أعلن فيه حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى، لم يكن هناك رفض للوحدة من حيث المبدأ، ولكن رفض للطريقة التى كانت تجري بها، الوحدة بأى ثمن وبأى طريقة.

ولكن لماذا بدت طليعة العمال، وحزب العمال والفلاحين متخلفة عن ركب الوحدة، ولماذا انزلقت آخر الأمر إلى عين الطريق التى ظلت ترفضها طوال حياتها، طريق الاتفاقات العلوية بين القيادات؟ والتى قادت إلى خراب الحزب وحله آخر الأمر؟!

فى تقديرى أن خطأ طليعة العمال ، وبعدها (ع.ف) بدأ حين وجدت نفسها وسط موجة متعاظمة وبحر صاخب من عمليات الوحدة التى أدت إلى (الموحد) ثم (المتحد) عن طريق اتفاقات علوية وصفقات بين القيادات على توزيع للكراسى والمناصب. وهو طريق كانت ترفضه مبدئيا، وتاريخيا، فغلبها حينذاك حذرها التقليدى، وركنت إلى موقف سلبى لتنأى بنفسها عن هذا البحر المتلاطم، ولم تلتقط الفرصة التاريخية السانحة لطرح وجهة نظرها ورؤيتها المبدئية

للوحدة، التى لا تتم باتفاقات علوية انتهازية فى الأساس، بل بوحدة الكوادر والقواعد حول خط سياسى وتنظيمى يأتى من خلال صراع، تتوفر له الوسائل اللازمة، وفى المحل الأول من خلال تنسيق فى العمل والكفاح الجماهيرى اليومى.

أقول لم تلتقط الفرصة، وقد جاءت بخاصة بعد العدوان الثلاثى، حين تلاقت جميع كوادر الحركة الشيوعية، وشاركت ببطولة سواء فى اختراق الحصار المضروب حول بورسعيد، أوتنظيم المقاومة الشعبية المسلحة بداخلها، وكذلك ساحات التعبئة فى لجان «المقاومة الشعبية» التى شاركت فيها كل التنظيمات وتلاقت فيها قواعدها وكوادرها .. تعارفت وتعاونت.. وكاد التنظيم الشيوعى فى مجموعه أن يصبح نصف علنى. وكانت هذه هى الفرصة السانحة لطرح رؤيتها ومواقفها المبدئية من قضية الوحدة، ولنشرها وتعميقها بكل وسائل النشر والتنسيق العلوى والقاعدى بين مختلف التنظيمات والفصائل الماركسية، بدلاً من الركون إلى السلبية والتباعد عن الموج الهائج، موج الوحدة الذى تصاعد بشكل طبيعى عقب العدوان والمشاركة الفاعلة فى المقاومة من جانب الجميع.

ولغياب هذه المعالجة الواعية والثورية، كنت واحدا من الذين حملتهم موجة الحماس هذه للوحدة العاجلة والفورية وبأى طريقة .. فبحكم عملى الجماهيرى كانت لى علاقات وصداقات مع أعضاء فى مختلف التنظيمات.. والعمل النقابى المطلبى بطبيعته يوحد بصرف النظر عن الأفكار والسياسات.. وتصادف وقتها أن رشحنى التنظيم لعضوية مجلس الأمة فى الانتخابات التكميلية للمجلس، لخلو دائرة شبرا من نائبها حينذاك.. وكانت هذه الدائرة بالصدفة أيضاً تجمع كل التنظيمات الرئيسية، فى جنوبها جزيرة بدران حيث قاعدة الحزب المصرى، وفى وسطها كانت طليعة العمال غالبة، وفى أطرافها الشمالية حيث تلتقى بالساحل وشبرا الخيمة كان تواجد حدتو وطليعة العمال كثيفاً مؤثراً.

وأصبحت الدائرة فى «جيبنا» وفى فترة وجيزة من العمل والتعاون الصادق بين جميع هذه التنظيمات (لولا حق الاعتراض بالطبع الذى كنا نتوقعه).. مما أثار لدى الحماس الشديد.. وأصبحت من غلاة الداعين للوحدة الفورية وبأى طريقة.

ولكن الأحداث التى تلاحقت عقب إعلان الحزب : انقسام قيادة حدتو وانجرار بقية أعضاء التنظيم دون وعى وراءهم، ثم ما تلاه من اعتقالات سنة ٥٩، وبروز نتائج ما سمى «بالدمج» وكشوفه التى سلمت بالكامل للأمن... وما حدث بعدها بداخل المعتقلات مما رواه الرفيق نبيل فرنفلى فى شهادته. ذلك كله فتح عينى على الحقيقة المرة : لم يكن العائق الأساسى للوحدة

كما توهمت لحظتها فى فورة انفعاعى، هى الطقية، بل كان أعمق بكثير، فكرى وسياسى وتنظيمى بل وطبقى.. وانكشف الأسلوب الانتهازى الذى اتبع فى تحقيقها، أسلوب المفاوضات بين القيادات، والتى تؤدى بالضرورة إلى المناورات والأكاذيب وكشوف الدمج المزيفة.. وسقطت (ع.ف) فى البحر الهائج الذى طالما نأت عنه .. لأنها لم تمسك باللحظة السانحة، وتتقدم برؤيتها المبدئية بل تخلفت فحملتها موجة الوحدة الكاسحة حينذاك، فضلاً عن ضغوط الأحزاب الشقيقة فى الخارج التى كان لها أثرها.

وبالمناسبة فقد ذكر الرفيق نبيل قرنفلى فى شهادته أن ما عجل بحركة الانقسام، هو ما اكتشفته قيادة حدتو الكوريلية، من استحالة سيطرتها على الحزب فى تشكيله الجديد، وهى لعبتها التقليدية وهدفها الثابت الذى لا يتحول. وتفسير الرفيق نبيل صحيح، يضاف اليه عامل أخر يكشف طبيعة العلاقات التى أقامت عليها هذه «الحلقة» - «الطريقة» تنظيمها، فقد صادف إعلان الحزب فى ٨ يناير أن أعقبها ثورة العراق، وانكشف موقف عبد الناصر من الديمقراطية ومن الشيوعيين، وانحازت غالبية الكوادر من جميع التنظيمات إلى الخط الجديد للحزب، وبخاصة قواعد حدتو بحكم جماهيرية الغالبية منهم. ولم يكن خط الحزب الجديد يمينيا أو ينتمى لفكرهم -خط القوات الوطنية، والتحالف مع عبد الناصر ونظامه بأى ثمن ومهما كان موقفه من الديمقراطية - فهرولت القيادة الكوريلية إلى سحب قواعدها بأربطتها الحلقية والنفعية والقبلية، قبل أن تذوب هذه القواعد فى الحزب الجديد.

قضية الحلقية :

استلفت نظرى أثناء مطالعة كتاب المناضل العظيم فخرى لبيب «الشيوعيون وعبد الناصر» وهو كتاب بالغ الأهمية وتسجيل فريد لوقائع الاعتقال وسياسات عبد الناصر التصفوية، كما سيظل وثيقة تاريخية نادرة. أقول لفت نظرى أن فخرى لبيب، هذا المناضل الشيوعى الصادق والصلب، قد حمل مسئولية الحزب وحيدا فى الواحات كمسئول مركزى، فى فترة من أحرج الفترات والهجمات التى واجهها الحزب، سواء من داخله أو خارجه لتصفيته . وكانت هذه الهجمات من داخله بخاصة شرسة، أغلبها بلا وعى، تكاد تمزق جسمه تمزيقًا، لتعود به إلى مكوناته الحلقية قبل الوحدة كما تقدم أجل خدمة خطة لتصفيته، وقد بدت هذه الصراعات فى أعين القائد المسئول حلقية فى الأساس، جذرها فى الصراعات التاريخية بين التنظيمات قبل

الوحدة.

والحقيقة فى تقديرى على خلاف ذلك، بالطبع كانت حرارة الصراع وقتها داخل السجون المغلقة، شبيهة بالحمى، ولا يستبعد معها بروز أعراض جانبية حلقية وغير حلقية. ولكن بحكم معرفتى لرفاق (ع.ف) وعلاقاتى الحميمة مع الغالبية منهم، كان الدافع لهؤلاء الرفاق فى الأساس ليس حلقياً، بل دفاعا عن الحزب الذى رأوه أمام أعينهم يتعرض لهجمات تكاد تفرقه وتؤدى به إلى التفتت والانهيار الكامل. وكانت معاناتهم من الانقسام الأول، انقسام القيادة الكوريلية لا تزال غصة فى حلوقهم. ومن هذا الصراع الشرس، كان دفاعهم المستميت عن الحزب، من خلال الدفاع عن خطه السياسى. ولسوء الحظ كان خط الحزب متطرفًا يساراً وخاطئًا، بمقولة الاحتكار وشبه الاحتكار فى السلطة والحكم، ولأن تجمعهم كان حول خط خاطئ، فقد بدا على السطح تجمعًا حلقيًا، ولكن حقيقته كانت غير ذلك، وكان من المستحيل أن يكتشفوا هذا الخطأ وهم بين جدران السجن وعذاباته، بعيداً عن أرض الواقع، وهى الفيصل والحكم الوحيد. وبالفعل ما إن خرجوا إلى الشارع وعادوا إلى جماهيرهم، حتى ذاب هذا الخط وتبخر.

كانت القضية حينذاك فى مواجهة خطة التصفية داخل السجون والمعتقلات، هى قضية حزب أو لا حزب، يكون أو لا يكون، وليس أدل على ذلك من أن غالبية رفاق الموحد ومنهم فخرى لبيب وغيره من الرفاق وكذلك المرحوم وديع ساويرس من المصرى وغيرهم كانوا على رأس المدافعين عن الحزب وخطه وليس رفاق (ع.ف) وحدهم.. كان الدفاع عن الحزب ذاته، وبصرف النظر عن سياساته يجمع كل الرفاق الواعين من كل الأصول التاريخية دون استثناء.

وإذا كان خط القيادة الكوريلية فى القول بالمجموعة الاشتراكية على رأس السلطة – كان فجا فاضحًا، فقد اختار بعض رفاق المصرى دون وعى، فى حربهم الحلقية على الحزب، الانطلاق من مقولة معروفة ومسلمة وهى «الطبيعة المزدوجة للبرجوازية الوطنية» ليتكشف فى النهاية مضمونها الحقيقى، من رواسب المفهوم اليمينى القديم لقيادة المصرى فى مقولة «البرجوازية من نوع جديد» التى تسعى إلى الاشتراكية. وزاد الرفاق السوفييت الطين بلة بقولهم بالطريق غير الرأسمالى للنمو.. فالتقى الخطان اليمينيان، خط المجموعة الاشتراكية الفج الصريح، وخط البرجوازية من نوع جديد، فى الواقع العملى، وأصبح الفارق بينهما هامشيًا ضيقًا. وباحتدام الصراع داخل الحزب، وانتصار الخط اليمينى كنتيجة للعزلة عن الواقع من الخارج، فقد أدى ذلك إلى نتيجته الطبيعية، وهى تبنى الحزب ، واندفاعه إلى نفس

المصـير الذى اختـارته القـيـادة الكوريلية بوعى وإصـرار.. أى إلى حل التنظيم الشـيـوعى والاندماج والذوبان فى الناصرية واتحادها الاشتراكى.. واندفع النظام الناصرى بدوره، رغم وطنيته التى لا شك فيها، وبعد أن قضى على كل معارضة يسارية أو ديمقراطية .. إلى مصيرة المحتوم فى ٥ يونيو..

ولعل الأجيال الصاعدة الشابة من الماركسيين المصريين تتحصن بهذه الخبرة الثمينة لجيلنا: بما لم يعه قادة اليمين فى الحركة الشيوعية، أن الوطنية والديمقراطية وجها العملة، لا يمكن فصل واحد منها دون تدمير العملة ذاتها..

شهادة

أمينة رشيد

البيانات الشخصية

الاســــــــــم : أمينة رشيد

محل وتاريخ الميلاد : القاهرة - ١ يناير ١٩٣٨

المــــــؤهــــــلات : دكتوراه فى الأدب المقارن من جامعة السربون بباريس فى مايو ١٩٧٦.

المــــــهــــــنــــــة : استاذة جامعية

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : اقتنعت بالفكر الماركسى مبكراً كما سأذكر بعد قليل. إلا أنى لم انضم إلى منظمة شيوعية إلا وأنا عمرى ١٧ سنة تقريبًا.

فترة السجن والاعتقال : سجنت بعد ذلك بكثير عام ١٩٨١ ولم يكن بشكل مباشر بسبب انضمامى للحركة الشيوعية، ولكن اتهمت فى هذه الفترة بأننى جزء من فتنة طائفية فى الزاوية الحمراء بين المسلمين والمسيحيين، ولم يكن هذا حقيقيًا بالطبع، واتهمت أيضاً بأننى كنت جاسوسة روسية فى تنظيم "التفاحة" وكانت هذه تهمة مضحكة كما ظهر فى التحقيق.

البيانات العائلية التى تفيد فى التعرف على السيرة الذاتية :

بدأ تأثرى بالأخلاقيات الشيوعية منذ فترة طويلة قبل انضمامى لأى تنظيم. فعندما كنت صغيرة كنت متأثرة بأننا نعيش فى سرايا توجد فى حى شعبى، حيث كان يوجد حول البيت الكبير بيوت كثيرة فقيرة، وكانت صاحبتى ابنة النجار، وطبعاً لم يكن أهلى موافقين على هذه الصداقة وأنا كنت مصرة عليها ولا أريد أن أصادق أبناء أصدقائهم، وكان لدى شعور بغياب العدل، لماذا أنا امتلك كل هذا، وابنة النجار لا يوجد لديها شىء؟! هذه هى البداية، بالرغم منه كان يوجد لدى أهلى شعور بالخير، فأمى ظلت طوال حياتها تعمل فى مبرة محمد على وترى أن من واجبها هى وخالاتى أن يعطين جزءاً من فلوسهن وجزءاً من وقتهن للفقراء، ولكن مع الاحتفاظ فى رأيهن بأن هناك تفرقة، وأن الله رتب الأمور بهذا الشكل بحيث يكون هناك أغنياء وفقراء، ونحن من واجبنا أن نساعد الفقراء، لكن الفقراء يظلون فقراء ونحن نظل كما نحن أغنياء. ولم أرض عن هذا المنطق تماماً منذ طفولتى.

* أجرت الحوار : حنان رمضان.

وبعد ذلك وأنا في الحادية عشرة من عمري، بدأ الكلام عن محمد سيد أحمد (ابن خال أمي) بأنه في الحركة الشيوعية وأن والده يخاصمه وأنه مطارد من البوليس. فبدأت أتساءل ما هي الشيوعية؟ فقالت أمي لي إن هؤلاء الناس يريدون ألا يكون هناك أغنياء وفقراء، يريدون أن يكون الناس مثل بعض. فأتذكر جيدا أنى سألتها لماذا ترفضين مع أن هذا شئ جيد، فردت على قائلة: إنهم يريدون أن يوصلوا لذلك عن طريق العنف ويموتونا ويموتوا الملاك والأغنياء، وهذا غير مقبول، ثم بعد ذلك سترجع الأمور كما كانت، لأن الإنسان هو الإنسان ولا يتحمل المساواة. فسكت ولم أجد أي مبرر ومرت السنوات، واختفى محمد سيد أحمد، بالرغم من أن أهله سفروه إلى فرنسا حتى لا يتم القبض عليه، إلا أنه هرب من فرنسا وترك خطابا، يقول فيه لا تبحثوا عنى فأنا سوف أستمر في الدفاع عن قضيتي. فتأثرت جداً بهذا النموذج وتصورته بطلا، وظل غائباً سنوات، وأنا في خيالي أنني وجدت أخيراً أحداً يدافع ضد ما أرى من ظلم في المجتمع وهذه كانت بداية التأسيس، مع تأثري بدروس الفلسفة التي كان يدرسها لنا أستاذي الماركسي الفرنسي مسيو جرانييه، حيث درس لنا تيارات الفلسفة المختلفة، وبلور فكرة الفلسفة الماركسية، وعلى نهاية السنة كنت قد اقتنعت تماماً بهذا الفكر، وبدأت أذهب إلى أقارب محمد سيد أحمد الموجودين في مصر: إلهام سيف النصر، وهدايت سيد أحمد وقلت لهما أنى أريد أن أنضم إلى تنظيمكم. ولكن قالوا لي : أنت صغيرة ولا تستطيع أن تتحمل مسؤوليتك، وهذه مسؤولية فيها سجن، ولكن من المفيد جداً أن تكملي وتفهمي وتتعلمي وبعد ذلك تقررين عندما تكبرين.

وظلت الفكرة بداخلي. وبعد سنتين تقريباً انضممت إلى مجموعة داخل الحزب الشيوعي المصري (الراية) من خلال إنجي أفلاطون وزوجها المرحوم حمدى أبو العلا، حيث شجعوني وقالوا لأقاربي لماذا ترفضون طالما هي مصرة على الانضمام.

وبالتالي أنا لم أختر التنظيم تماما لأن هؤلاء الناس هم من كانوا حولي، وكان هناك كلام سيئ عن المجموعات الأخرى .

ولم أكن أعرف كل الزملاء في التنظيم، حيث كنا نعرف بعض بالأسماء الحركية فقط. وأول عمل لي في الحزب كان كتابة بيانات ومنشورات الحزب على آلة كاتبة، وفي هذه الفترة كانت مجموعة الراية تتمصر وترفض الماضي الأجنبي للحزب الشيوعي. وفوجئت بهم يقولون لي إنني لا يجب أن أقرأ أي شئ في الفكر الماركسي بل أقرأ فقط منشورات وبيانات

الحزب الشيوعي المصري. وطبعًا هذا أفادني كثيراً في قراءتي باللغة العربية، لأني تربيت في منزل كان الحديث يدور فيه باللغة الفرنسية، وفي هذه الفترة اعتكفت فعلا على قراءة بيانات الحزب وأتذكر أنها كانت بيانات عن الإصلاح الزراعي، وعن الحركة الوطنية، وعن طبيعة النظام الناصري وهذه القضية الأخيرة كانت تأخذ كلامًا كثيراً جداً. حيث انقسمت المجموعات حول دور جمال عبد الناصر وحركة الضباط الأحرار إلى مجموعتين، فجزء كان يراها وطنية وثورية، والجزء الثاني (والراية كانت منهم) كان يراها حركة عسكرية جاءت بمساعدة الأمريكان وأوقفت المد الثوري الذي كان موجوداً في البلد منذ سنوات. فمنذ نهاية الأربعينات كان في مصر مد ثوري عالٍ جداً، مد وطني وفي الغالب مد اجتماعي ورفض لغياب المساواة، وحتى في الأوساط الإقطاعية بدأت تنتشر فكرة إصلاح زراعي ما لوقف هذا المد الثوري.

ومع الراية كنت مقتنعة بأن الحركة حركة عسكرية وليست حركة ثورية في الأعماق. لكن بعد ذلك وأنا أناضل في الحركة حضرت التوحيد بين المجموعات الثلاث : حدتو، حزب العمال والفلاحين ، والراية، وتم التوحيد بينها وسمي الحزب الجديد بالحزب الموحد، لكن رغم التوحيد ورغبة الزملاء جميعًا في التوحيد، إلا أنه كانت هناك مفارقة، فكل فرد تمسك بمجموعته وأدى ذلك إلى حدوث أشياء غريبة مثل أن تسرق مجموعة مطبعة مجموعة أخرى. وأتذكر أني استغربت من هذا السلوك داخل حزب موحد، حتى جاء عام ١٩٥٩ وتم القبض على الكل، من مجموعات مختلفة، وعلى حسب الكلام الذي سمعته أن المناقشات والخلافات استمرت في السجن وأن التوحيد كان توحيداً شكليًا، وليس توحيداً في الأساس. حيث كانت رغبة فقط عند جميع الزملاء، فالكل يرى ضرورة التوحيد وأنه لا يوجد داعٍ لانقسامنا إلى ثلاث مجموعات ضعيفة. إلا أن هذا لم يتحقق في الواقع واستمر الخلاف الأساسي حول طبيعة النظام الناصري بين المجموعات، وفي الغالب بين الأفراد.

بعد ذلك انتقلت من شغل الآلة الكاتبة إلى دور آخر استخدمت فيه معرفتي باللغة الفرنسية في مكتب العلاقات الخارجية، وهو ترجمة منشورات وبيانات الحزب إلى اللغة الفرنسية وترجمة المقالات من الفرنسية إلى العربية، وفي هذه الفترة حدث في فرنسا توحيد بين فرق اليسار، وهذا كان مهمًا جداً بالنسبة لنا، فكنت أترجم إلى اللغة العربية كل الكلام الذي يصدر في فرنسا عن ذلك ولم تكن توجد منشورات سرية، حيث كان الحزب علنيًا.

لم يكن لى دور ريادى أو أساسى، ولم أشترك فى الحركة الجماهيرية، حيث كان هناك إصرار على أن أظل فى الجهاز السرى، لأنى كنت ما أزال جديدة فى الحزب وكان الحزب مصراً على أن يظل هناك أناس غير معروفين، و كان هذا يشعرنى بنوع من الكبت لرغبتى الشديدة فى الاشتراك فى العمل الجماهيرى. وفى هذا الوقت كان فى الجامعة حركة نشطة، فقررت ذات مرة ألا أطيع تنظيمى واشتركت فى مظاهرتين أساسيتين ضد تعذيب المناضلات الجزائريات عام ١٩٥٦. حيث تخلقت فى أوساط الجامعة حركة للدفاع عن جميلة بوحريد، وجميلة بوباشا وكل المناضلات الجزائريات اللاتى قبض عليهن الفرنسيون وعذبوهن. فعملنا مظاهرة بنات، وكانت معى ليلى الشال وغيرها من المناضلات اللاتى كن يشتركن فى الحركة الجماهيرية. وطبعًا كان معروفًا فى هذه الفترة أن هناك جواسيس فى الحركة، لذا كانت فكرة السرية مطلوبة جداً للاستمرار.

وأعتقد أن وضعى الطبقى لم يؤثر فى تعاملهم معى، لأنى كنت أناضل فى وسط مجموعة أعرفها جميعا، وكلهم إلى حد ما من طبقتى إلا بعض الاستثناءات .

وطوال حياتى لم أتأثر بأى فكر آخر غير الفكر الشيوعى بالرغم من أن عائلتى كانت عائلة سياسية وكنت مستاءة جداً من الأحزاب البرجوازية الرسمية فى مصر. فبالرغم مثلا من أن الوفد حزب جماهيرى، لكن كنت أعرف أن قادة الوفد لهم علاقة بالسرايا، وقد انتقل والدى من الحزب السعدى إلى حزب الوفد باعتباره الحزب المكتسح فى الانتخابات فى نهاية الأربعينات، ولم يعجبنى سلوكه فى هذه الفترة. وكنت مشدودة إلى الحركة الاشتراكية.

نشاة التنظيم :

ما أعرفه عن تنظيم الراية أنه تكوّن عندما عاد بعض الأساتذة مثل الدكتور فؤاد مرسى والدكتور اسماعيل صبرى عبد الله من باريس، بعد أن حصلوا على الدكتوراه فى الاقتصاد فى نهاية الأربعينات، وكانوا مقتنعين بالفكر الماركسى. فأسسوا الراية، وأصروا على فكرة القطع مع الأجانب وأن يكون هذا الحزب مصريًا من الصميم، جذوره مصرية، قراءته عربية، اهتماماته هى الحركة التقدمية فى مصر. ورفضوا تماما التأثيرات الخارجية رغم العلاقات التى ظلت مستمرة بين الراية والحزب الشيوعى الفرنسى أوالحزب الشيوعى الإيطالى، حيث كانت العلاقات معهما مهمة فى هذه الفترة. وكان هناك نوع من الاحترام من هذه الأحزاب للنزعة

المصرية والرغبة فى القطع مع أجانب مصر الذين لعبوا دوراً فى الحركة المصرية. وكان هناك مجلتان رئيسيتان هما الراية، ومجلة أخرى كانت تصدر عن التنظيم الموحد. وأتذكر الراية، وكانت فيها أفكار متفرقة، ولم أشعر بأن لها دوراً فى نشر الأفكار الماركسية، وإنما ورقة داخلية توزع علينا فقط. ولكن ربما لم يكن بإمكانى الحكم بشأن هذا الموضوع، لأنى كنت ممنوعة من أن أوزعها حتى على زملائى فى الكلية، وبالمناسبة بعد ١٩٥٩، ساعد زملائى هؤلاء فى تهريب بعض الأفراد المقبوض عليهم. أما فى فترة ما قبل ٥٩ فكان ممنوعًا تماما أن أتكلم عن نشاطى. عمرى ما سمعت عن أصداء النشرات الخاصة بتنظيمنا فى خارج مجموعتنا.

مدى ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة والفلاحين :

فى البيانات التى كنت أكتبها على الآلة الكاتبة وفى المنشورات وفى ترجماتى لها كان يتضح لى وكأن هناك قاعدة هامة جداً للعمال. بعد ذلك فى نهاية ١٩٥٨ وقبل القبض عليهم عرفت من بعض الناس أن كل هذا الكلام زائد عن الحد وأن حجم العمال والفلاحين ضئيل جداً فى المجموعة، ولم أعرف بالضبط مدى ضآلته أو مدى أهميته داخل الحزب وعرفت أن أغلبية المناضلين كانوا من البرجوازية الصغيرة أو الكبيرة.

وكان يقال -حتى فى مجموعتنا -أن حدتو والعمال والفلاحين كانت لهم قاعدة جماهيرية أكبر، حدتو فى البرجوازية الصغيرة ، والعمال والفلاحين فى الطبقة العاملة، أما مجموعتنا فكان معروفًا أنها مجموعة دكاترة و قليلة الاتصال بالجماهير.

هل كانت هناك محاولات لدراسة الواقع المصرى :

كل ما ذكرته كان يعبر عن رغبة فى دراسة الواقع المصرى. وأتذكر بالأخص عمل فؤاد مرسى عن الإصلاح الزراعى، فقد كانت محاولة جادة لدراسة فئات الفلاحين المختلفة كالمالك وغير المالك، أتذكر أنى قرأت كثيراً عن هذه الفئات، وعن دور الاستعمار فى مصر. ولكن لا أذكر أنه كان هناك دراسات مهمة عن التعليم أو المؤسسات المدنية مثلاً.

وكانت الثقافة الشيوعية تنتشر وسط المثقفين من خلال قراءة الروايات العالمية مثل عناقيد الغضب، أو قراءة شعر شيوعي للوركا وأراجون الخ، بمعنى أنه كانت هناك ثقافة عالمية شيوعية لا تدخل فيها الثقافة المصرية أو العربية.

الاستراتيجية والتكتيك :

كان هناك كلام كثير عن الاستراتيجية والتكتيك. والاستراتيجية كانت الوصول إلى مجتمع لاطبقى، تسود فيه الرفاهية والعدل ..الخ ولكن كان هذا يوضع على جنب، بينما ظل الكلام الأساسى فى التكتيك. وكانت هنالك اختلافات كثيرة، وأنا بصفتى إنسانة مثالية دخلت الحركة بأغراض وأهداف مثالية، كنت أزهق كثيراً من التكتيك، لأنى كنت أشعر بأن هناك شيئًا انتهازيًا، وغير أخلاقى. فالتكتيك كان هو طريقة العمل اليومى، وكان هناك اختلاف كبير كما ذكرت بين المجموعة التى ترى أننا يجب أن نتعاون مع نظام الحكم الناصرى وبين المجموعة التى ترى أننا يجب أن نصل إلى هدمه أو رفضه، ومن ثم كان هناك اختلاف كبير فى التكتيك بين الاثنين. ولكن كان التكتيك السائد هو التعاون، لذلك استغربت جداً عندما حدثت حركة القبض ١٩٥٩ .

وطبعاً كانت هناك لائحة تنفيذية إلا أننى لا أتذكر بنودها الآن، أتذكر فقط أننا كنا نعمل بجدية شديدة، وكنا نجتمع فى الأسبوع مرتين. وفى الجزء الأول من الاجتماع يعرض كل فرد ما جمعه من أخبار فى خلال ٥-١٠ دقائق، بحيث يتم فى النهاية معرفة الأحداث الكاملة التى تجرى فى العالم الخارجى والعالم العربى ومصر، وكل هذا من خلال قراءة الجرائد. والجزء الثانى من الجلسة معرفة أدبيات الحزب، بمعنى قراءات فى الاستراتيجية والتكتيك، ومتابعة التكليفات السابقة وأتذكر ذات مرة أننى تلقيت لومًا لأنى انشغلت ببحثى بالكلية وأهملت تكليفى الحزبى فى هذه الفترة. قيل لى يا زميلة هذا لا ينفع. فلا بد من إعطاء ساعتين على الأقل فى اليوم لعملك الحزبى، ولا يصح أن تقولى أننى لم أكمل عملى الحزبى لأى سبب. وكان هذا تعاملاً صارمًا جداً.

أما الجزء الثالث من الاجتماع فكان حول ماذا نعمل بعد ذلك وما هى التكليفات الجديدة؟ مثل ما هى المواد التى نختارها للترجمة وكيفية توزيعها علينا، أوالتحضير لمؤتمر الحزب. كان علينا عمل كثير جداً وكنت أتصور فى هذه الفترة أن هناك جهازاً شعبيًا كبيراً، ولكن اتضح

لى أنه القراءة والكتابة كانت أكثر من الشغل العملى، فكنا نسعد عندما نعلم أن عمال شبرا الخيمة الشيوعيين لهم حركة ودور وسط العمال. وهذه كانت فرحة كبيرة جداً كانت تخرجنا من الورق الكثير الذى نقرأه ونكتبه.

الديمقراطية داخل الحزب :

كانت هناك ديمقراطية على الأقل وسط المجموعة التى كنت فيها، فكنا نستطيع أن نقول فيها رأينا بحرية، ولكن كان هناك مبدأ وهو أن نقول رأينا كما نريد، ولكن إذا انتصرت الأغلبية، يمكن أن تحتفظ الأقلية برأيها، إلا أنها يجب أن تخضع للقرار. وكنا عادة نخضع لهذا المبدأ ولا نحاول أن نقوم بأية انقسامات.

وأتذكر المجموعة الأولى التى كنت أكتب فيها آلة كاتبة، كانت حوالى ٤-٥ أفراد، أما مجموعة الترجمة فكانت حوالى عشرة أفراد. والمجموعة الثالثة التى انتقلت إليها كانت تقوم بعمل نظرى كمناقشة الاستراتيجية والتكتيك إلا اننى لم أحضر معهم أكثر من حوالى ثلاثة اجتماعات، ثم بدأت حملة القبض ١٩٥٩. ولم أكن أعرف أى شئ عن المجموعات الأخرى داخل التنظيم.

رأى التنظيم فى قضية تطبيق الثورة الاشتراكية :

الموقف العلنى للتنظيم هو أنها يجب أن تتم على مرحلتين، ولكن كثيرين منا كانوا يرون أنها يجب أن تكون مرحلة واحدة، ولا يجب أن نفرق بين العمل الوطنى والعمل الاجتماعى.

واختار الحزب الموحد مقولة المرحلتين بمعنى أنه يجب أن نكمل الثورة الوطنية قبل الانتقال إلى الحركة الاجتماعية.

دور المحترفين فى العمل :

طبعاً كان للمحترفين احترامهم، لأنهم كانوا يعطون كل وقتهم للحزب، إلا أنهم من ناحية أخرى كان عليهم لوم أو عتاب. لأنهم بهذه الطريقة كانوا يفقدون الصلة بالمجتمع ويتحولون إلى محترفين ضيقى الأفق ولا يهتمون إلا بالمهام الحزبية الضيقة.

الموقف من وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ :

كانت هناك فرحة بالوحدة لأنه لم يكن هناك مبرر لوجود ثلاثة أحزاب كما ذكرت، ولكن كان هناك أيضًا شعور بأنها وحدة على الورق، حيث لم يتصاف الأطراف من الداخل تجاه بعضهم. وهذا هو الوضع الذى استمر، وأحزننى دائمًا وما زال يحزننى.

الموقف من اليهود والأجانب بشكل عام :

اتذكر أننا ناقشنا فى أحد اجتماعات الحزب ضرورة أسلمة اليهود، إلا أن مجموعتنا داخل الحزب كانت ترفض ذلك، لأننا كنا أمميين، ونرى أن البشر واحد أيًا كانت دياناتهم يهودية أو مسيحية أو إسلامية طالما دخل الإنسان فى حركة شيوعية، بمعنى أنه دخل فى شئ يتجاوز كل هذه الخلافات والتقسيمات.وبالتالى لا يصح أن يطلب منهم ذلك، وكان مبرر الحزب لهذا المطلب هو علاقة هذا الموضوع بإسرائيل والعدوان الثلاثى فى هذه الفترة، إلا أننا كنا نرى أن هذا ليس له معنى، ولكن قبلنا القرار فى النهاية لأنه قرار أغلبية.

لم يكن لى دور فى ١٩٤٦، إذ كنت فى هذا الوقت تلميذة صغيرة ولكن قامت بنت بقذفى بالطوب وأنا فى المدرسة فى تلك السنة، حيث كان معروفًا أنى حفيدة إسماعيل صدقى، ويعتبر هذا شرارة أول وعى سياسى لى بشكل طفولى فقد أفزعنى ذلك وشعرت أن هناك شيئًا خاطئًا وأدركت أن الشعب ضد ما يقال فى بيتنا، وفهمت أن الناس ضد معاهدة صدقى-بيفين، واتذكر أنى سألت جدى عندما أقيلت الحكومة فى ذلك الوقت عندما وجدت العائلة كلها حزينة، هل أنت زعلان؟ فرد علىّ مبتسمًا: لا، فأنا حاولت أن أعمل ما رأيته صحيحًا والناس رفضته وانتهى الأمر.

ومدرستى كانت تنقسم إلى مجموعات : مجموعة كانت مسلمة وواضح أنها كانت وطنية، ومجموعة تتكلم الفرنسية وأغلبهم يهود، وأنا كنت فى الغالب أقرب لهذه المجموعة الأخيرة من منطلق اللغة لأن لغتى العربية كانت ضعيفة بينما كنت أجيد الفرنسية.

القضية الفلسطينية :

بالنسبة لموقفى: لم أكن أفهم القضية أيامها بالضبط. كنت أفهمها كشعار، بمعنى أنى كنت أعى تمامًا أنى ضد إسرائيل وضد العدوان الثلاثى، وكان هذا أكثر من وعيى بالقضية

الفلسطينية، ولم أدرك أهمية القضية الفلسطينية إلا بعد ذلك بسنوات عندما بدأت المقاومة في ١٩٧٥ فأدركت وقتها أنها كانت ورقة تلعب بها الحكومة ولا تدافع عنها بشكل صادق، ولا مجموعاتنا أيضًا.

الموقف من تنظيمات الثورة :

كنت ضد كل هذه الأشكال، حيث كنت أشعر أنها مجموعات بوليسية جاءت لتفرض سيطرة الحكومة على الحركة الجماهيرية،والالتفاف على الحركة النقابية التي كانت قوية قبل ١٩٥٢. وكان هذا أيضًا رأي الحزب.

الموقف من ضرب السلطة للإخوان المسلمين ١٩٥٤ :

كنت ضد هذا على أساس أن الإخوان جزء من الحركة الوطنية حتى لو كنت مختلفة معهم فكريًا.

الموقف من مؤتمر باندونج وصفقة الأسلحة التشيكية عام ١٩٥٥ :

اشتركت في المؤتمر الكبير الذي عقد بهذا الشأن في الجامعة، وكان هناك انفعال وتأثر في القاعة كلها، وهذه كانت من الأشياء التي تجاوزت التنظيمات، فالكل كانوا سعداء جداً بإعلان فكرة العالم الثالث في هذا المؤتمر.

أما بالنسبة لمشروعات الأحلاف العسكرية فكنا ضدها تمامًا.

الموقف من قوانين الإصلاح الزراعي :

كنت أراها جيدة إلا أنها ليست جذرية، وفي الغالب كان هذا رأي المجموعة. لأن هذه القوانين لم تصاحب بحركة فلاحية ديمقراطية، بمعنى أن الذي قام بالإصلاح الزراعي هم موظفون من الحكومة وليس الفلاحون أنفسهم.

وكنت أشعر بذلك حتى من واقع عائلتي الإقطاعية. فمثلا خالي "عزيز" كانت لديه أرض في زفتى، وانضم إليه الفلاحون ضد موظفي الحكومة، لأنهم كانوا يرون أن هؤلاء أتوا لكي ينهبوهم وأن الإقطاعي- بسبب معايشتهم له- يمكن أن ينفعهم في أشياء. أما هؤلاء الموظفون

فلم تكن هناك ثقة بهم.

كانت لى وجهة نظر أخرى ترتبط بالديمقراطية، حيث لم يفتح الباب الذى يجعل الفلاحين هم من يقومون بالإصلاح الزراعى.

الموقف من قرارات التمصير وتأميم قناة السويس :

سعدت جداً بذلك، وكنت أرى أنها صحيحة، وفرحت بشدة أيام تأميم القناة. لأنه كان واضحًا أنه مطلب عام وجماهيرى، وكل فرد عاشه بفرحة .

ولكن بعد ذلك أدى غياب الديمقراطية إلى جعل هذه الأشياء تدار بشكل بيروقراطى يعزز سيطرة الحكومة على الكل.

الموقف من العدوان الثلاثى وانتخابات ١٩٥٧ :

اشتركت عام ١٩٥٦ فى الحركة الجماهيرية أثناء الحرب. فذهبت إلى الهلال الأحمر، ولكن لم يكن هذا فقط مع عناصر حزبية، بل أتذكر أن كل دفعتى فى الكلية ذهبت معى وتعلمنا التمريض وكيفية أخذ عينات الدم. وهذه كانت تجربة مهمة جداً بالنسبة لى لأن الآفاً من النساء الشعبيات حضرن للتبرع بدمهن وقلن إنهن لم يستطعن أن يقدمن شيئًا لأولادهن فعلى الأقل يقدمن لهم دمهن. وكان هذا شعوراً جميلاً جداً. لدرجة أننا حزنا لأن الحرب توقفت بسرعة لتدخل الروس والأمريكان. كنا نريد أن نكمل النضال ولكنهم أعادونا إلى بيوتنا. وطبعًا النظام الناصرى كان ديكتاتوريًا دائمًا. فقد طالبنا فى هذه الفترة أن تبقى لجان المقاومة الشعبية وتنتقل من التمريض إلى العمل فى الأحياء مع الفقراء أو فى التدريس.....الخ، إلا أن كل ذلك مُنع وتوقفت لجان المقاومة.

وأتذكر أيضًا أنى اشتركت فى انتخابات ١٩٥٧ عندما أعطى عبد الناصر حق التصويت للمرأة، على أساس أن تذهب النساء إلى أقسام أحيائهن وملأن استماراتهن فقلنا سوف لا تذهب واحدة لملء أوراق، وإنما مشينا فى الأحياء شارعًا شارعًا ودخلنا بيتًا بيتًا لكى نعمل بطاقات للنساء. وفى الغالب كنا نستقبل بشكل جيد حتى من الرجال. وكانت النساء متحمسات لعمل ذلك. وأحيانًا أخرى كن يرفضن ويقلن: اهتموا بدراستكن وشغلكن.

وهاتان الحركتان الجماهيريتان قمت بهما ليس بشكل مباشر مع التنظيم ولكن عرفت بعد ذلك أن التنظيم كان وراءها.

وحدة مصر وسوريا :

كان الموقف مضطربًا على أساس أننا كنا نرى أن هناك سيطرة من مصر على سوريا وبداية سيطرة على العالم العربى، وكنا نراها خطيرة لأنها موجهة بشكل أساسى ضد الحركة الشعبية العربية (العمالية والتقدمية) وأن البرجوازية الوطنية التى تمثلها الثورة والحكومة كانت قامعة وسوف تفرض ديكتاتورية على هذه البلاد. وفعلا تم القبض على الناس فى ١٩٥٩. ليس فى مصر فقط وإنما فى سوريا وبعد ذلك فى العراق.

الموقف من سياسة الاتحاد السوفيتي :

كنا نؤمن بأن الاتحاد السوفيتى جنة فى الأرض، ومثل أعلى، ونرفض أى انتقاد له أو أى كلام ضده، ونعجب بدوره مع العالم الثالث.

أما الثورة الصينية فقد خلقت لدينا حماسًا شديداً جداً، لأننا كنا نعلم أن ظروف الحركة فى الصين قريبة من الواقع المصرى، لأنها أساسًا ثورة فلاحين، وقد استطاع ماوتسى تونج والقادة الصينيون أن يغيروا تطبيق الماركسية حسب ظروفهم، وبالتالى كنا نرى أن هذا هو ما يجب أن نعمله داخل بلادنا.

وفى أحداث المجر كانت هناك لخبطة فقد كان هناك أناس ضد المجر، حيث كانوا يرون أن الاستعمار قد أثر على المجريين، وآخرون يرون أن دور الاتحاد السوفيتى ربما كان قمعيًا، ولكن فى الغالب كان الرأى السائد أنها دعاية استعمارية ونفوذ استعمارى فى هذه البلاد، وذلك على العكس من انبهارنا بالصين والاتحاد السوفيتى.

الصراعات السياسية داخل المعتقلات والسجون :

أولا كانت هناك مجموعة لم تدخل السجن وكنت على صلة بهم، وكانوا مع الخط الواحد، أى التوحيد بين الحركة الوطنية والحركة الديمقراطية وقررت هذه المجموعة أن تنشر ذلك خارج مصر حيث سافر أحد الأفراد (د.سمير أمين) ونشر كتابًا باسم آخر وكان الاتفاق أن ينشر فى الخارج ثم يترجم باللغة العربية ويرجع مصر ويعمل حركة، ولكن كل هذا لم يحدث.

وما أعرفه أن الصراعات ظلت داخل السجن ولكن مع حقيقة وجود معيشة جماعية، حيث كانت هناك حياة عامة ودروس ومسارح. الخ، ثم بعد ذلك بدأت فكرة حل الحزب داخل السجن وأتذكر أنهم اتهموا بأنهم قاموا بالحل من أجل الخروج من المعتقل.

حل الحزب :

ظاهريًا كان حل الحزب معناه الدخول فى الاتحاد الاشتراكى، وكانت سمعته أفضل من تنظيمات الثورة السابقة عليه(هيئة التحرير- الاتحاد القومى). والسبب الأساسى الذى كان يقال هو أن الشكل التنظيمى للشيوعيين -فى النهاية- لم يكن حزبًا، وبالتالى فإن حله أفضل من استمراره هكذا.

الطابع الانقسامى للحركة وأسباب أزمتها :

يرجع ذلك بالأساس إلى عدم جماهيرية الحزب، فالمعيار الذى يفرض صحة الأشياء غير موجود، والمعيار الشعبى معيار مهم فى حركة حزبية، مع الطابع البوليسى للحكومة وانعكاسها داخل التنظيمات. بالإضافة إلى وجود فجوة بين القيادات المثقفة التى تستطيع أن تتكلم وتقنع حتى -وإن كان هذا الإقناع ليس عميقًا - البرجوازية الصغيرة (إذا اتفقنا على أنه لم يكن هناك جماهير بمعنى الكلمة) التى يمكن أن يكون لديها رد فعل سليم، ولكن لا تستطيع أن تثيره كما تفعل هذه القيادات.

ومن الرفاق الذين أدوا أدواراً مهمة. د. فوزى منصور ود.سمير أمين (حيث لعبا دوراً مهمًا فى نقل الوعى فى الداخل)، ود.عبد العظيم أنيس (وكانت لديه دائمًا أمانة وذكاء تجعله يضبط المواقف، ولعب دوراً مهمًا فى الربط مع المجموعات العربية)، وإنجى أفلاطون.

وكان لى دور مع إنجى أفلاطون، حيث كنا معًا فى مجموعة الترجمة. ثم بعد ١ يناير عندما بدأت الاعتقالات استطعت توفير مكان لتخبئتها لدى أصدقائى فى شبرا، وكنت أنا الصلة بينها وبين المجموعة داخل السجن. وبينها وبين أهلها لتوفير احتياجاتها. وظلت هاربة حوالى ثلاثة أشهر حتى تم القبض عليها.

بعد ذلك انتهى دورى الحزبى. ومازلت أشعر بنقص، رغم اشتراكى فى كثير من المجالات العامة، ما زلت أشعر أن فعلى فى الحياة لا يتماثل مع وعيى العميق بضرورة التغيير الثورى فى أحوال مجتمعاتنا العربية.

شهادة

بهيج نصار

البيانات الشخصية

الاســـــــــــم : مصطفى بهيج طه مصطفى نصار (اسم الشهرة بهيج نصار)

محل وتاريخ الميلاد : ٢ يناير ١٩٢٣ - فى القاهرة

المـــــؤهــــــلات : تخرجت فى الجامعة، كلية الآداب قسم فلسفة. ثم ذهبت رغما عنى، بفرض من والدى حتى يطمئن على مستقبلى الوظيفى، ملتحقًا بمعهد التربية.

المـــــــهــــــنـــــة : أصبحت مدرسًا وموظفًا بالدرجة السادسة. بعد عامين خرجت من التدريس وعملت فى المجال الإعلامى كصحفى، ثم بعد ذلك تركت العمل الصحفى، وأصبحت مستغرقًا فى حركة السلام والحركات السياسية كاملا.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : حوالى ٢٠ عامًا.

فترة السجن والاعتقال : سجنت واعتقلت فقط فى عهد جمال عبد الناصر حوالى أكثر من عشر سنوات، سنة ونصف وأنا أعارضه، وبقية الأعوام مؤيدا له، وكانت أقسى سنوات التعذيب ونحن نؤيده.

بيانات عائلية :

كان هناك ميل للسياسة بدأ فى المدارس الثانوية، ولازلت أذكر المظاهرة الأولى التى شاركت فيها فى المدرسة الخديوية - كان ذلك قبل الحرب العالمية الثانية وكنت صبيًا صغيراً فى الصف الأول الثانوى. سعدت بالمظاهرة، وبهتاف يحيا الوطن، وأنا خارج من الباب، إذ بى أواجه وأفاجأ فى نفس الوقت بكونستابل بريطانى على اليمين وكونستابل آخر على اليسار بريطانى أيضًا، وكل واحد منهما شاهراً مسدسه فى وجه أى طالب يخرج، ففوجئت. المسألة إذن جادة.

خرجت للشارع، وتم حصارنا دون أن ندرى، ولكنى أيضًا أدركت حقيقة أخرى، أن هناك أناسًا وطنيين- فإذا بسيارة من سيارات الاوتوبيس تخترق العسكر الذين كانوا يحاصروننا، ثم تقف وسطنا من أجل أن نقفز إليها، ثم تنطلق بعد ذلك. كان هذا درسًا بسيطًا وعظيمًا ..

---

* أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب وأ. نجاتى عبد المجيد عضوا لجنة التوثيق

أدركت أن المسألة جد وأن هناك مصريين وطنيين.

كيفية الانضمام للحركة الشيوعية :

في المدرسة الثانوية بدأت أتعرف على بعض القضايا السياسية بشكل متفرق وطبعا غير عميق. كان اتجاهي مثل اتجاه والدي وفدياً، ويحيا الوفد، والاستقلال التام أو الموت الزؤام.

ولكن لازلت أذكر بوضوح أنه بالقرب من مسكني في شارع جوهر القائد بالدراسة، كان هناك حلاق.. فقير جداً، كنت أقص شعري عنده، وكان يروي أحاديث عن الفقر، وكيف أن أهل الموسكوف – وعرفت بعد ذلك أنه يقصد موسكو – قد تمكنوا من أن يواجهوا الفقر ويصلحوا من أمورهم، وكانت هذه هي أول معرفة لي بأهل الموسكوف، وبأن هناك أناسًا حاولوا أن يعالجوا مشكلة الفقر. كان الرجل طبعًا لا يعرف شيئًا غير ذلك وأن غداً سنكون مثل أهل الموسكوف، فلماذا فقط أهل الموسكوف؟ فقط لا غير؟

التحقت بالجامعة – كلية الآداب – قسم الفلسفة، فتعرفت بشكل أوضح على ما كان يفعل أهل الموسكوف. كان ذلك في العام الأول من دخولي الجامعة سنة ١٩٤٢. أول منظمة عملت فيها هي منظمة (الخبز والحرية) عن طريق أنور كامل الذي كان يحضر محاضرات الفلسفة هو وبعض الاصدقاء، وكان على علاقة بدكتور لويس عوض، وإلى حد ما ألقى به لويس عوض إلينا، بشكل أو آخر، وتعرفت منهما على الاشتراكية والشيوعية. غير أن تجربتي مع جماعة (الخبز والحرية) كانت تجربة غير مريحة، كان كل همهم القاء الحديث مجرداً، وهذا كان تصورهم لأننا في قسم الفلسفة، كان حديثهم عن الشيوعية وأهل موسكو الذين يواجهون الفقر حديثًا نظريًا مجرداً بحتًا عن التناقض، عن المادية الجدلية، عن المادية التاريخية، دون أن أتكشف من خلال هذاالحديث كيف تمكن أهل الموسكوف الذين كان يحدثني عنهم صديقنا الحلاق من أن يواجهوا مشكلة الفقر . فقد اقتصرالحديث على النظرية.. كنا نتلقى المحاضرات في الجامعة وخارج الجامعة في حديقة الأورمان. عن هذا الطريق عرفت المنزل الكائن في شارع القصر العيني والذي تبين فيما بعد أنه كان منزل أنور كامل. ثم انتهت علاقتي بمنظمة أنور كامل حينما ألقي القبض على عدد من أعضاء هذه المنظمة، منهم بعض اصدقائي الذين كانوا يشاركونني دراسة الفلسفة، وهم مصطفى سويف الذي أصبح أستاذاً في الجامعة بعد ذلك ثم صديق آخر اسمه محمد جعفر عمل في سلك التدريس. وتم القبض على أنور كامل وبعدها انتهت تجربتي مع الخبز والحرية، وهي تجربة لم تكن ناجحة على الاطلاق بالنسبة لي

لأنهـا لم تقـدم لى الإجـابة عن كيف تمكن أهل الموسكوف - الاتحـاد السـوفـيتى - من أن يواجهوا قضية الفقر.

بدأت بعد ذلك أبحث عن أى منظمة أخرى، فووجهت بمشكلة. تحدثت مع مصطفى هيكل (القلعة). وتحدثت مع بعض الناس الذين تبين لى من خلال معرفتى بهم أنهم يرتبطون بالمنظمة التى أصبحت (طليعة العمال).. أو مع المجاميع من المثقفين. وقمت بزيارة دار الأبحاث (إيسكرا) كما تعرفت على أصدقاء فى الحركة المصرية. وكانت المسألة بالنسبة لى بالغة الاضطراب، من منهم الصحيح ومن منهم المخطئ؟ ولم أتبين الفروق الواضحة بينهم وطبعًا كنت أسمع كثيرًا عن حفلات ايسكرا التى اتضح أن بعض ما يقال عنها مغالى فيه، ولكنى أيضًا لم أنجح فى تحديد أى منظمة أنضم لها بعد أن أصبت بمرض المثقفين وهو حيرتهم وشكوكهم. حتى جاءت مرحلة العمل الجماهيرى الواسع عام ٤٥-١٩٤٦. وهنا انخرطت كلية فى هذاالعمل، وكان واضحًا وبشكل جلى أمامى أن الشيوعيين الذين كانوا يتحركون بوضوح فى هذا العمل هم أهل إيسكرا -طليعة الزيات - والحركة المصرية، فتعرفت عليهم وانخرطت فى العمل معهم.

وكنت بالغ الحماس فى العمل الجماهيرى، كنت ألتزم بتوجيهاتهم، وكنت لم أنضم بعد تنظيميا وإن التزمت نضاليا. ولازلت أذكر أنه يوما ما، حين برزت فكرة تشكيل اللجنة الوطنية للطلبة والعمال، عقد اجتماع فى مدرج بكلية الآداب، الذى كنا نتلقى فيه محاضرات عامة فى الجغرافيا والتاريخ. فى هذا الاجتماع حاولت لأول مرة فى حياتى أن ألقى خطابًا من أجل الانتخابات. ولازلت أذكر كيف أن صوتى تحشرج، ولم يستمر الخطاب إلا فى حدود خمس أو ست جمل. كنا نرى ضرورة الانتخاب حتى يمكن أن نشارك فى اللجنة الوطنية التى عرفت باللجنة الوطنية للطلبة والعمال.

هذه المعركة أيضًا أشعرتنى بالبعد الحقيقى بينى وبين الإخوان المسلمين. لازلت أذكر موقف مصطفى مؤمن— زعيم الاخوان المسلمين فى الجامعة - وكان هو وأصحابه يميلون بشكل واضح للهجوم على الوفد، وطبعًا الهجوم على الشيوعيين. كما يميلون بشكل أو آخر إلى الاحزاب التى تتعاون مع القصر حيث أيدوا صدقى. ولازلت أذكر خطابه الذى قاله مدافعًا عن حكومة صدقى (واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صديقًا نبيًا) فأصبح كلام القرآن منطبقًا على إسماعيل صدقى، كان هذا نموذجًا واضحًا أمامى حول حقيقة الإسلام السياسى وحول

استغلال الاسلام بشكل بشع كما فعل مصطفى مؤمن. ثم قررت بيني وبين نفسي أن أرتبط بهؤلاء الذين يكافحون، أي الشيوعيون. غير أنه حدث أمر غريب، فما أن قررت ذلك، حتى انفجرت الحركة الديمقراطية، وتحطمت إلى شظايا بسبب خط القوات الوطنية الديمقراطية، وعادت حيرتي مرة أخرى.

قمت باتصالات واسعة لمناقشة اعضاء مختلف المنظمات، منهم بطبيعة الحال الأخوة في (د.ش) فبانت لي حقيقة اتجاه بعضهم أكثر وأكثر، ومن الطبيعي أننا كنا نعرف الاتجاهات هنا وهناك، بحكم علاقاتنا كطلاب وهي علاقات خاصة بيننا وبين بعض.

وأيضًا هناك الأخوة في «التكتل الثوري» والانقسامات التي نشأت عن التكتل الثوري وما أكثر الشظايا!! وبطبيعة الحال الكل يتهم الآخر، وهذه كانت مسألة مخيفة بالنسبة لي. أذهب إلى هذا فيتهم ذاك. أذهب إلى ذاك فيتهم الطرف الآخر.

لم أكن متبينًا في واقع الأمر حقيقة ما كان يدور. وأيضًا لم أكن مقتنعًا بكل ما يدور. لأن الذين يتهمون بعضهم كلهم أعرفهم وكلهم مناضلون بالنسبة لي، كانوا يكافحون ويناضلون في الفترة السابقة، غير أنهم أصبحوا جميعًا مرتدين. هؤلاء هم الخونة وأولئك عملاء الرأسمالية .. إلى آخر الاتهامات البشعة، والتي انتهت باتهامات بوليسية من منظمة م ش م (مشمش) لكل المنظمات.

وأذكر أننا كنا مجموعة من الأصدقاء، أنا ومحمود أمين العالم وصديق آخر هو عباس أحمد الذي أصبح من العاملين في الاذاعة والتليفزيون، ثم أمين عز الدين. وكنا ننتقل مع بعض هنا وهناك، ثم أصبح هناك نوع من الفرز بيننا، أمين عز الدين بعد ذلك اتجه للحركة النقابية، وعن طريق المجلس البريطاني ذهب لبعثة في بريطانيا. أما محمود العالم فتوثقت علاقتي به أكثر وأكثر، وكذلك عباس أحمد.

غير أن حيرتي انتهت حين عينت بعيداً في أحد مراكز الصعيد مدرساً في مدرسة ثانوية بمدينة مغاغة، وكنت أعود في الصيف لأواجه بنفس الخلافات الحادة .. وبعد عامين عدت للقاهرة لأنني كنت عازمًا على ترك سلك التدريس، وأن أذهب وأعمل في مجال الإعلام. عدت القاهرة، فقابلني محمود العالم بنبأ، وهو أنه انضم إلى نواة الحزب الشيوعي. الاسم براق. إذن هناك منظمة اسمها «النواة» وتسعى لتوحيد الشيوعيين. وقال لي العالم نريد أن نكون الحزب، فقلت له يدي في يدك نكافح لتكوين الحزب وننتهي من هذه الخلافات المتعبة. ولا أريد

طبعًا أن أستطرد فى التفاصيل الخاصة بنتائج المناقشات التى كنت أجريها قبل السفر للصعيد، مع مختلف المنظمات التى كانت موجودة، كان الانقسام مخيفًا. وكانت الاتهامات مخيفة. . هذا خائن، وهذا مرتد، هذا ..... من هو إذن الصحيح، السليم؟ لا تدرى. لهذا جذبتنى بشدة فكرة تكوين الحزب.

واود أن أسجل ملاحظات أربع على *الانفجارات التى حدثت والاتهامات التى ألقيت.*

الملاحظة الأولى أن الانفجار كان محصوراً فى الحركة الديمقراطية، ولم يمس على الاطلاق منظمة (د.ش).

الملاحظة الثانية أن الانفجار كان لسبب سياسى أولا وأخيراً وهو خط القوات الوطنية الديمقراطية، وأن كل الذين خرجوا على حدتو (وكذلك طليعة العمال) أخذوا يتبنون التصور الخاص بالديمقراطية الشعبية، وهى تعنى شكلاً من أشكال ديكتاتورية البروليتاريا، وكانت موجودة فى الصين، وهذا الاسم نفسه أطلق على نظام ديكتاتورية الطبقة العاملة فى بلدان شرق أوروبا.

وكانت الأفكار التى تتردد أمامى حول خط القوات الوطنية الديمقراطية أفكار متضاربة، خاصة فيما يتصل بالخلط بين الطبيعة الطبقية الحزب والمصالح الطبقية التى يدافع عنها الحزب فى هذه الفتره أو تلك. إلا أن الأمر الاساسى هو أن خط القوات الوطنية الديمقراطية كان يطرح تصورات مختلفة عن تصورات ديكتاتورية البروليتاريا وأشكالها فى الصين وبلدان شرق أوربا باعتباره الخط المناسب لمصر فى الظروف التى مرت بها حينئذ.

الملاحظة الثالثة، إنه إذا كانت الحركة الشيوعية عند تكوين الحركة الديمقراطية وقبلها قد ضمت شخصيات يهودية هنا وهناك لها نفوذها فإن الشخصيات الفاعلة فى اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ثم فى إحداث الانفجار كانت شخصيات مصرية، حتى الحركة الديمقراطية أصبح أغلبها حينئذ مصريين. كنت أعرف كمال عبد الحليم ولطيفة الزيات وعز الدين فودة، كان وقتها محاميًا، وشهدى عطية وكنت أعرفه حيث كنت أذهب إليه فى دار الثقافة... وغير هؤلاء من الذين قادوا النضال الوطنى ثم صنعوا الانفجار. نعم كان هناك يهود لكن نفوذهم أخذ ينحسر ولم يصبحوا القوة الرئيسية. كانت هناك شكوى من أن هنرى كورييل مسيطر، ولكن هؤلاء الذين قادوا النضال الوطنى الذى أسفر عن خروج القوات البريطانية من المدن المصرية واستقرارها فى منطقة القناة ثم قاموا بعد ذلك بالانقسامات والذين يحتدم النقاش

بينهم هم أساساً مصريون مع إضافة اليهود إليهم. وهذه ملاحظة هامة. إن نفوذ اليهود أخذ ينحسر بشكل واضح مع انخراط المنظمات الشيوعية في النضال الجماهيري والتحرري.

والملاحظة الرابعة أن مجموعة طليعة العمال والتي اشتهرت باسم «د.ش» أي الديمقراطية الشعبية بمن فيها من يهود كانت بمعزل عن ذلك ولم يتدخلوا إلا في حدود التصرفات الصبيانية التي يمكن أن تتم في مثل هذه الظروف : تعميق الخلاف هنا أو هناك، أو اعتبار كل هؤلاء الناس غير شيوعيين «فنحن فقط الشيوعيون».

هذه الملاحظات تبلورت في ذهني مع الأيام، ولفت انتبـاهي أيضـاً الدوامـة الهـائلة من الاتهامات المفزعة التي كانت قائمة على الرغم من أن كل هؤلاء الناس اثناء الهبة الجماهيرية سنة ١٩٤٥، ١٩٤٦ كانوا مناضلين ومواطنين عظماء.

ارتبطت كل هذه الامور في ذهني وأصبح طبيعيا أن يكون رد الفعل هو السعي إلى تكوين الحزب. هكذا وجدت البر الذي كنت أسعى إليه من أجل أن أرتبط عضويا بتنظيم شيوعي.

وبمجرد أن انضممت للنواة أصبحت عضواً في لجنة النشرة. وكان يرأس هذه اللجنة الرفيق فوزي جرجس، وأصبحت معرفتي به قريبة. هو إنسان لطيف جداً، ابن نكتة، يحب الطرب، واسع المعرفة بالفكر الماركسي وساعد في انتاج ما عرف بالكتيبات الخضراء التي نقلت الادب الماركسي إلى العربية، ولكنه حينما يتحدث في السياسة يصبح شخصاً آخر. لو اختلفت معه، فأنت بورجوازي صغير، مباشرة وبلا رحمة. وكنا بطبيعة الحال نناقش مواد المجلة، فنناقش السياسة، فأختلف معه أحياناً وسرعان ما يتهمني بالبورجوازية الصغيرة. وكنت طبعاً أتساءل أيهما أكثر في بورجوازيته الصغيرة- أنا أم هو؟ هو زعيم على كل حال. والشئ الذي لفت نظري، هو الحدة الشديدة في الأحكام القاطعة : الليل أو النهار، أبيض أو أسود، دون محاولة لمعرفة الجدل الذي يمكن أن يتم هنا وهناك، ومن ثم كان غياب القدرة على تطبيق الفكر الماركسي على الواقع. غير أن جلساتي معه كانت ممتعة ومفيدة سياسياً. واستمرت عضويتي في لجنة النشرة، إلى أن أصبحت مسئولاً عن الجهاز الفني.. حتى تم إلقاء القبض على فوزي وسعد المهدي وابراهيم عرفة فأصبحت المسئول عن النشرة، والجهاز بالتعاون مع صديقي ورفيقي شعبان حافظ. وكنت أقوم بإعداد النشرة، ثم إعداد نشرة أخرى هي «الى الأمام» والتي خصصناها للحوار مع المنظمات الاخرى من أجل تكوين الحزب، ثم أسافر للاسكندرية حيث يتم الطبع مع شعبان حافظ.

عندما عدت للقاهرة وتركت مهنة التدريس عملت في الاذاعة. وأصبحت لي علاقة بأجهزة الاعلام وبالاعلاميين. وكان هناك عباس أحمد الذى ارتبط بالنواة لفترة، ثم تركها وإن التزم بالفكر بعد أن ترك التنظيم. وأيضًا كنت أعمل وسط بعض العمال وفي وحدات عمالية، أقوم بالتدريس والتثقيف ومناقشة القضايا الجماهيرية وأتعلم منهم. وكنت أمارس عملي في هذه الفترة في إطار الحركة الجماهيرية التي تصاعدت مع عودة الوفد إلى الحكم والمطالبة بالغاء معاهدة ٣٦. وكانت نهضة الحركة الجماهيرية باستمرار تؤدى إلى سعى الشيوعيين إلى الترابط والتوحد، فعاد كثيرون من الذين تذمروا وتمردوا على حدتو إلى تنظيمهم السابق وكان أغلب المتذمرين والمتمردين من اسكرا. وتشكلت حدتو من جديد وبدأت تعمل من جديد. واستمر البعض الآخر في منظمات صغيرة مثل «النواة» و«النجم الأحمر» و«نحشم» وكلهم كانوا في الأصل من الحركة المصرية واسكرا ثم حدتو. كنا على صلة مع هذه المنظمات الصغيرة، وكنت أيضًا أشارك في الاتصال بهذه المنظمات ومناقشتها ودعوتها لأن تشارك في الكتابة والنشر في نشرة «إلى الأمام» حيث كنا نتبنى تقليداً كان يتم من قبل في روسيا القيصرية. فنحن لينينيون، إذن فلنسر على نفس نهج لينين حين أصدر «اسكرا» لتجميع الشيوعيين وبلورة فكر موحَّد لهم، ولتكن لنا نشرة كما فعل اسمها «إلى الأمام» لتجمِّع هذه النشرة المنظمات الأخرى ولنتحاور على صفحاتها فيكون هناك صراع فكرى بين فصائل الحركة يتوج بمؤتمر يؤسس الحزب. وكانت علاقات النواة طيبة بكثير من المنظمات الصغيرة لكن المنظمات الاخرى التي كانت تعمل مثل د.ش أو طليعة العمال والحركة الديمقراطية وتنظيم الراية الذى تشكل حينئذ ... كلها كانت بعيدة عنا.

على أنني أثناء عملي في الاعلام وفي المجال الثقافي، تعرفت على كثير من المرتبطين بتنظيم عُرف فيما بعد باسم «طليعة العمال»، الأمر الغريب أنه على الرغم من علاقاتي الشخصية بهم وسهراتي معهم، ومعرفتهم الواضحة بأني شيوعي - فأنا لم أخف هذه الحقيقة - لم يذكر واحد منهم كلمة واحدة عن الشيوعية، وكان هذا شيئًا غريبًا بالنسبة لي.

وأذكر أنه في يوم من الايام جاءني عبد الرحمن الشرقاوي، وكنت على صلة به، ليعرفني بأحمد رشدى صالح الذى أراد أن يصدر مجلة، وكنت أعرف أن أحمد رشدى صالح هو أحد قادة المجموعة التي كانت تتشكل منها رويداً رويداً منظمة «طليعة العمال». فرحبت وقابلت أحمد رشدى صالح، فإذا به يحدثني حديثًا مهنيًا خالصًا فلقد قرروا إصدار مجلة أو صحيفة

ومطلوب منى كمهنى أن أعمل معه، وكنت أتصور أن نتناقش فى الأهداف السياسية لما كان سيصدره. فلم أعد إليه بعد ذلك. هذه كانت صورة غريبة مع زملاء كانت علاقاتى بهم وثيقة، بل ونشأت علاقات عائلية مع بعضهم. ومع ذلك لم ينبس واحد منهم بكلمة واحدة أنه يرتبط بتنظيم شيوعى. طبعًا كان اتجاههم واضحًا فى مناقشاتهم السياسية العامة. بل وكنت أعرف أيضًا علاقتهم بتنظيم معين. غير أنهم التزموا الصمت. ولم يكن الشأن على هذا المنوال مع ابناء الحركة الديمقراطية. فقد كنا نلتقى بهم فى إطار العمل الجماهيرى، وكانت لى معهم مناقشات، وكنت وقتها من أنصار الديمقراطية الشعبية بوصفها نظامًا مناسبًا لمصر، ناقدًا فى نفس الوقت خط القوات الوطنية الديمقراطية. ومع ذلك لم ينقطع حديثنا معهم حول الاشتراكية العلمية الشيوعية. والمفارقة أن هذا الحديث كان يتم مع أصحاب خط القوات الوطنية الديمقراطية .. بينما لم يكن هناك أى حديث حول الاشتراكية والشيوعية مع أعضاء طليعة العمال الداعين إلى الديمقراطية الشعبية كشكل من أشكال ديكتاتورية البروليتاريا.

ثم قامت حركة الجيش عام ١٩٥٢ بعد تفكك النظام الملكى أمام ضغوط الحركة الجماهيرية، والجميع يعرف مواقف مختلف المنظمات من حركة الجيش. أيدت الحركة الديمقراطية حركة الجيش بحكم مشاركة أعضائها من ضباط الجيش فيما تم، أما المنظمات الأخرى ومنها تنظيم النواة فقد وضعت شروطًا للتأييد ثم سرعان ما أخذت الواحدة تلو الاخرى تقف موقف المعارضة، وكان أشد هذه المواقف وصف الفاشية الذى أطلقه تنظيم الراية على حركة الجيش. ورافق ذلك معارضة الاحزاب الشيوعية فى العالم لحركة الجيش.

وجسد هذه المعارضة تقرير أصدره الرفيق بالم دات (من قادة الحزب البريطانى) انتقد فيه بشدة موقف الحركة الديمقراطية وطالب الحزب السودانى بقطع علاقاته بحدتو ووقف تأييده لحركة يوليو المصرية. كان الوضع بالغ الغرابة : الحركة الديمقراطية وحدها هى التى تؤيد حركة الجيش فى مواجهة كل المنظمات الشيوعية المصرية والاحزاب الشيوعية العربية والاحزاب الشيوعية فى مختلف البلدان. وكانت الرؤية العامة عند هذه الاحزاب لحركة الجيش عام ١٩٥٢ أنها مثل الانقلابات العسكرية فى بلدان أمريكا اللاتينية التى كانت تساند المصالح الامبريالية وتضمن بقاء نفوذها. ثم أتى بعد ذلك تقرير بالم دات الذى يدين علنًا موقف الحركة الديمقراطية الذى صاغته من رؤية خاصة للأوضاع فى مصر، ومن معرفة بحقيقة الضباط الذين قاموا بهذه الحركة كضباط وطنيين. ولقد شكلت مواقف هذه الاحزاب

والمنظمات ضغوطاً هائلة على قيادة الحركة الديمقراطية خاصة أن المنظمات الشيوعية المصرية (ومنها حدتو) كانت منقطعة الصلة بقيادة الحركة الشيوعية العالم ومن ثم تعذر الحوار إذا ما نشأ تباين أو خلاف فى المواقف.

لقد نشأت حركة الجيش من ظروف بالغة التعقيد . كانت هناك حركة جماهيرية يشارك فيها أساسا حزب الوفد والمنظمات الشيوعية. ومارست هذه الحركة ضغوطاً على نظام الحكم فى مصر مما أدى إلى شرخ فى بنائه تمثل فى قيام الوفد – وهو فى الحكم – بالغاء معاهدة ٣٦ ثم قبوله عن رضى بحركة المقاومة المسلحة فى منطقة القناة ضد قوات الاحتلال البريطانى ثم تم صدام جنود البوليس مع هذه القوات. وأدى هذا الشرخ فى نظام الحكم المصرى إلى اضطراب شديد فى سلوك الملك الذى أخذ يشكل الوزارات بعد حريق القاهرة الواحدة بعد الأخرى ومن يوم لآخر، كان مستحيلا أن يستمر الوضع على ماهو عليه .

ولم يكن بين قادة حركة الجماهير بعد عودة الوفد (وهى الحركة الجماهيرية الكبيرة الثانية التى شارك فيها الشيوعيون منذ الحركة الأولى عام ٤٥-٤٦) لم يكن بينهم من يصلح لمواجهة الأزمة وتجاوزها. كان الشيوعيون عامة لهم تصوراتهم حول التحالف للنضال ضد الاحتلال البريطانى وأعوانه بين القوى المصرية، ونجحوا فى اقامة هذا التحالف إلى حد كبير. ولكن لم يكن لديهم تصورات حول ما يمكن أن يكون بديلاً عن الأوضاع القائمة التى تنهار أمام عيونهم، أى بديلا عن السلطة القائمة، اللهم إلا تصورات حول الديمقراطية الشعبية، هى أحد أشكال ديكتاتورية البروليتاريا، وهو ما كان مستحيلاً تنفيذه على ضوء الظروف السائدة حينئذ، محلياً واقليمياً ودولياً. فى مثل هذه الظروف بالغة التعقيد توافرت شروط أتاحت لتنظيم الضباط الاحرار كل الفرص للتحرك وتولى السلطة باعتباره التنظيم الوحيد الذى يملك القوة لتحقيق الهدف، أى أن ما حدث بدا وكأنه انقلاب من داخل السلطة قام به الجيش لإنقاذ الحكم، فصدر الحكم على أن ما حدث شبيه بما يحدث من انقلابات عسكرية اشتهرت بها بلدان امريكا اللاتينية، فأطلقت المنظمات الشيوعية شعار إسقاط الديكتاتورية العسكرية كما أطلق تنظيم الراية شعار إسقاط الفاشية. تنظيم واحد اختلف مع كل التنظيمات الشيوعية المصرية ومع كل الاحزاب الشيوعية فى العالم، وهو تنظيم «حدتو» لأن ما حدث بالنسبة له لم يكن مجرد قيام الجيش بالاستيلاء على السلطة لإنقاذ النظام القائم، إنما الذى نفذ ما حدث هو تنظيم سياسى للضباط الاحرار داخل الجيش كان بين قادته أعضاء شيوعيون من تنظيم

حدتو. وقام تنظيم الضباط الأحرار أول الأمر بالإطاحة بقيادة القوات المسلحة بل إن الضباط الشيوعيين فى التنظيم هم الذين قاموا بالدور الرئيسى فى هذه الإطاحة ليصبح للقوات المسلحة قيادة جديدة (سياسية) من الضباط الأحرار الذين استعانوا بعد ذلك بهذه القوات للاطاحة بالسلطة القائمة. هناك إذن حلقة مفقودة لم تدركها التنظيمات والأحزاب الشيوعية الأخرى تجعل ما حدث فى مصر مختلفا عن الانقلابات العسكرية التقليدية. أضف إلى ذلك أن قيادة حدتو كانت تعرف طبيعة الضباط أبناء البرجوازية المصرية بقدر ما كانت تعرف نزعاتهم الوطنية بحكم الممارسات النضالية مع هؤلاء الضباط. ومما زاد الامر تعقيداً أن تنظيم الضباط الاحرار لم يكن يضم فقط ضباطاً وطنيين بالمعنى العام لهذه الكلمة، بل كان يضم أيضاً ضباطاً من الإخوان المسلمين أصحاب التوجهات اليمينية بقدر ما كان يضم ضباطاً شيوعيين.

وأذكر أنه فى اليوم التالى لما حدث أقبل علىّ الاصدقاء من الحركة الديمقراطية مهللين مبشرين ذاكرين أسماء الضباط الشيوعيين أعضاء تنظيمهم ممن شاركوا فيما حدث شارحين الظروف الجديدة التى تقتضى الوقوف مع حركة الضباط لحمايتها والتأثير فى توجهاتها، فالصراعات مشتدة بين الأعضاء بسبب تعدد الانتماءات والتوجهات.

ولقد قامت حركة الجيش بأعمال وطنية منها إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية وتنفيذ قانون الاصلاح الزراعى والسعى إلى توطيد صناعة وطنية، ولا زلت أذكر ما قاله الرفيق سمير توفيق عضو النواة الذى كان يعمل فى مصانع (رباط) عن زيارات الضباط الأحرار للمصنع والتحدث مع أصحابه فيما يمكن عمله لتعزيز وتطوير إنتاجه. وفى نفس الوقت قامت حركة الضباط الاحرار بكثير من الخطوات المعادية للديمقراطية لعل أخطرها نجاح بعض أعضائها فى محاكمة وإعدام العاملين خميس والبقرى ثم التنكر للحياة الديمقراطية ثم أحداث مارس عام٥٤.

وتم كل ذلك فى خضم صراعات عنيفة بين أعضاء التنظيم بل وبين وحدات القوات المسلحة، تمت بمشاركة جماهيرية أحياناً، وذلك كله أصبح معروفاً ولا داعى لتكراره.

وما يهم هو التأكيد على أن قيادة حدتو أصبحت عاجزة عن مواجهة الضغوط التى تشكلها معارضة كل التنظيمات المصرية والأحزاب الشيوعية فى العالم لموقف حدتو من تأييد حركة الجيش، كما أن تصرفات حركة الضباط المعادية للديمقراطية والصراعات العنيفة التى تمت

ضد ضباط حدتو المنتصرين للديمقراطية جعلت القيادة تنهار سياسيا مرتدة عن مواقف التأييد، وصاحب ذلك انفجار جديد فى التنظيم ليتحول إلى شظايا متناثرة، حتى أن سكرتير عام حدتو لم يحتمل مسئولية ما تم من تأييد حركة الضباط فانقسم بدوره على التنظيم الذى كان يقوده، كانت الضغوط هائلة ومستحيل تحملها.

ولازالت أذكر الهجمات العنيفة التى كانت توجه من أعضاء حدتو إلى قيادتها، ثم أذكر الهجمات القاسية التى كانت التنظيمات المصرية توجهها إلى أعضاء حدتو مثل شعار «قتلة خميس والبقرى»، كما لازلت أذكر كيف كنت أحمل معى تقرير الرفيق «بالم دات» الذى أدان الحركة الديمقراطية وأدور به على كافة التنظيمات ثم على أعضاء حدتو معلنا أن الأممية كلها تدين حدتو .. ومرة أخرى تحول تنظيم حدتو إلى شظايا.. ورغم كل ذلك لم تنقطع صلاتى بالاعضاء فى تنظيم حدتو لأنهم كانوا فى الشارع اكثر من غيرهم. وأبداً لم تكن تنقطع مناقشاتهم بصراحة وبدون إخفاء أو اختفاء. ومع هذه التطورات طرأت على تنظيم النواة تطورات أخرى هامة حتى أصبح بين التنظيمات الصغيرة – فى تقديرى – هو أكثرها نشاطاً.

فلقد دخل فوزى جرجس ومهدى وعرفة السجن، وحل الضعف بالقيادة أول الامر ثم أصبحت القيادة أساسا فى يد أعضاء اختلفت توجهاتهم الجماهيرية والعلنية عن السابقين، وكان أبرز القادة الجدد هو محمود أمين العالم، وكنت وغيرى معه فى القيادة. وسعى كل أعضاء التنظيم إلى العمل الجماهيرى بين العمال والمثقفين، غير أن نشاطنا فى الريف كان غائبًا. ولا شك أن أعضاء النواة ممن سيدلون بشهادتهم سيذكرون أطرافًا من نشاطهم الجماهيرى، وكان معظمنا يتولى أكثر من مهمة واحدة فى نفس الوقت لقلة عددنا، كذلك كانت علاقاتنا بالتنظيمات الصغيرة وثيقة لم تنقطع، ثم كان لبعضنا مقابلات ومناقشات مع أعضاء حدتو، أما علاقاتنا مع أعضاء طليعة العمال وتنظيم الراية الجديد فتكاد أن تكون غائبة تمامًا وإن كانت نشراتهم تصلنا، وكانت مواقف النواة السياسية متماثلة مع مواقف المنظمات الاخرى المعارضة لرأى حدتو، باستثناء تنظيم الراية الذى اشتد فى معارضته مطلقًا شعار إسقاط الفاشية.

على أنه بين كل أنشطة أعضاء النواة الجماهيرية كان نشاط محمود العالم الأكثر جماهيرية والأكثر علنية، فهو بارز بين المثقفين، وقد دارت فى هذه الفترة بينه وبين طه حسين والعقاد حوارات شاركه فيها عبد العظيم أنيس، ولأن هذه الحوارات كانت تدور حول الأدب

والنقد والمفاهيم المطروحة بشأنهما، ولأن محمود وصاحبه طرحا مفهوم الواقعية الاشتراكية فى هذه الحوارات المنشورة فى الصحف مع أبرز المثقفين وهما طه حسين أساسا والعقاد إضافة،مقدمين على السطح وعلنا وفى الصحف موقف الشيوعيين من هذه القضايا، فقد أصبح هذا الحوار حينئذ بين أبرز الشواهد العلنية على نشاط الشيوعيين تأكيداً لافكارهم. ولم يكن فى الكلام أى إخفاء أو اختفاء. وكان لنشاط محمود فى هذا المجال بالاضافة إلى نشاطه السياسى، ما وسع من آفاق عمل تنظيم النواة بين المثقفين وفى المجال الثقافى.

ومع توسع النشاط ازدادت متابعة البوليس لنشاط الاعضاء. وحدث أن تم إعداد النشرة يوما ووصلت من الاسكندرية.. إلا أن تطورات هامة طرأت على الأحداث فى مصر جعلت المعلومات الواردة فى النشرة بعيدة عما تم فى الواقع، ولم يكن لتوزيع النشرة فائدة، غير أن إعداد النشرة كان مكلفًا جهوداً ومالا ومخاطرة، فأخذت القلم وكتبت سطرين على أول صفحة من صفحات النشرة لأنبه القارئ مسجلاً تعليقًا خاطفًا على ما استجد من تطورات . وكان معى رفيق آخر هو عبد العزيز البيودى، المحامى الشاب، فأخذ بدوره يسطر على الصفحة الأولى لبعض النسخ ما كتبت. وكان ذلك خطأ جسيماً ارتكبته، إذ وقعت بعض هذه النسخ فى يد البوليس. وتمت الحملة على الاعضاء للاستفادة من الكلام المكتوب كدليل يضع من كتبه تحت طائلة القانون، وكنت والبيودى من بين من ألقى القبض عليهم. وشاءت الظروف أن ما وقع من نسخ فى يد البوليس سجل عليها خط البيودى فأفرج عنى بعد عدة أشهر وظل البيودى فى السجن إلى أن أفرج عنه هو الآخر مع عدد من الرفاق. دخلت سجن القناطر ولى تجربة لابد أن أذكرها. صديقى فوزى جرجس، بحدته الشديدة فيما يتبنى من أفكار، كان يرى أن كل من يدخل السجن ليس له الحق فى أن يحكم على سياسة التنظيم أو يتدخل فيما يصدره التنظيم من قرارات، فمن فى الخارج هم وحدهم القادة، ومن فى داخل السجن عليه أن ينفذ قراراتهم. ولقد جئت إلى السجن من الخارج، إذن أنا قائد عليهم .. على فوزى ومهدى وعرفة، وكان بينهم مشاكل : مهدى وفوزى من ناحية، ومن ناحية أخرى ابراهيم وعرفة أو «حوطر»، وهو اسمه الحركى المأخوذ من آلهه الفراعنة، وكانت للأخير علاقات قديمة بأعضاء الحركة الديمقراطية، بينما فوزى ومهدى ينفرون منهم ولهذا بدأ الخلاف بينهما وبين «حوطر»، وكان على أن أحكم فى هذا الخلاف الذى أخذ طابعا سياسيا اتصل بموقف النواة ومنهجها لتحقيق الوحدة.

كنت عضواً في النشرة. ثم أصبحت مسئولاً عن الجهاز. ثم أصبحت مسئولاً عن النشرة ومشاركًا في مسألة الجهاز. ثم .... ثم .... ثم.. إذا بي عندما أدخل السجن، أصبح الحكم والقطب الأكبر بين كل قادة النواة القدامي .. هذه مسألة ليست بسيطة . وأصبحوا يطلبون مني أن أحكم وأن أصدر القرار. طلب مني أن أعلن أن هذا مخطئ وعقوبته كذا، وهذا صالح و..... هذه المسألة بالنسبة لي لم تكن معقولة على الإطلاق. المسائل تؤخذ بالسياسة وبالمناقشة.. ثم بمشاركتهم هم أيضًا في اتخاذ القرار. أنا لست أهم منهم وأرفع شأنا من الناحية التنظيمية. كانوا يطلبون مني – وخصوصًا فوزي وأيضًا مهدي – :لابد أن تحكم ولك أن تصدر قراراً.

وكنت موقنًا أنه لو حكمت بقرار سينفذه فوزي فهو صاحب هذا المبدأ، ولكن هذه رؤية شكلية ولا صلة لها بالواقع، ولا صلة لها بالتعامل مع حل المسائل. ليست المسألة إصدار قرارات. ثم هل أنا هو من سيصدر مثل هذا القرار بشكل منفرد والذي سيحكم على فوزي وسيحكم على مهدي وسيحكم على ابراهيم عرفه.. بأي حق؟ حاولت أن أؤجل، أقول صبراً يا رفاق، دعونا نفكر معا، حتى جاءني الفرج حين نودي علي يوما «بهيج نصار . إفراج» .

في النهاية ، أفرج عني وعدت للإذاعة، لسبب هو أن صلاح سالم كان مسئول الاذاعة ممثلاً للجيش، وقد شكل لجنة لتنظيم ومناقشة سياسة الاذاعة كان من بين أعضائها أحد أصدقائي، وكان مسئولاً عن قسم السودان في الاذاعة المصرية، فدافع عني. هذا يقول نطرده وصاحبي يدافع عني ثم تقررت عودتي للإذاعة. ولكن بعد أشهر كانت محاولة الاعتداء على جمال عبد الناصر في المنشية، فدخلت المعتقل مع غيري من الرفاق، ولهذا المعتقل قصة. تركنا محمود العالم والرفاق في الخارج والبعض في سجن القناطر، وأنا موجود في سجن أبو زعبل ومعي عدد من الرفاق منهم محسن الخياط وعبد الله الزغبي وفوزي جرجس الذي كان قد خرج من السجن. ووجدت أيضًا أعضاء من تنظيم (نحشم) كان يتولى أمرهم محمود المانسترلي .. وكان معنا أعضاء من د.ش أو تنظيم طليعة العمال ورئيسهم محمود العسكري الذي كان يجلس بينهم مثل كبار المعلمين، كما كان هناك العديد من أعضاء حدتو ومن تنظيم الراية.

وبدأت قصتنا في المعتقل. لم أكن أثق في (د.ش) على الإطلاق. ومظاهر تقربهم إلينا ورغبتهم في التعامل وخلق علاقات طيبة معنا، لم تكن غير أكذوبة. وبطبيعة الحال أول شئ

فعلناه هو إصدار «إلى الأمام» فنحن مصرون على تكوين الحزب وطريقنا هو «نشرة إلى الأمام» وكان لمجموعة الراية عنبر خاص هو العنبر رقم ٢ وكانت هناك مجموعة ضخمة جداً من كوادر الحركة الديمقراطية. وتشاء الظروف أن ألتقى برجل منهم كانت الحركة الديمقراطية قد كلفته بالاتصال التعاون والتنسيق معى، فألقى عليه القبض ثم قبض علىّ بعد ذلك لنتقابل معا فى المعتقل، وهو الرفيق محمد عباس فهمى. كنا نعيش فى عنبر نحن ومحمود المانسترلى وكل مجموعة (د.ش) ولم يكونوا كثيرين، وكذلك أعضاء من الحركة الديمقراطية. أما باقى أعضاء حدتو فكانوا يعيشون فى عنبر آخر مع المستقلين بالاضافة إلى تواجدهم معنا. وكانت لنا علاقات فى الخارج مع نحشم ومع النجم الأحمر. وكان طبيعيا أن تكون لنا علاقات مع محمود المانسترلى ومن معه من أعضاء نحشم .. وعلى الفور حاولت (د.ش) أن تلتقى بنا جميعًا نحن أعضاء المنظمات الصغيرة وكان واضحًا أنها تريد أن تجمعنا لكى نطلق مدافعنا معًا على الحركة الديمقراطية.

المشكلة عندى كانت كيف أقنع فوزى جرجس بأكذوبة د.ش وبحقيقة الوضع الذى نحن فيه. فقد كان لا يطيق إقامة علاقات مع حدتو، ومعنى ذلك ضرورة إقامة علاقات مع الآخرين.

أصدرنا (إلى الأمام) وأول عدد حمل مقالات لنا ولزملاء فى مجموعة (نحشم) كنا نطلب من الزملاء فى (د.ش) الكتابة فى النشرة ويكون الرد : العدد القادم ثم العدد القادم .. كنت أعرف أنهم لن يكتبوا كلمة واحدة، لأنهم لا يريدون أن يورطوا أنفسهم فى علاقات تنظيمية مع آخرين.. هذا موقف أساسى لهم. وظللت أنبه فوزى طوال الوقت إلى هذه الحقيقة.

من ناحية أخرى كان الإخوة فى د.ش أو طليعة العمال يعتبروننى رجلاً طيبًا صالحًا غير ملوث. لست مثل فوزى جرجس ولست مثل آخرين لهم تاريخ طويل فى «التآمر» و... إنما أنا رجل صالح وطيب. وكذلك كانوا يعتبروننى فى الحركة الديمقراطية رجلاً صالحًا، خاصة أننى كنت على علاقة بهم رغم اتهاماتى لهم بشدة وعنف، وهى اتهامات طابعها سياسى بحت. وكانت بينى وبين بعض منهم مناقشات سياسية مثل محمد عباس فهمى وجمال غالى وسيف صادق. كنت أستمتع بالمناقشة معهم حول الماضى والحاضر والمستقبل.

ثم حاولت بعد ذلك محاولة أخرى فيها تحد لـ(د.ش) قلت لهم : دعونا نتحدث معًا حول قضية الوحدة. طبعًا هذا لا يمكن فهى جريمة كبرى. ولكنى ألححت عليهم، ثم اتفقت مع فوزى مؤكداً له ألا داعى أن نضحك على أنفسنا ولنقطع علاقتنا أو لنعلن بوضوح بيننا وبين

أنفسنا أنه لا أمل فى حكاية الوحدة والمجلة المشتركة من أجل الوصول إلى خط سياسى موحد مع (د.ش) فهذا أمر ميئوس منه. واقتنع الرجل .. ولكن حيث أنه هو صاحب الفكرة الأساسية (النشرة المشتركة) وهو تقليد لينين القديم فقد كان من الصعب عليه أن يعترف بفشل المشروع لأن ذلك يعنى طرح السؤال من جديد: هل يا ترى هذا هو الطريق أم لا؟ ثم ما هو الطريق الآخر؟ نعم ينبغى أن يكون هناك وضوح فى خط واحد للحزب الواحد، لكن ربما كانت للينين ظروفه الخاصة. كانت لديه وحدات فى سيبريا ووحدات فى أوكرانيا، وإنه لشئ مفتعل أن نفعل مثلما فعل، فنحن نقيم بجوار بعضنا فى عنبر واحد بسجن أبى زعبل، هل لابد من أن تكون هناك نشرة مشتركة مع أنه من الممكن أن نتبادل الأفكار طوال الليل والنهار. هذا النهج اللينينى فرضته ظروف معينة مختلفة عن ظروفنا، هذه مسائل كانت تحتاج منا لنظرة واقعية، دون أن نتمسك بهذه الشكليات. ومع ذلك استمر إصدار النشرة بيننا ومحمود المانسترلى الذى كان ينام بجوارى. حتى حدث ظرف جديد، وهو وجود ناس جدد من (د.ش) وكان معهم ريمون دويك. وبدأت علاقتى بريمون دويك تتوثق. هو رجل حديثه عذب. حينما يتحدث عن قضية ينتقل بك من فرنسا إلى سويسرا ثم أمريكا .. ثم يلقى بك فى قلب القضية آخر الأمر. كانت له طريقة فى الحديث. هو لا يقدم فكرته أول الأمر. إنما يطرح أسئلة وأسئلة، ثم أسئلة جانبية أخرى، ثم أسئلة جانبية ثالثة. وعليك أن تجيب على هذه الأسئلة، حتى يصل إلى مرحلة معينة يشعر فيها أنك اقتربت من فكرته الأولى التى توجد خلف رأسه، فيلقى بهذه الفكرة، فيكون منك الاقتناع ما بعده اقتناع.

كنت أعرف هذا الأسلوب، لكننى كنت أستمتع حقيقة بالقصص التى كان يرويها والخبرات المختلفة مستخلصا ما كان يقرأه، وكان واسع المعرفة بلاشك، غزير المعلومات بلاشك.

وكانت طبيعته – كشخص كوزموبوليتانى له أصول يهودية يجوب تائها فى العالم كله – كانت طبيعته تجعل لكل قضية يطرحها أبعاداً عديدة ومتنوعة. حينما كنت أشعر بضيق كنت أذهب لأتناقش مع هذا الطرف أو ذاك. وكان ريمون من بين الاطراف التى أناقشها دائما. ولن أنسى أبداً حكاية قالها لى – وكنا نتحدث عن الحركة الديمقراطية – فقال لى فكرة عبقرية ولا تحتاج لجهد كبير لتدمير الحركة الديمقراطية: لا داعى للمناقشات ولا داعى لكل هذا الضجيج، فهذه منظمة ينبغى أن ننتهى منها، ويمكن أن ننتهى منها لو تمت تصفية الأربعين أو الخمسين محترفًا الذين يمسكون بالتنظيم فى قلبه. وقد دهشت من هذه الفكرة لبساطتها،

وعبقريتها. إنك بضربة واحدة تنهي تياراً. وأنا لم أكن في هذه الفترة أنتمي لحدتو ولهذا لم أنزعج من هذه الفكرة حينما تقدم بها. فالحركة الديمقراطية كانت تؤيد حركة الجيش التي أدانتها الامية، وإذا تمكنا بضربة واحدة من تصفية أربعين أو خمسين عضواً محترفًا في هذه المنظمة تنهار المنظمة فكرياً وتنظيميا ونضاليًا. وقد استرجعت هذه الفكرة في يوم من الأيام حين تم تنفيذها.

وأثناء ذلك كانت تصلنا معلومات من الخارج بأن الوحدة ستتم مع الحركة الديمقراطية. كانت علاقتي بقادة الحركة الديمقراطية طيبة، ولم تكن فقط علاقتي بالكوادر القائدة إنما كانت علاقتي كذلك بالعديد من الزملاء القاعديين المتمردين على قياداتهم والذين يبيتون بشدة هذه القيادة الملعونة التي أيدت حركة الجيش. وكانوا يجيئون عندي هذا المسمر الطيب الرحب. أسمع منهم الشكوى تلو الشكوى من قيادتهم التي ارتكبت هذه الجريمة، ولهذا كانت علاقتي بهم طيبة على أساس أنني ضد هؤلاء الذين ورطوا تنظيمهم في تأييد حركة الجيش، ولهذا ستصبح هذه العلاقات مشكلة المشاكل حينما تتم الوحدة وحينما يتغير الموقف السياسي.

ثم جاء يوم من الأيام، وفتح باب السجن ودخل عدد من القيادات من بينهم أنور عبد الملك وكنا نعرف أن له علاقة وثيقة بشهدي عطية، لأنه كان له دور كبير جداً في تمرد التكتل الثوري على حدتو الذي قاده شهدي، وكان أحمد الرفاعي يعرفه جيداً، وكنت أعرف أيضاً أنه يعرف محمود العالم جيداً. كان يحمل توجيهات من الخارج تطلب الاجتماع بأحمد الرفاعي وفوزي جرجس ومحمود المانسترلي وأنا أيضاً. كان مفهوما أن يجتمع بأحمد الرفاعي فهو المسئول عن الحركة الديمقراطية، وفوزي جرجس المسئول عن النواة، ومحمود المانسترلي المسئول عن مجموعة (تحشم) أما أنا فلا أعرف لماذا طلب تواجدي معهم حتى ينقل إلينا التوجيهات. وطلب من الثلاثة حل منظماتهم جميعًا وأن يندمجوا معا جميعًا وأن يشكلوا تنظيمًا واحداً. أما المسئول السياسي عن التنظيم الجديد في أبي زعبل.. فهو مفاجأة. كانوا في الخارج يعلمون أنني لست مثل فوزي حاداً في خصومتي للحركة الديمقراطية. وفي نفس الوقت كان صعباً أن يتولى رفيق من تنظيم الحركة الديمقراطية المسئولية رغم أنه التنظيم الأشمل والأكبر بسبب الخلافات السابقة، وكان الحل أن يقولوا إن بهيج نصار هو المسئول السياسي داخل المعتقل..

يالهول .. سوف أواجه كل هذه المشاكل وأنا وحدي في المعتقل، أما محمود المانسترلي فرفض التنفيذ - قلت الحمد لله تكفي المشاكل الباقية بين فوزي والحركة الديمقراطية

وأعضائها ثم هناك تغيير الخط السياسي. أصبحت مسئولاً إذن وعليّ التصرف. طبعا إن تصور أن المسئول يضرب بيمينه فيطيح بالبعض ويضرب بيساره فيطيح بالآخرين مسألة بعيدة عني كل البعد، ولكن لابد من معالجة الموقف. والحقيقة أن أحمد الرفاعي رجل لديه الخبرة العملية، كان ذكيا جداً، فقبل على الفور.. يتميز أحمد الرفاعي بشئ غريب فليس هو رجل التحليلات النظرية، ولكنه قائد معارك يمكن أن يصدر توجيهات عملية سليمة. والكمبيوتر العملي عنده رائع وليس الكمبيوتر النظرى على الإطلاق.

حسم أحمد الرفاعي الأمر على الفور. حتى أن هناك بعض رفاقه الذين بدأوا يتساءلون مثل ابراهيم عبد الحليم – لماذا ونحن أغلبية وهم أقلية.. إلى آخره. ولكنه ركن ابراهيم عبد الحليم بعيداً عن التنظيم كله وأبلغني أن له ظروفه الخاصة، وكنت أعرف الأسباب الحقيقية، ولكن حمداً لله. فقد أبعد عني شخصاً آخر كان من الممكن أن يثير مشاكل لا حد لها، هو مع الحزب، لكن له ظروفه الخاصة، إذن فليكن بعيداً عن التنظيم عمليا بسبب هذه الظروف.

ثم أصبحت أواجه فوزى والحركة الديمقراطية. وأنا أعلم أن مسألة رفضه للحركة الديمقراطية مسألة "دينية". هو سينفذ وسيقول نعم، لكن كيف سيتفاعل مع قيادة حدتو. وأيضاً أحمد الرفاعي يعلم "جيداً" أن خصومة فوزى جرجس للحركة الديمقراطية مسألة دينية ويرفض التعاون معها – لكنه سينفذ، هكذا جاء القرار من الخارج، وهو لا يملك إلا التنفيذ. المشاكل إذن قائمة. وبدأت الاجتماعات وتشكلت اللجنة المؤقتة. كنت المسئول ومعي ثلاثة من النواة هم فوزى جرجس ومحسن الخياط وعبد الله الزغبي، وكان في اللجنة أربعة من حدتو هم أحمد الرفاعي ومحمد عباس فهمي وسيف صادق وجمال غالي.

المهم أن فكرة التوحيد كانت واضحة وحاسمة في ذهني. فمن أجل هذا اختارني رفاق الخارج مسئولا فبدأت العملية معقدة أمامي وبالذات بين فوزى وأحمد. فوزى متسرع ليس لديه صبر وأخذ يهاجم أحمد ورفاقه بشدة ولأقل الأسباب، وأحمد الرفاعي يستفز فوزى ليزداد هجومه لأى سبب.. واستمرت هذه العملية جلسة وراء جلسة وراء جلسة. وكان عندى أمل أنه مع الزمن يمكن أن تنتهي هذه الأمور الصبيانية أو أن نخرج من المعتقل وأستريح من هذه المشكلة. حتى جاء يوم وحدث ماكنت أخشاه لاتخاذ القرار الصعب. طلب فوزى وأنور عبد الملك اللقاء معي. وكان فوزى يعتبر أنور هو المرجع فهو الذى أتى بالتوجيهات من الخارج وما على من في الداخل إلا أن يطيع وينفذ، ولكنه نسي أن بين التوجيهات أن أصبح أنا المسئول السياسي وليس أنور عبد الملك.

هل كـان أنور تنظيـمـيـا في هذه الفـتره في النواة قـبل الموحد؟ هل كان في الحـركـة الديمقراطية؟ لا أستطيع الحكم، لأني كنت في المعتقل ولكنه جاء بتوجيهات. معنى ذلك أنه له صلة عـميـقة. ربما كـان أنور عـبد الملك يستند إلى شـهـدي، وأن شـهـدي كان قـائد الحـركـة الديمقراطية في الخارج على الرغم من أنه لم يكن في قيادة حدتو بسبب «التكتل الثوري».

المهم جاء اليوم وكان هناك اجتماع بيني وبين فوزي وأنور عبد الملك. أنور يقول أنت مسئول وعليك أن تفصل فلانا وعلانا. وهنا صدمت. المفروض أنهم في الخارج أوكلوا إلى مسئولية سياسية ليس لأفصل وأقطع الرقاب إنما لأدعم الوحدة الوليدة، خاصة أنه بدأت تبدو بعض التباشير بأن ثمة احتمالات في تغير الموقف السياسي من حركة الجيش .. أي العودة إلى رأي حدتو السابق... ثم يأتي فوزي وأنور عبد الملك يطلبان مني أن أصدر أوامري باعتباري المسئول بفصل فلان وعلان (أحمد الرفاعي ورفاقه)، ولم أكن أهتم حقيقة بمسألة الوحدة كشيء مجرد. ولم أكن أهتم بمسألة الفصل في ذاتها، إنما كنت أدرك بوضوح أنه لو فعلت ذلك والوحدة وليدة، ونحن في المعتقل ومعظم الكادر والأعضاء فتكت بهم الصراعات طوال السنوات الثلاث الماضية ومنذ قيام حركة الجيش، كان تدمير الوحدة وهو ما سيؤدي إلى انهيار معظم الاعضاء فتتم تصفية معظمهم. هنا اتخذت قراري وطلبت من فوزي أن يختار هل يستمر وراء أنور أم مع الحزب ومسئوله؟ فقرر أن يسير وراءه وأعلن أنه خارج الحزب الموحد، واستمر جميع الأعضاء في اللجنة القيادية معي : عبد الله الزغبي ومحسن الخياط وأنا، بينما خرج ومعه بعض الاعضاء ممن تربوا على يديه، ولم يكن لخروجه أي تأثير على أعضاء النواة في الخارج الذين ارتبطوا بالحزب، لأن الناس كانت سعيدة. ولأن الموقف السياسي بدأ يتغير نحو نفس الموقف الذي كانت تتهم به الحركة الديمقراطية وكان هذا هو السبب في أن فوزي خرج ومعه الأربعة أو الخمسة الموجودون معه في المعتقل، وقد استمروا هم فقط معه بعد الخروج من المعتقل، ولم يضف اليهم أحدا...

وقد اختلفت ظروف المنظمات في المعتقل عند تغيير الموقف السياسي :

بالنسبة لطليعة العمال كان التغيير أكثر يسرا إذ لم تتم بسبب الموقف من حركة الجيش اضطرابات وانفجارات تنظيمية بين أعضاء المنظمة. فحين كان التنظيم ضد حركة الجيش كان موقفه متوافقًا مع الاحزاب الشيوعية العربية والأحزاب في مختلف بلدان العالم ومع «الأممية»، وعندما أيدوا حركة الجيش كان موقفا متوافقًا متطابقًا مع كل هذه الأحزاب ومع الأممية، ولم أعلم أثناء وجودي في المعتقل معهم أنهم قدموا نقداً لمواقفهم السابقة، وإذا كان الامتناع عن

النقد قد حدث فإن موقفهم هذا سيكون بدوره متوافقًا متطابقًا مع الأحزاب الشيوعية فى العالم والتى لم يتقدم أى منها بنقد لمواقفها السابقة .. والمسألة هنا لا تتصل بأخطاء بعضها جسيم ارتكبتها حركة الجيش ويمكن أن تكون موضع نقد، إنما المسألة تتصل بالموقف الاساسى من رفض مطلق لحركة الجيش فى مصر عام ١٩٥٢ إلى قبول تام ورضى وتمجيد لنفس الحركة وقادتها منذ عام ١٩٥٥ وبعد مؤتمر باندونج.

أما بالنسبة للحزب الشيوعى الموحد (الحركة الديمقراطية + النواة + نحشم + غيرها) فكان الموقف بالغ التعقيد بين الأعضاء الذين كانوا أشد ضراوة فى نقد قيادة الحركة الديمقراطية بسبب مواقف التأييد لحركة يوليو عام ١٩٥٢ ثم يطلب منهم الآن مراجعة مواقفهم من الرفض إلى القبول. وكان موقفى شخصيًا بالغ التعقيد لأنى كنت عنيفًا فى نقدى السياسى لقيادة حدتو، وكل الأعضاء يعرفون موقفى السابق، وكان على أن أشارك الاعضاء نقاشهم ، خلية تلو خلية، شارحاً بصدق ضرورة تأييد السياسة التى تنفذها حركة الجيش، ناقداً فى نفس الوقت مواقفها السابقة الخاطئة، ثم معترفا بموقفى الخاطئ كذلك. كان الموقف الجديد فرصة عظيمة للبحث، ولو جزئيًا، عن الحقيقة والمناقشة السياسية الموضوعية. وكنت أريد مما حدث ومن النقاش حوله أن يكون درسًا عظيمًا لنا جميعًا، وحاولت قدر الإمكان الحفاظ على استمرار القواعد سليمة لتواصل النضال ولتعود الثقة إليها وإلى قيادتها وحزبها. وكان أسلوب النقاش فى الخارج من أجل تغيير موقف الحزب وعقد كونفرنس لكادر الحزب ليتخذ قراره بإرادته الحرة، مما أشاع الثقة بين الأعضاء فى المعتقل .

أما بالنسبة لتنظيم الراية فكان الموقف بين أعضائه بائسا يصل إلى حد الكارثة. فقد أقاموا منفردين فى عنبر خاص هو عنبر ٢، وكانوا كل ليلة – عندما يأتى المساء – يستمعون إلى محاضرة، ثم تنطلق أصواتهم كالرعد فى المعتقل بهتاف كان يتكرر كل ليلة ثلاث مرات «عاش الرفيق خالد ألف عام وعام»، وهو الاسم الحركى للمسئول السياسى عن التنظيم الدكتور فؤاد مرسى، ثم تنطلق حناجرهم بهتاف آخر زاعق يتردد هو الآخر ثلاث مرات «تسقط الفاشية». استمروا على هذا الحال أيامًا وأسابيع وأشهر حتى جاءهم ذات يوم خبر تحول الفاشية إلى وطنية، فأصيب بعضهم بانهيار عصبى وكان مستحيلاً النقاش والإقناع. كنا نستمع إلى الصراخ ونرى البعض منطلقا خارج العنبر ليتولى رفاقه الإمساك به ومنعه من الخروج. وقد شاهدت واحدا منهم عند باب العنبر يسقط منهاراً .

وتم الإفراج عن المعتقلين، وانطلق الحزب الموحد كالصاروخ فى نشاط جماهيرى واسع

بينما تنظيم الراية يضمر ويتقلص ببطء، وتنظيم طليعة العمال يواصل الانكفاء على نفسه وأعضاؤه يصارعون القيادة حتى تقلع عن مواقفها الرافضة للتنظيمات الأخرى والتوحد معها.

وكانت معركة بورسعيد المجيده ضد الغزو الثلاثي عام ١٩٥٦ شاهداً على ما وصلت إليه التنظيمات الثلاثة بعد الافراج عن المعتقلين. وهو ما سنتناوله في حديث آخر.

خبرات مستخلصة من الماضي: أول ما ينبغي ذكره هي الانقسامات التى شغلت بعض المؤرخين للحركة الشيوعية حتى جاءت صفحات كتبهم مملوءة بالاخبار والحكايات حول الصراعات بين الشظايا التي كانت تتناثر هنا وهناك مما كان يفزع القارئ وكأن تاريخ الحركة ليس الا تاريخ الانقسامات.

وما ينبغي أن نفعله حتى نلم بالموضوع هو البحث عن الاطار العام الذى كانت تتم فيه هذه الانقسامات، لعلنا نجد بذلك سبيلاً لفهم ما حدث، ولعلنا نتبين من الواقع الذى أسفرت عنه الاحداث حقائق أساسية.

أولها أن الانقسامات الأساسية تمت على دفعتين : أولها بعد اختتام الحركة الجماهيرية مع النضال التحررى ٤٥-٤٦، الثانية بعد انتصار - ومن حقى أن اقول انتصار الآن - حركة يوليو عام ٥٢ وإزاحتها للسلطة الحاكمة حينئذ.

والحقيقة الثانية أن هذه الانقسامات في كلتا الحالتين كانت تتم فقط في إطار الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني.

والحقيقة الثالثة أن هذه الانقسامات كانت لأسباب سياسية في المحل الأول والأخير، أولها بسبب طرح خط القوات الوطنية الديمقراطية، وثانيها بسبب تأييد حدتو لحركة الجيش عام ١٩٥٢، وكلا الموقفين يختلفان عما طرحته الآداب الماركسية وما تعودت على قوله الأحزاب الشيوعية في أوقاتها.

إن ربط هذه الحقائق بعضها ببعض قد يسمح لنا بفهم الأسباب المتواترة للانقسامات في الحالتين، خاصة إذا أضفنا إليها حقيقة رابعة وهى أن الشظايا التى كانت تتناثر من قلب حدتو سرعان ما كانت تعود مرة أخرى إلى تنظيمها القديم مع عودة الحركة الجماهيرية من جديد، وبعد أن يتم الفرز عند الهوامش فتخرج عناصر من حدتو - أى الحركة المصرية وإسكرا - لتنضم إلى التيار الأساسى المعادى لها، كما حدث للتجمع الذى أسفر عن قيام تنظيم الراية ،وكما حدث لأفراد من تنظيم النواة بقيادة فوزى جرجس، بينما تميل عناصر جديدة إلى التيار العام لحدتو، كما حدث بالنسبة لعدد من قادة النواة مثل صاحب هذه

الشهادة. وللتوصل إلى فهم مشترك علينا أن نتفق على تحديد طبيعة الانقسام.

فى رأيى أن نشوء الحركة الشيوعية فى الأربعينيات متبلورة فى اكثر من تنظيم ليس انقساما، وذلك حين تشكلت تجمعات من المثقفين الأجانب أغلبهم من اليهود، ومعهم مصريون، لتتقارب مع الحركة العمالية والنضال التحررى على أساس التصورات والمفاهيم الماركسية. هذا أمر طبيعى، إنما الانقسام سيكون عندما تتجمع هذه الجمعيات أو التكوينات الأولية لتشكل جسما مشتركًا ثم ينقسم هذا الجسم الواحد بعد ذلك على نفسه.

هنا يكون الانقسام، وهو الذى بدأ فى رأيى بعد تكوين «جسم» حدتو من الحركة المصرية واسكرا أساسا ثم تفرق التنظيم وانقسم على نفسه. ولهذا حصرت حركة الانقسامات فى فترتين أساسيتين : الأولى ارتبطت بخط القوات الوطنية الديمقراطية والثانية بخط تأييد حركة الجيش عام ١٩٥٢.

ولقد طرح العديد من التفسيرات والأسباب لهذه الانقسامات منها ما يتصل بالتنظيم الفئوى وهو أمر لا غبار عليه إذا دعت إليه الضرورة النضالية، فلقد نشأ قسم خاص للضباط الشيوعيين مستقلاً عن جسم حدتو ومن الممكن أن ينشأ فى ظروف معينة قسم متضخم للطلبة مستقل. هذه أمور يفرضها النضال وظروفه كما تفرضها الأوضاع الخاصة بالمعركة المعينة، وهذا لا ينفى أن تكون الوحدة الأساسية هى وحدة المنشأة أو المصنع أو الحى. وقيل إن السبب الأساسى هو عدم التمصير أو وجود اليهود بكثرة فى القيادات، ولكن انفجار حدتو الثانى بعد قيام حركة الجيش قد تم ولم يكن لليهود أثر فعال فى توجيه سياسة التنظيم. كان لهنرى كورييل آراء متفرقة يرسلها من بعيد وهو فى باريس، ولكن القرارات كانت تناقش وتتخذ أساسا من مصريين فى قيادة حدتو، كما تمت الخلافات بين قادة مصريين.

علينا إذن أن نبحث عن الأسباب السياسية لما حدث من انقسامات، والتصور المستخلص من واقع ما حدث خلال السنوات الماضية أن الحركة الشيوعية المصرية كانت تتكون أساساً ولاتزال تتكون من فصيلين أساسيين، أولهما هو فصيل الحركة الديمقراطية (الحركة المصرية +اسكرا)، والآخر فصيل أو فصائل أخرى .. وكان الأمر أولا محصورا فى مجموعة عرفت فيما بعد بطليعة العمال ثم انضم إليها فصيل آخر هو تنظيم الراية .. والخلاف الاساسى بين الاتجاهين يتبلور فى الموقف من تفسير ما يجرى فى مصر، فالحركة الديمقراطية كانت تميل إلى تفسير ما يجرى على أساس ارتباطه بالتصورات حول حركة التحرر والنضال ضد الاحتلال والاستعمار والامبريالية، أما خصوم حدتو فكانوا يميلون إلى تفسير ما يجرى على

أسـاس المفـاهيم والتصـورات الطبـقيـة التى وردت فى الكتب الماركسية دون محـاولة إجـراء تعديلات تسمح بتطبيقها على الواقع المصرى.. كان الطرفان يناضلان فى المجال العمالي الطبقي وفى مجال حركة التحرير (نشاط طليعة العمال مع الطليعة الوفدية) ولكن الفرق بينهما كان فى تفسير ما يتم، ولهذا تمسكت طليعة العمال بالتصورات الخاصة بالديمقراطية الشعبية (شكل من أشكال ديكتاتورية البروليتاريا) طوال تاريخها أو معظمه حتى أنها كانت تضع حرفى د.ش. (أى ديمقراطية شعبية) على رأس إحدى نشراتها، كما كنت شخصيًا وأنا فى النواة أروج لتقرير أصدره السكرتير العام للحزب المجرى حول الديمقراطية الشعبية فى المجر، وكان ذلك فى فترة خصومتنا الشديدة مع التأييد الذى منحته حدتو لحركة الجيش، وغير ذلك مما كانت تفعله الحركة الديمقراطية التى حاولت اكتشاف مفاهيم تتفق مع ظروف النضال التحررى الذى كان شعب مصرى يخوضه، فتجاسرت وقدمت خط القوات الوطنية الديمقراطية ثم تجاسرت ومنحت تأييدها لحركة الضباط الاحرار.

وفى حدود ما أعرف سُجل خط القوات الوطنية الديمقراطية فى صفحات خمس، وقد وضع هنرى كورييل اسمه عليه، ولكنه فى الحقيقة تجميع لآراء الرفاق على ضوء كفاحهم فى خضم الحركة الوطنية العارمة وقيادتهم لها خلال عامى ٤٥ و٤٦ وفى إطار اللجنة الوطنية للطلبة والعمال، وكان التقرير مضطربا فى بعض أجزائه وكانت بعض أفكاره مختلطة، خاصة ما يتصل منها بالخلط بين التمثيل الطبقى للتنظيم والمصالح الطبقية التى كان التنظيم يدافع عنها (وهى متعددة بحكم النضال الوطنى)، وقد كان من الممكن بالنقاش الموضوعى الهادئ أن تتبلور الأفكار السليمة بما يكفى لتقدم الحركة الشيوعية المصرية خبرة دولية تلقتها هى من غيرها بعد ذلك فيما عرف بالمرحلة الوطنية الديمقراطية، وما أكثر تشابه الكلمات وارتباط ما تحمل من دلالات.

ونفس الامر حدث بالنسبة لرأى حدتو حول حركة يوليو عام ١٩٥٢ حين كانت وحدها على رأى، والكل فى الدنيا ضدها.

الانقسام الاساسى فى الحركة الشيوعية المصرية هو بين اتجاهين : الأول يحاول ساعيا فهم الواقع كنقطة بدء مستعينًا بتصورات ماركسية، والثانى قدم بعض الاجتهادات ولكنه يتمسك أساسا بما ورد فى الكتب حتى وصل به الإمر فى مستقبل الأيام إلى حد فهم ما يجرى فى مصر فى عهد حكم عبد الناصر على أنه رأسمالية الدولة الاحتكارية .. تماما كما وردت فى الكتب. كان هذا هو الانقسام الأساسى ثم ظل هكذا حتى آخر الآخر.

أما الشظايا التى كانت تنطلق من قلب حدتو كرد فعل للأفكار والتفسيرات الجديدة والتى شغل بها كتاب التاريخ، فسرعان ما كانت تعود من جديد إلى تنظيمها لتواصل الكفاح، وتم أوسع تجمع ملتزم لهذه الشظايا فى الحزب الشيوعى الموحد عام ١٩٥٥ - ١٩٥٦. الانقسام الاساسى، إذن، كان قائمًا بين تيارين.

والخبرة الثانية التى استخلصتها من كفاح الأعوام السابقة ما يتصل بعمليات التوحيد بين المنظمات. وهذه العملية كانت من الناحية الفعلية قاصرة على تجميع الشظايا المتناثرة من حدتو مع تنظيمات أخرى صغيرة كانت فى التفكير وفى العمل الجماهيرى قريبة من الأولى. والملاحظة الأساسية أن عملية التوحيد كانت تتم مع نهضة الحركة الجماهيرية كضرورة تطلبها الجماهير ليتحمل الشيوعيون مسئولية ما تنشده من أهداف. كانت حركة التحرير المصرية تفرض التوحيد. حدث ذلك مع حركة الجماهير بعد عودة الوفد إلى الحكم والمطالبة بإلغاء معاهدة ٣٦، وحدث مع حركة الجماهير فى مقاومتها لأخطاء ارتكبتها حركة الجيش، ثم فى تأييد السياسة الواضحة التى انطلقت منذ باندونج، وسيحدث مرة أخرى مع النضال ضد عدوان ٥٦ الثلاثى على مصر.

التوحيد كان وسيظل يتم كضرورة عملية تفرضها حركة الجماهير، ولكن النقاش الجاد بين الشيوعيين حول ما جرى ويجرى لمعرفة الأخطاء ولتحديد المعالم السليمة للخط السليم كان غائبًا، ولا أقصد بذلك إدانة هذا الطرف أو ذاك، فليس هذا هو القصد من النقاش كما كنا نتصور، إنما القصد هو بلورة التصور السليم لطريق النضال، القصد هو إصلاح ما كنا نقع فيه نحن من أخطاء أساسا وليس نقد الآخرين، وهى أخطاء كانت تفسد ما كان يقوم به الفصيل الذى وضع على عاتقه مسئولية طرح الجديد من التصورات لطريق الثورة المصرية. وستقع نفس الأخطاء فى المستقبل مرة أخرى كما سنرى. الحركة الجماهيرية تطلب من الشيوعيين التوحد لتحمل مسئوليات تفرضها عليهم ولكن يظل النقاش الجاد حول ما جرى ويجرى وسيجرى غائبًا.

وقد يقال إن الخط الذى كانت تحمله النواة - أى الصراع الفكرى - هو الأمر الطبيعى. غير أنها لم تكن وحدها تقول ذلك، لأن كل العالم يقول إن الوحدة تكون على أساس وثيقة فكرية من خلال نقاش طويل. كل العالم وليس النواة فقط تقول ذلك. إنما النواة كانت تقول بآلية محددة لتحقيق الوحدة هى النشرة المشتركة. وهذا كان نقلا عن الرفيق لينين، وهو ماكان يميز النواة - صوابا أو خطأ. المهم بعد أن تم التوحيد وبعد أن تم تكوين الموحد، لماذا لم تتم

المناقشة؟ كان يمكن إجراؤها بعد الوحدة، كنا نشرب الشاى مع بعض ولا توجد مشاجرات والثقة والمحبة سائدة، كلنا كنا نقول سياسة عبد الناصر ممتازة بل وبدأت حكاية الطريق اللارأسمالى . فلماذا لم تتم مناقشة جادة؟؟

ولم تكن القضية التى وحدتهم أن عبد الناصر وطنى، وهو ما اتفق عليه الجميع بعد الخروج من المعتقل. وهل يمكن لأحد أن يقول إن عبد الناصر لم يكن وطنيًا؟ كانت الناس تضربك فى الشارع. كنت لو سافرت إلى أوروبا وقابلت الأحزاب الشيوعية وهاجمت عبد الناصر يطردونك من مقراتهم– ليست هذه هى القضية. أريد أن أقول إنه لم تتم مناقشة حتى بعد أن أصبحنا هادئين ورفاقًا فالقول بأن عبد الناصر وطنى هو مجرد شعار وليس تحليلاً سياسيًا.

والخبرة الثالثة تتعلق بالأممية فقد ثبتت سذاجة التصور المثالى للأممية التى ينبغى أن تطاع قراراتها التى تصدرها فى حق شعوب أخرى لها ظروف خاصة. والأمر الغريب أن الأحزاب الشيوعية التى أدانت الحركة الديمقراطية لموقفها من حركة الجيش المصرى لم تفكر فى نقد أو حتى فى تفسير ما فعلته بعد أن اخذت تكيل المدح والتمجيد لنظام عبد الناصر وسياسته، وكأن المفروض علينا أن نطيع عندما استنكرت وأن نطيع عندنا مجدت ومدحت. الأممية جوهرها هو التضامن الأممى مع الشعوب فى نضالها من أجل التحرر من الامبريالية من ناحية، ومن الاستغلال الرأسمالى من ناحية أخرى. وغير ذلك أمر مرفوض لأنه يتصل بالإملاء والهيمنة. كان النقاش الرفاقى هو السبيل الواجب عندما تنشأ تساؤلات، وكم عانينا ونحن نطيع عندما تمت إدانة نظام تيتو وسياسة الصين، ثم عانينا ونحن نطيع عندما تم مدح نظام تيتو وسياسة الصين. نعم كنت ساذجًا خفيف التصرف حين كنت أدور على المنظمات ومعى تقرير «بالم دات» بإدانة الحركة الديمقراطية وكأنها الشهادة المقدسة المنزلة من الأممية وليست مجرد وثيقة قد تكون صحيحة وقد تكون مخطئة.

ولا أقلل بذلك من شأن الأممية وضرورة التضامن الأممى، المهم أن تكون ممارستنا أمميا سليمة، فنحن اليوم فى حاجة ماسة إلى مثل هذا التضامن أكثر من أى وقت مضى، ثم فى حاجة ماسه إلى فهم الأممية فى ظروف تتغير دائمًا.

دور اليهود فى الحركة الشيوعية :

حديثى السابق كان شهادة مستخلصة من ممارسة ومعاينة ومشاركة. أما بالنسبة لقضية اليهود فسيغلب على الحديث الرأى لأننى تعاملت مع معظم اليهود ممن قاموا بدور فى الحركة الشيوعية، بعد أن خرجوا من مصر، والقليل منهم قابلته وتعاملت معه داخل مصر، ولهذا

سيكون الحديث بعيداً عن الشهادة، قريبًا من الرأى. ولن أتكلم من زاوية التنظيم، إنما أتكلم على ضوء الظروف التاريخية لمصر والتى تشابه ظروف الكثير من بلدان العالم الثالث حيث نجد من له أصول أجنبية مختلفة عن أصول السكان الأصليين يقوم بدور بارز عند نشوء الحركة النقابية وحركات التحرير من الاحتلال والاستعمار بحكم توافر مستوى رفيع من الثقافة لبعضهم وبحكم خبرة الأهل فى بلدانهم الأصلية. وقد كان من الممكن أن تتجنب الحركة الشيوعية المصرية التعرض لهذه المسألة لو أن قيادة الحزب الشيوعى المصرى القديم قد تواصل كفاحها. ولكن انقطاع هذا الكفاح قد أدى بالحركة فى مصر أن تبدأ من جديد مع الأربعينيات. وتشاء الظروف فى هذا الوقت بالذات أن تشيع التقاليد الديمقراطية والنضال الديمقراطى والتقدمى والشيوعى بين عدد من اليهود المثقفين بسبب ما جرى لليهود على أيدى الفاشية والنازية فى إيطاليا وألمانيا. ولقد كان أكثر الناس الذين أيدوا مشروع «روزفلت» فى أمريكا قبل الحرب العالمية الثانية ودور الدولة فى الانتاج وإشاعة الخدمات التى تقدمها الدولة للناس هم يهود ديمقراطيون وتقدميون. وحين أرادت لجنة مجلس الشيوخ الامريكى تصفية ما فى الدولة والمجتمع من العناصر التقدمية والشيوعية بعد أن اشتدت الحرب الباردة بين امريكا والاتحاد السوفيتى، كان عدد كبير منهم مثقفين يهود ممن تعاونوا مع الرئيس السابق (روزفلت) ومن بينهم أدباء وفنانون أشهرهم كما نعلم هو شارلى شابلن. وكذلك لعبت العناصر من أصول مختلفة عن السكان الأصليين (الأجانب) دوراً هامًا فى حركة التحرير فى جنوب افريقيا، وتشاء الظروف أن يكون لليهود دور خاص فى الشرق الأوسط بسبب الحركة الصهيونية فكان منهم من أيدها ومنهم من عارضها وحارب أفكارها. ثم إن مصر طوال تاريخها كانت دولة مفتوحة للوافد من خارجها ليعيش فيها ويتمصر، ثم يعيش ويصبح مصريًا بل وليحكم مصر بعد ذلك.

كل هذه الظروف جعلت لمجموعة من المثقفين التقدميين ممن لهم أصول يهودية دوراً بارزاً فى الحركة الشيوعية عندما تأسست وأعادت النشاط والعمل فى الأربعينيات. نعم كان لهذه العناصر دور بارز وتأثير فعال فى الحركة الشيوعية فى الأربعينيات فنشأت معهم وبفضلهم وبالتعاون مع عدد من المصريين جمعيات وتجمعات وتنظيمات. وكان من أبرزهم هنرى كوريل ومارسيل إسرائيل وهليل شوارتز، بينما كانت هناك عناصر أخرى لها أصول أجنبية تنشط هى الأخرى وبطريقتها الخاصة، وفى مقدمتهم دى كومب وريمون دويك وصادق سعد ويوسف درويش. وشبيه ما فعله هؤلاء بما فعله من قبل بعض الأجانب عند نشوء الحركة النقابية فى

مصر. كان للمثقفين ممن لهم أصول أجنبية ويهودية دور خاص في إعادة تشكيل الحركة الشيوعية في الأربعينيات بسبب الظروف التي ذكرتها من قبل. وقد تبنى البعض منهم أفكاراً اشتراكية وشيوعية في مواجهة حملات الاضطهاد في أوربا ضد السامية، وخاصة الحملات الفاشية والنازية، ثم في مواجهة الأفكار الصهيونية التي كانت تقصد منطقتنا لاقامة اسرائيل على أرض فلسطين. كان دور المثقفين ممن لهم أصول يهودية دوراً طبيعياً حين عملوا على استنهاض العمل الشيوعي فهم أنفسهم ديمقراطيون وتقدميون وشيوعيون.

ثم تقلص هذا الدور مع نهضة حركة التحرير المصرية ضد الاحتلال والاستعمار البريطاني ومع النضال من أجل فلسطين. وكان ذلك أمراً طبيعياً، وتحديداً ابتدأ من قيادة اللجنة الوطنية للطلبة والعمال للنضال الوطني. كان كل قادتها مصريون، وكان كل قادة ما حدث بعد ذلك من انقسامات هم أيضاً مصريون على الرغم من وجود يهود في قيادة المنظمات. ولنتذكر أنه صاحب ذلك دعوة لتمصير القيادات، وكان شوارتز يرفض الفكرة، ويعتبرها اضطهادا (عنصريا) بينما وجدنا هنري كورييل يتبنى الفكرة بحماس وينفذها حتى يصبح القادة مصريين دون أن يعني ذلك نفي المثقفين ممن لهم أصول يهودية من القيادة (وهو يعني بذلك نفسه). أما مارسيل فيطلب ألا يكون هناك أجنبي في القيادة.

ولقد تزايد الصياح والصراخ حول هذه المسألة بسبب ما نشب من صراعات واكبت الانقسامات. وهكذا ضخمت مسألة وجود اليهود في القيادة مع أنه عملياً وبسبب نهضة الحركة الجماهيرية الوطنية أصبح نفوذهم ضعيفاً بل وسرعان ما انحصر آخر الأمر، بالنسبة لحدتو، في دور هنري كورييل كعضو في قيادة حدتو. ومما ساعد على ذلك خروج هنري ومارسيل وشوارتز ثم أوديت – التي حكمت لفترة وجيزة تنظيم «مشمش» بيد من حديد – من مصر.

جرى تضخيم قضية دور اليهود بسبب الصراعات التي قامت بين الشظايا التي خرجت من قلب حدتو نفسها خلال دورة الانقسامات الأولى، حتى أصبح الخلاف في الرأى بين هنري وشوارتز ومارسيل حول مسألة تمصير القيادة هو القضية الأولى في الحركة الوطنية المصرية، وهي مسألة لايكاد يدرى بها أحد في مصر باستثناء المتصارعين من الشيوعيين المصريين قادة تلك الشظايا التي تفجرت من حدتو، والتي كانت تغذيها أطراف اخرى من خارجها. فلم تحدث تلك الضجة حين كان السكرتير العام للحزب الشيوعي العراقي رفيقاً أجداده من اليهود، وحين كان «منيو» (وأصوله يهودية)، رئيس القسم المسئول عن حركات التحرر في المستعمرات في

الحزب الشيوعى الفرنسى، يصدر توجيهات مباشرة إلى الحزب الجزائرى محدداً بذلك سياسته، أو حين اتفق «منيو» هذا مع شابين من الدارسين المصريين لشهادة الدكتوراه فى فرنسا كى يعودا إلى مصر ليشكلا حزبا شيوعيا هو تنظيم «الراية»، أو حين استمر ريمون دويك وصادق سعد ويوسف درويش القادة الحقيقيين لتنظيم طليعة العمال حتى تشكل حزب ٨ يناير الشيوعى المصرى من الموحد والراية وطليعة العمال. رأيى أن هؤلاء جميعًا شيوعيون لهم أعمال مجيدة ولهم أخطاؤهم مثل بقية الرفاق.

غير أن هناك أمرا لا يمكن إنكاره وهو أن بروز النضال من أجل فلسطين وضد اسرائيل جعل وجود الرفاق أصحاب الأصول اليهودية فى القيادة أمام الرأى العام المصرى مسألة شائكة وحساسة بل ويصعب تجاوزها. وهذا ما جعل بعض الرفاق يطلبون بإخلاص، ولهذا السبب أساسًا، ألا يتصدر هؤلاء الرفاق للعمل الشيوعى قادة له. ولازلت أذكر اجتماعًا عقد فى نقابة المحامين بدعوة من المحامين الشيوعيين والديمقراطيين أثناء عدوان عام ١٩٥٦ من أجل التعبئة لمواجهة العدوان، وكان رفاق شيوعيون من أصول يهودية بين المشاركين، فإذا بالمحامى عبد العزيز الشوربجى يخترق قاعة الاجتماع فجأة ويعلن أن جهات مسئولة اتصلت به وأبلغته أن عناصر مشبوهة تشارك فى الاجتماع ولهذا لابد من فض الاجتماع فوراً. كان صوته حاداً آمراً. وانفض الاجتماع. وبطبيعة الحال كان وجود رفاق من أصول يهودية حجة استند اليها الشوربجى والمحركون له لمنع اجتماع نظمه الديمقراطيون والشيوعيون ويضم عددا كبيراً من المحامين المثقفين، ثم لمنع أن يكون الاجتماع نفسه بداية لنشاط جماهيرى يقوده الديمقراطيون والشيوعيون. وقد كان من المحتمل تحقيق ذلك كله لو لم يكن هناك فى الاجتماع رفاق لهم أصول يهودية.. هذا مجرد احتمال.

إن المثقفين من أصول يهودية فى الحركة الشيوعية المصرية يختلف كل منهم عن الآخر. فحين توقف التنظيم الشيوعى عام ١٩٦٤. خرج ريمون دويك من مصر ليعمل مترجمًا فى مؤتمرات الامم المتحدة، وكنت ألتقى به حين توليت مهمة سكرتير مجلس السلام العالمى كلما سافرت إلى جنيف للمشاركة فى المؤتمرات. وحين خرج مارسيل إسرائيل من مصر منذ قرابة أربعين عاما توجه إلى ايطاليا واتصل بالحزب الشيوعى وقدم تقريرا عن نشاطه، وقبله الحزب عضوا ملتزما بين أعضائه ولا يزال حتى اليوم عضواً فى الحزب الشيوعى الايطالى معتزاً بشيوعيته مناضلاً تحت راياتها. أما هنرى كورييل فقد شق طريقًا آخر، كان مستحيلاً أن يكون هنرى بلكنته الاجنبية قائدا شيوعياً جماهيرياً فى مصر، ولكنه كان مفتوناً بخبرته مع

الكفاح الوطنى والتحررى لشعب مصر، فحمل معه هذه الخبرة وشكل تنظيماً لدعم حركات التحرر الوطنى من الشيوعيين أصحاب الأصول اليهودية الذين غادروا مصر إلى فرنسا. لم يتأقلم هنرى مع الحزب الشيوعى الفرنسى بتقاليده الأوروبية بل ظل متمسكاً بقيم التحرر الوطنى التى تعلمها فى مصر. ومن الطبيعى أن يكون النضال التحررى الوطنى فى مصر نفسها أكثر ما يشغله أول الأمر، لذا ظل مستمراً فى قيادة حدتو دون أن يمنعه ذلك من مساندة حركة التحرر فى الجزائر التى أهدى اليها قصره فى الزمالك ليصبح سفارة الجزائر فى القاهرة. ثم تزايدت علاقاته مع بعض حركات التحرر في امريكا اللاتينية وآسيا كما كانت له صلات بقوى سياسية فى اسرائيل، وأسفرت هذه الأنشطة عن خلافات مع الحزب الشيوعى الاسرائيلى(ركاح) ثم خلافات أخرى عنيفة مع الحزب الفرنسى وتحديداً مع «منيو» مسئول حركات التحرر فى الحزب الفرنسى، ووصل الأمر إلى توجيه الحزب الفرنسى اتهامات بالعمالة والخيانة إلى هنرى كورييل، وقد تقدم الحزب مؤخراً بنقد لموقفه من هنرى فى وثيقة أكد فيها تقديره لنضاله.

إن هنرى كورييل هو مؤسس حركة فى مصر فعجز عن مواصلة قيادته لها لأسباب سبق ذكرها، ولهذا عمل على تشكيل مؤسسته الخاصة فى فرنسا. وواصل على رأس مؤسسته مناضلاً ومؤيداً لحركات التحرر، فيصيب ويخطئ، حتى تم اغتياله. ولم يتوقف لحظة عن النضال. ولهذا ليس غريباً أن ينشغل خصوم حدتو والشيوعيون المصريون عامة بدور هنرى حتى بعد أن خرج من مصر، وحتى بعد أن خرج من قيادة التنظيم الشيوعى المصرى بطلب منه، وحتى بعد أن أصبحت علاقاته بمصر مقطوعة تماماً، ثم حتى اغتياله .. هذا أمر طبيعى لأنه اختار لنفسه هذا الدور وقام به بلا انقطاع.

هل كان هنرى القائد المسيطر فى حدتو حينما كان فى مصر؟ الاجابة نعم فرجل له مثل هذه القدرات لابد أن يكون بفضل قدراته صاحب نفوذ غلاب، فيصيب ويخطئ. هل كان هنرى هو نفس القائد المسيطر بعد أن أصبح بعيداً فى فرنسا ؟ الجواب مستحيل. يقيناً هناك فى القيادة من ظل معجباً بهنرى كورييل وينصت إلى نصائحه. غير أن هذه النصائح والتوجيهات كانت تصل بعد أيام وأسابيع فتكون الأحداث قد تجاوزتها، ثم أن هذه النصائح والآراء لم تجد سبيلها إلى النضج والتطور خلال النقاش مع الرفاق فى الاجتماع، بسبب بعده عنهم. فظلت مادة خاماً فيها من الاخطاء بقدر ما قد يكون فيها من الصواب. وأذكر أن الأصدقاء فى دارالثقافة الجديدة عرضوا على منذ سنوات أوراقاً تضمنت ما كان يرسله هنرى إلى قادة

حدتو، مقترحين نشرها. ورأيتها مفككة مضطربة ونصحت بأنه إذا كان لابد من النشر فينبغى أن تكون هناك مقدمة طويلة تؤكد أنها آراء أولية -مادة خام - وليست نتيجة نقاش تطور فى الاجتماعات كما يحدث عادة، ثم ينبغى تناول ظروف صدورها وما فيها من نواقص وعيوب أو من صواب .. ثم هل يتصور أحد أن قادة حدتو كانوا سينتظرون رأى هنرى حين قامت حركة الجيش بليل وعليهم اتخاذ قرار فى الصباح؟ أو حين بدأ الغزو الثلاثى على مصر؟ أو حين نشب حريق القاهرة؟ هذه قرارات مصيرية. هل يتصور أحد أن قادة حدتو الذى أصبحوا قادة فى الحزب الموحد هم صبية عاجزون ينتظرون النصح من صاحبهم فى باريس؟ كان الرجل يرسل آراءه وكانت تقبل أو ترفض، وكان كثير منها قد تجاوزته الأحداث. وقد شعر الرجل تدريجيا أنه بعيد عن مصر حتى اضطر آخر الأمر أن يرسل طلبا بإعفائه من الاشتراك فى القيادة متمسكًا بعضوية بسيطة فى الحزب اتصالا بتاريخ مضى، وقد شاركت فى الاجتماع الذى طرح فيه طلب هنرى.

ولعلى كنت آخر من قابل هنرى كورييل من المصريين الشيوعيين قبل اغتياله (ولم أكن قد التقيت به وهو فى مصر ولكن تمت لقاءات معه بعد أن تركها) كنت فى باريس لحضور أحد المؤتمرات فجلسنا فى مقهى متواضع، وأخذ حديثنا ينتقل من موضوع لآخر، ثم فجأة أخذ يسألنى عن العديد من رفاقه القدامى. أظن فلان يناضل كما كان؟ أقول نعم. وفلان .. هو نضج وتطور؟ وأقول نعم.. وأين فلان؟ هل لايزال قائدا فى النسيج؟ أقول نعم.. ثم فلان تلو فلان.. والغريب أن معظم من ذكرهم كانوا قد تركوا التنظيم الشيوعى وبعضهم ترك الكفاح عامة. أدركت على الفور أن صلاته قد انقطعت بمصر منذ سنوات عديده، وشعرت كذلك عمق حنينه إلى مصر والرفاق فى مصر. ثم جاءنى خبر اغتياله بعد أسابيع فحزنت.

ما أحوجنا إلى تقدير رفاقنا بالعدل والانصاف.. وبموضوعية. فهم أولاً وأخيراً جزء من تاريخ نضال شعبنا.. صادق سعد ويوسف درويش ومارسيل وكورييل ومن صحبه من رفاق.

بعد المعتقلات - حزب ٨ يناير:

خرجنا من المعتقلات والسجون لنواجه مرة أخرى حركة جماهيرية عارمة. وأذكر أنه كان هناك موكب زهور بمناسبة خروج قوات الاحتلال، وأذكر أن الحزب الموحد أعد عربة لتشارك فى هذا الموكب، مُعلنا عن نفسه بشكل أو آخر. ولازلت أذكر كيف أننى زرت محمود العالم فى روزاليوسف حيث كان يعمل صحفيًا، وكان هناك جمع من السيدات والشباب لإعداد هذا

الموكب، وأنا أتابعهم متفرجاً، ثم اندمجت فى العمل بشكل أو آخر.

عمليا كان محمود العالم المسئول، كذلك شهدى عطية كان مسئولا هاماً جداً رغم أنه لم يكن فى قيادة الحركة الديمقراطية حينئذ بسبب التكتل الثورى. ولكنه كان هو القائد الممثل لحدتو، ودعنا نقول الآن إن الذى لعب دوراً أساسياً فى إقامة الحزب الموحد فى الخارج هما محمود وشهدى. ثم خرج الرفاق قادة الحركة الديمقراطية بعد ذلك من السجون والمعتقلات وانخرطوا فى العمل.

واجهنا حركة جماهيرية عارمة بعد مسألة موكب الزهور، وارتبطت هذه الحركة بتأميم قناة السويس. لازلت أذكر كيف أنني وبعض الرفاق من الحزب منهم محمد عباس فهمى قد ذهبنا للاسكندرية ونحن لا ندرى لماذا؟ نريد أن نؤيد حركة الجيش ونضالها ضد الاستعمار. كانت هناك بعض المواقف المشهودة : باندونج والموقف من الأسلحة التشيكية والعلاقات مع الاتحاد السوفيتى التى بدأت تتضح أكثر وأكثر، ثم الافراج عنا. ذهبنا للمنشية وتلقينا كما تلقى المواطنون خبر تأميم القناة بصوت عبد الناصر خلال خطابه الشهير. كان عريس هذا الحفل الهائل هو جمال عبد الناصر. قررنا أن نذهب وكأننا سنؤيده ونعبئ الجماهير من أجل تأييده، ولكن كان الموقف عارماً بالنسبة لتأييد جمال عبد الناصر بفضل مواقف عبد الناصر نفسه.

وبدأت الحركة الجماهيرية فى مصر تنهض من جديد فى إطار ما جرى بعد تأميم القناة – النضال فى مواجهة بريطانيا وفرنسا وامريكا واسرائيل، وأنا لا أريد أن أكرر تفاصيل ما جرى فى هذا الأمر – فالتفاصيل السياسية معروفة– ولكن أصبحت هذه هى القضية الأساسية التى تهمنا وتهم الشعب المصرى وتهم قيادة الدولة ممثلة فى عبد الناصر.

أذكر أنه كان من رأينا نحن أن هناك احتمال هجوم عسكرى على مصر .. وكان عبد الناصر لا يرى ذلك .. علمت ذلك من مناقشاتى مع خالد محيى الدين إذ كنت أعمل صحفياً فى المساء، وأذكر أن اتصالات خالد كانت مباشرة فى هذا الوقت مع جمال عبد الناصر، وكان ينقل إلينا أن عبد الناصر يرى أنه لن يكون هناك هجوم. وأيضاً أذكر التقرير الذى أرسله من باريس كورييل ورفاقه مع الملحق العسكرى – ثروت عكاشة – يؤكدون فيه بالوقائع والحقائق التى لديهم، أن العدوان سيتم. ورغم ذلك أصر عبد الناصر أن الهجوم لن يقع.

لا أدرى لماذا كان عبد الناصر يرى هذا الرأى : هل كان هذا حقاً تقييمه السياسى للأمر؟ هل كان يتأثر بموقف آخر، وهو أنه إذا كان سيقر بأن العدوان سيتم، فكان عليه أن يفتح باب العمل الجماهيرى على مصراعيه، وأن يأخذ الإعداد للمعركة طابع التسلح الشعبى. وهذا أمر

ليس سهلاً أن يسمح به عبد الناصر - فهو رجل عسكرى لا يحكم مصر مع الجماهير الشعبية كما فعل كاسترو إنما بطريقة فوقية - هل يا ترى أثرت هذه الأمور فى تقديره السياسى؟ المهم بدأنا ننخرط فى حركة المقاومة الشعبية فى القاهرة وغيرها من المدن، وكانت حركة محكومة بيد من حديد من ضباط عبد الناصر ولم يكن هناك فى حقيقة الأمر توزيع للسلاح، إنما تدريبات أولية وتعبئة شعبية عامة.. حتى جاء العدوان، وهنا انقلب حال الحزب الشيوعى الموحد تماما. على الفور قرر الحزب دخول بورسعيد لمواجهة العدوان والاحتلال. ومعركة بورسعيد للأسف لم تعط حقها، ودور الشيوعيين فيها لم يأخذ حقه.. ولبيان دور الشيوعيين، أقول إن القوى السياسية الوحيدة، التى كانت تكافح داخل بورسعيد، ومعها مجموعة من المخابرات كانت هى قوى الشيوعيين، وتحديداً ولا غيرهم هى قوى الحزب الشيوعى الموحد. لم يكن على الاطلاق رفيق واحد من التنظيمين الآخرين موجوداً داخل بورسعيد. لم يكن للأحزاب القديمة أو للاخوان المسلمين أى دور فى معركة بورسعيد، وكانت فى بورسعيد وحدة حزبية من رفاق الموحد ضمت رفاقا كانوا فى النواة وفى حدتو، وكنت أعرف من كان فى النواة واحداً واحدا. وعندما وطأ جند فرنسا وبريطانيا أرض بورسعيد سارعوا فى نفس اليوم وطبعوا منشوراً بجهاز بدائى يدعو شعب بورسيعد إلى المقاومة. صحيح أن عدد ما صدر من هذا المنشور قليل لكن المغزى عظيم. وأحسب من الناحية التاريخية أن ما قام به هؤلاء المناضلون الشباب كان أول إعلان عن عزم الحزب الموحد على مقاومة الاحتلال. وظنى أنه سبق قرار القيادة فى الصباح التالى للاحتلال عندما قررت تكريس كل جهود الحزب للمقاومة داخل مدينة بورسعيد.

وبالإضافة إلى الوحدة الحزبية داخل بورسعيد استندت خطة المقاومة على ركائز محددة. فهناك قيادة تجتمع علنا فى مقهى بالقرب من مبنى الاسعاف وسط القاهرة، وقد قررت أن يكون كل نشاطها علنًا بما فى ذلك توزيع المنشورات باسم الحزب. وقد ألقى القبض على صنع الله ابراهيم وكمال القلش بسبب توزيع المنشورات ثم أفرج عنهما فوراً. وكانت القيادة تتولى توجيه كل إمكانيات الحزب لدعم المقاومة، والركيزة الثانية كانت مجموعة الرفاق فى الدقهلية الذين عينوا الطريق لدخول بورسعيد عن طريق بحيرة المنزلة وتولوا هذه المهمة، ومنهم كانت أول مجموعة دخلت بورسعيد ومعهم سعد رحمى عن قيادة الحزب، كما شارك بعد ذلك من القيادة عبد المنعم شتلة فى النشاط داخل المدينة. واتخذت قيادة الحزب قراراً بأن يكون المسئول داخل بورسعيد هو أحمد الرفاعى الذى تولى الاتصال بواسطة محسن لطفى بضباط

عبد الناصر وتعهد لهم بنقلهم إلى بورسعيد عن طريق بحيرة المنزلة، ثم دخل المدينة هو الآخر مع المزيد من الرفاق القياديين. وظهرت بطولات فذة من الصيادين والباعة المتجولين الذين ساعدوا وحرسوا عملية نقل الرفاق وفرقة المخابرات ومعهم المنشورات والأسلحة إلى الداخل. كما قام سكان المدينة أنفسهم بحماية الرفاق وحماية نشاطهم وإيوائهم. وتجلت مظاهر التضامن الأممي فى إعداد الرفاق الشيوعيين اليونانيين الذين كان يعيشون فى بورسعيد تقريرا مفصلاً حول مواقع الوحدات البريطانية والفرنسية فى المدينة وحول أسلحتها ونشاطها أرسل إلى قيادة عبد الناصر. وكانت القيادة البريطانية والفرنسية عقب دخولها المدينة قد أخذت تستعين بالأجانب لتوفير النظام وإعادة الحياة إلى المدينة. وكانوا منهم الرفاق اليونانيون، وبدأت الاتصالات بالقيادات النقابية بالمدينة وبشخصياتها المعروفة فى مختلف الأحياء والقطاعات السكانية لتنظيم المقاومة التى شارك فيها الجميع حتى صبية الحوارى الذين كانوا يثيرون المشاكل للدوريات العسكرية التى كانت تجوب شوارع المدينة. وتزايدت أعداد المنشورات لتوعية الناس سياسيًا وتهيئتهم للعمل. وقد حاولت مجموعة المخابرات البدء بالعمل المسلح فور دخولها المدينة ولكن الرفاق أقنعوهم بخطورة هذا العمل قبل إعداد السكان وتهيئتهم لتحمل نتائج مثل هذا العمل المسلح الذى قد يصيب البسطاء من الناس، خاصة أن قيادات هيئة التحرير التى كان قد شكلها عبد الناصر لتقود العمل السياسى كانت موضع استنكار الناس، ولأنه لم يتم تدريب جاد لأهل المدينة حتى يواجهوا الاحتلال لمدينتهم، ولأن صناديق الأسلحة قد فتحت فقط عندما بدأ الاحتلال فتلقفها الناس بلا معرفة الأمر الذى أدى إلى مقتل البعض منهم. وتقبل أهل المدينة نشاط الرفاق ليضيفوا إليه الكثير من المبادرات الخلاقة ،فإذا الذى ورد فى المنشورات قد تحول إلى أغانى وطنية مع عزف على السمسمية، آلة أهل بورسعيد الموسيقية، ومعها شكل الناس البسطاء الكثير من مجموعات المقاومة فى مختلف الاحياء، وبرزت قيادات من أهل المدينة نفسها الأمر الذى كان يتطلب متابعة من الرفاق ساعدهم عليها الرفاق من أهل المدينة. وما أكثر البطولات التى برزت بين الناس وكان أعظمها ما حدث يوم قرر الرفاق أن الوضع السياسى بين السكان قد نضج للقيام بمظاهرة جماهيرية ضد الاحتلال. واتفق أن تتم المظاهرة بعد صلاة الجمعة منطلقة من الجامع الرئيسى. ولأنها ستكون جماهيرية فقد أصبحت أخبار الإعداد لها معروفة للجميع ولقوات الاحتلال. وذلك أمر طبيعى. مما أفزع رجال المخابرات فسعوا لدى الرفاق بكل الطرق لمنع المظاهرة خوفًا مما قد يترتب عليها من ضحايا، غير أن الرفاق اعتبروها نقطة التحول اللازمة لانطلاق المقاومة

ولإشاعة الثقة لدى الجماهير فى القدرة على تحدى قوات الاحتلال. وكانت اللحظة الحرجة عندما انطلقت المظاهرة من داخل الجامع تردد الهتافات نحو الساحة الخارجية لتواجه منظراً يثير الرعب. فقد أحاطت بالجامع عشرات المدافع والدبابات والعربات المصفحة وتوجهت كل أسلحتها نحو باب الجامع لتُواجه المتظاهرين. هنا توقف الهتاف. وساد الصمت. فمن الذى سيتحمل مسئولية مقتل العشرات بل والمئات من الناس؟ فى هذه اللحظة الحاسمة والفاصلة بين الفشل والنجاح، فى لحظة الصمت الرهيب، انطلقت صيحة فتاة بسيطة فقيرة وسط الجمع تهتف بشعار بسيط: يحيا الوطن. تحيا مصر. فردد الناس الهتاف الذى أخذ فى التصاعد مزهواً. وانطلق احمد الرفاعى ورفاقه من جديد يقودون المظاهرة إلى المقابر حيث كان يرقد من سقط شهيداً برصاص المحتلين. كان تقدير الرفاق سليما حين أدركوا أن وعى أهل المدينة قد نضج من أجل تحدى الاحتلال والقيام بمظاهرة جماهيرية ضد قواته، وكانت هذه المظاهرة هى بداية انتصار شعب بورسعيد على الاحتلال.

ولقد قامت جريدة المساء بدور عظيم خلال معركة بورسعيد والنضال العام ضد العدوان الثلاثى. وكان عبد الناصر قد عهد لخالد محيى الدين برئاسة تحرير المساء لتعبر عن توجهات نظامه التقدمية. كما عهد لأحمد حمروش برئاسة تحرير مجلة كان من المفروض أن تصدر لتعبر كذلك عن نفس التوجهات، وطلبت للعمل فيهما معا فقبلت بعد موافقة الرفاق على أن يخصص دخلى من المجلة (٤٠ جنيها) للنشاط الحزبى، ولم يقدر للمجلة أن تصدر عندما قامت ضجة فى إحدى لجان مجلس الشيوخ الأمريكى بسبب كثرة التقدميين والشيوعيين العاملين فى صحف عبد الناصر. حدث ذلك فى نفس الوقت الذى أخذت فيه أمريكا تعارض علنًا العدوان الثلاثى على مصر .. هنا قرر عبد الناصر وقف إصدار المجلة مع تحويل المحررين للعمل فى إحدى مجلات دار التحرير حيث لم يكلفوا فى الحقيقة بعمل أى شئ. وفى نفس الوقت ترك المساء تصدر مساء كل يوم.

وقد فتح خالد محيى الدين أبواب الجريدة للعمل أمام الشيوعيين من مختلف التنظيمات الثلاثة، وكان الرجل أمينا مع الجميع.. حتى أنه بعد تشكيل (حزب ٨ يناير) من كل هذه التنظيمات، وعلى الرغم من ميله سياسيًا إلى تيار «الراية + طليعة العمال» فإن موقفه لم يكن يؤثر على الاطلاق فى معاملته لى، ثم كان الرجل شجاعًا فى معارضته السياسية لاعتقال الشيوعيين فى اليوم الأول من عام ١٩٥٩ ثم معارضته لسياسة جمال ازاء العراق بعد حوادث «الشواف» مما اضطر عبد الناصر أن يبعده عن جريدة المساء ليظل بلا عمل سنوات عديدة..

المهم أن دور جـريدة المساء أثناء العدوان كان عظيمًا وعبر الشيوعيون من خلالها عن سياستهم أمام الرأى العام، كما أن المساء قامت بطبع جريدة «الانتصار» التى تم توزيعها داخل بورسعيد.

ولقد واصل الشيوعيون بتنظيماتهم الثلاثة العمل الجماهيرى العلنى بعد اغلاق المعتقل، وشواهد ذلك عديدة. منها استقبال الوفود الشعبية العربية والآسيوية والافريقية بمناسبة انشاء منظمة التضامن بين شعوب آسيا وافريقيا. وكان للحزب الموحد دور كبير بين عمال النقل «أبورجيله» ونقابتهم بقيادة الحاج توفيق إلى حد القدرة على تحويل سير عربات ابو رجيله لنقل الرفاق إلى المطار لاستقبال الوفود.. وهو أمر لم يحدث من قبل. وكان حفل افتتاح المؤتمر التأسيسى للمنظمة غارقًا فى شعارات أطلقها الشيوعيون وحلفاؤهم من مختلف المنظمات والنقابات. ومنها المظاهرات التى انطلقت فى الشوارع بمناسبة إجراء أول انتخابات عامة تتم فى عهد حكم الجيش، والتى قامت أساسا بتوجيه الشيوعيين من مختلف المنظمات. كان هذا واقع لم يكن ليفوت على عبد الناصر أبدا، وهو أن الشيوعيين أصبحوا القوة السياسية الوحيدة فى الشارع بعد أن نجح جمال فى تصفية الأحزاب القديمة، ثم فى ضرب تنظيم الإخوان المسلمين وتشتيت أعضائه. وسنذكر شواهد عديدة على متابعة عبد الناصر بل وقلقه من نشاط الشيوعيين.

ويحسن قبل ذلك أن نذكر ما حدث بين الشيوعيين أنفسهم فكما تم فى الماضى تزايدت الرغبة بين أعضاء التنظيمات الثلاثة فى توحيد تنظيماتهم فى حزب واحد مع تعاظم المد الجماهيرى الذى كان يؤكد لكل الأعضاء ضرورة الوحدة حتى يقدروا على تحمل مسئولية النشاط المتصاعد فى مواجهة قوى الإمبريالية وللحفاظ على المكاسب التى تم إنجازها، خاصة أن عبد الناصر بعد العدوان الثلاثى قام بما عرف بتمصير الشركات البريطانية والفرنسية فى مصر، أى تأميمها، وهى خطوة جسورة بعد تأميم شركة القناة. وكان نجاحه فى هذه التأميمات عملا رائدًا أمام كل شعوب بلدان العالم الثالث، ولهذا ازدادت علاقاته بالاتحاد السوفيتى توثقًا كما ازدادت مسئولية الشيوعيين المصريين. ورفعت قيادة الحزب الموحد شعار الوحدة بقوة بين الشيوعيين – بل وبأى ثمن، كما سنرى – واندفعت القيادة فى هذا الاتجاه، وكلفت مبارك عبده فضل ومحمود العالم باجراء الاتصالات اللازمة والعمل على تحقيق الهدف. ومما ساعد على ذلك أن تنظيم الراية كان يزداد ضعفا وأن قواعد طليعة العمال كانت تضغط بشدة على قيادتها للتخلى عن مواقفها التقليدية كى تتحقق الوحدة.

والمحزن أن ضغوط العمل الجماهيرى واحتياجاته قد جعلت النقاش الجاد لفهم الواقع واتجاه الأحداث غائبا- تماما كما حدث فى الماضى - والأغرب من ذلك أن تنظيم الراية المتهالك طلب أن تكون القيادة مناصفة بيننا وبينهم حين قررت قيادة الموحد الوحدة مع هذا التنظيم. وكانت ثقة رفاق الحزب الموحد زائدة فى أنفسهم بعد نجاح تجربة قيام حزبهم الموحد وبعد انصهار أعضاء هذا الحزب وكوادره فى عمل جماهيرى مشترك وتحت قيادة واحدة كانت أبرز تجلياتها معركة بورسعيد المجيدة التى كانوا هم وحدهم ودون غيرهم قادتها، وهكذا تحول مطلب الوحدة الضرورى إلى مرض -فى رأيى- لابد من تقديم التنازلات تلو التنازلات لتحقيقها سريعًا. ولازلت أذكر اجتماع اللجنة المركزية للموحد الذى عقد فى منزلى لانتخاب الاعضاء الذين سيصبحون فى لجنة قيادة الحزب الجديد مع تنظيم الراية الذى سعى هو الآخر إلى الوحدة فوراً لإنقاذه مما هو فيه من حال. فى هذا الاجتماع اقترح محمود العالم: أن يكون كمال عبد الحليم وشهدى عطية الشافعى عضوين فى قيادة التنظيم الجديد (ولم يكونا فى قيادة الموحد) ووافق الجميع لأنهما فعلا كانا بين قادة النشاط، ثم قال محمود: أقترح استبعاد الرفاق من أصول يهودية من قيادة الحزب الجديد، فاختلف رفاق حدتو القدامى بينما وافق أحمد الرفاعى وتردد الآخرون، وبين الموافقة والتردد أطلق محمد الجندى قذيفته حين أعلن أن خطابا وصل من هنرى كورييل يطلب عدم ترشيحه فى قيادة الحزب لأنه أصبح بعيداً عن الواقع المصرى ويريد أن يتشرف فقط بأن يكون عضوا عاديًا فى الحزب الجديد، ولم يكن أمام الجميع الا الموافقة. بقى انتخاب الأعضاء الآخرين وعددهم سيكون قليلاً. هنا شعرت برغبة بين أعضاء حدتو القدامى فى استبعاد رفاق معينين من القيادة الجديدة، مثل عدلى جرجس. وقد يكون الحق معهم، غير أنى خشيت من انفراط العقد خاصة أن نقاشا سياسيًا لم يتم وأن الانتخاب يستند إلى التقدير الشخصى للآخرين. أعلنت أنى لن أرشح نفسى للقيادة الجديدة، ثم فعل ذلك أيضًا حسين غنيم عضو القيادة من النواة سابقًا، وفى فترات الاستراحة ألح رفاق حدتو القدامى على كلينا للترشيح للقيادة الجديدة حتى يتم استبعاد آخرين لا يصلحون فى رأيهم للعمل مع أعضاء من الراية. ومع إصرارى وإصرار حسين تم انتخاب القيادة الجديدة مع ما وقع على أعضاء الحزب الموحد من غبن شديد فيما تم. وأكبر دليل على ذلك القصة التالية. كان عبد العظيم أنيس عضوا فى الحزب الموحد بعد عودته من بريطانيا وقيامه بالعمل فى جريدة المساء، وعندما بدأت الانتخابات العامة قرر الحزب الموحد تأييد كافة من رشحهم اتحاد نقابات العمال فى دوائر معينة. فهذه هى أول مرة

ستتم فيها انتخاب عمال فى الهيئة البرلمانية، وتشاء الظروف أن يتقدم عبد العظيم بالترشيح فى إحدى هذه الدوائر، وفشلت كل الجهود لإقناعه بتغيير الدائرة. ويدأ صراع غريب. الحزب الموحد يؤيد مرشح اتحاد العمال ضد عبد العظيم عضو الحزب بينما الراية وطليعة العمال تبذلان الجهود لتأييد عبد العظيم. وقبيل اعلان الحزب الجديد بيوم أو يومين اتصل بى عبد العظيم فى جريدة المساء وطلب منى إبلاغ الرفاق أنه مستقيل من الحزب. هذا طبيعى ومعقول، ولكن الغريب أنه بعد يوم أو يومين أعلن رفاق الراية عن أسماء ممثليهم فى القيادة الجديدة فنجد اسم عبد العظيم لا يقدم فقط عضواً فى اللجنة المركزية الجديدة بل وفى المكتب السياسى الجديد، وضربنا كفًا على كف.

أما الذى حدث بعد ذلك مع تنظيم طليعة العمال فكان هو الأغرب، فبعد أن أصبح الموحد والراية حزبًا واحدا أصرت قيادة تنظيم الطليعة أن تكون القيادة الجديدة للحزب الواحد الجديد مناصفة مع أعضاء القيادة المشتركة من الموحد والراية. وكان ذلك يعنى تقلص أعضاء الموحد مرة أخرى فى القيادة المنتظرة. وحتى يتم ذلك عدلت قيادة تنظيم الطليعة موقفها من العضوية فبعد أن كانت تتشدد إلى أقصى حد فى اختيار العضو إذا بها تصدر أوامرها إلى الاعضاء كي يمنحوا العضوية لمن يقبل وبدون توافر أى شرط.

وتقدمت قيادة طليعة العمال بقائمة بأسماء الأعضاء مطالبة، بحكم العدد الوفير الذين أدرجت اسماؤهم فى القوائم، أن يكون نصف القيادة الجديدة من أعضائها مع القبول بشرط عدم ترشيح من له أصول يهودية فى هذه القيادة. وقبل الرفاق، ثم تبين بعد ذلك أن مئات الاعضاء من تنظيم الطليعة لا وجود لهم.. من يكذب على من؟ ولمصلحة من؟ وما هو الهدف؟

بعد أن تشكل الحزب وبدأنا نعمل، كنا نسمع عن خلافات شديدة قائمة فى اللجنة المركزية، ولم نكن ندرى بوضوح ما هى هذه الخلافات، ولم نكن بشكل أو آخر مستريحين لبعض التصرفات، وخاصة بالنسبة للمنطقة التى كنت أعمل فيها بالجيزة، وكنت مسئولاً عن العمل الجماهيرى، وكان جمال غالى مسئول الوحدة فى الجيزة وفاطمة زكى مسئولة امبابة. وكان المسئول السياسى إلهام سيف النصر. أذكر مرة أن كان اجتماع المنطقة فى بيتى، وأطلت زوجتى من البلكونة، فوجدت سيارة فاخرة ووجدت شابًا وسيمًا جدا بجوارها فنظرت لى وقالت من هذا؟ قلت لها : مسئولى السياسى. فقالت هذا يذكرنى بميمى بك، وكان هناك كاريكتير مشهور جداً بهذا الاسم، وأطلقنا عليه من هذا اليوم اسم ميمى بك.

كان نشاطنا فى الجيزة واسعاً وتكاد العضوية كلها أن تكون من الحزب الموحد، ثم فوجئنا بعد العمل بفترة بقرار يقضى تحت حجة الظروف المالية الصعبة بتصفية العدد الأكبر من الكوادر المحترفة من الحزب الموحد، وقد استهدفوا المحترفين من الحركة الديمقراطية، وظل الرفاق الموجودون فى القيادة من المحترفين كما هم مثل فؤاد حبشى ومبارك عبده فضل وغيرهما. تحت شعار الأزمة المالية، صدر قرار بتصفية العشرات من رفاق احترفوا منذ سنوات طويلة. الأغرب من ذلك أنهم عينوا محترفين آخرين من (د ش) طليعة العمال. تذكرت ما قاله ريمون دويك في المعتقل، وصرخت وأعلنت تمردي ، ووجدت الوحدة تنهار أمامى، فريمون دويك لم يعد فى القيادة ومع ذلك ما قاله فى المعتقل ينفذ وتنفذه كوادر الراية بغباء شديد، وأعلنت فوراً فى هذا الاجتماع رفضى لتنفيذ القرار. وذكرت الأسباب. قلت إن هذا الموقف مدبر ومختزن منذ سنوات عديدة حتى تأتى الظروف لتنفيذه. وكنت أدفع شهريًا أربعين جنيهًا للحزب، فقررت ألا أدفع مليمًا واحداً، وأن الأربعين جنيهًا ستذهب للرفاق الذين سيتضورون جوعًا، ويجب أن يستمروا مكافحين كما كانوا من قبل، نعم، كما كانوا فى بورسعيد، وقلت لهم أن يبلغوا ذلك لأعضاء اللجنة المركزية. وطبعًا تمرد معى بقية أعضاء الحزب الموحد. وحدث نفس الأمر فى مناطق أخرى وانشق الحزب بسبب مؤامرة دبرها البعض لتصفية كوادر ناضلت طوال حياتها. والأمر العجيب أنهم جميعًا كانوا محترفين فى الحزب الموحد بماليته الضعيفة بينما الحزب الجديد لايحتمل وجودهم على ثراء أعضاء فى قيادته.

وبعد أن كنت مكرسا جهدى للوحدة طوال حياتى حتى أننى دخلت النواة على أساس أنها نواة الحلم الذى تمنيته، أصبحت أكثر عنفًا ضد المؤامرة التى أدت إلى شق الحزب. وقد أصروا هم على اتخاذ القرار فحدث ما حدث. وأصبحت القصة معروفة لنا وللتاريخ. وأذكر أن جميع الناس فى الحزب الموحد خرجوا باستثناء مجموعة يرأسها محمود العالم. فهو مع مبارك عبده فضل كانا مسئولين فى الحزب الموحد عن عملية الوحدة واشتركا دائما فى اجتماعات الوحدة وكان عزيزًا عليهما أن ينهار الحلم الذى بذلا جهدهما من أجله. وللتاريخ أيضًا أذكر أن مبارك ذكر لى شخصيًا، أنه لا يوافق على ما تم متأثرا بدوره مع محمود العالم، قال : ولكن ماذا أفعل؟ هل سأبقى وكيف سأستمر؟ ليس لى من تاريخ ومن حياة إلا معكم، ولكن لا أوافق على ما تم. هذا للتاريخ. أما الباقى فكانوا مقتنعين أن الحزب قد دمر، ونحن لسنا مسئولين عما حدث.

كان الأمر الذى أفزعنى أكثر ما أفزعنى هو ما قاله ريمون دويك منذ سنوات. كان مختزنًا فى الكمبيوتر، لكى يظهر على الشاشة وينفذ بعد سنوات بحذافيره. وبدأ الصراع مكشوفًا بين أعضاء الحزب الوليد فى شوارع المدن وفى القرى لكسب الوحدات إلى هذا الفصيل أو ذاك، وأصبح كل شئ معروفًا مكشوفًا. ونسى الجميع الشواهد العديدة التى كانت تؤكد أن هناك من يتابع تحركاتهم ليعصف بهم جميعًا. وما أكثر هذه الشواهد.

السجن والتعذيب – لقتل شهدى

لقد اعتقلنا فى أول يناير عام ١٩٥٩ بحجة أننا نختلف مع عبد الناصر فى مسألة الوحدة العربية، وهذا غير صحيح. نحن كنا نؤيد الوحدة، ولكننا كنا نختلف حول الأساليب غير الديمقراطية التى قامت الوحدة عليها حيث تم تجاهل الظروف الخاصة بكل قطر، مصر وسوريا. وكانت نظرة الرفاق الآخرين شديدة. كانوا يؤكدون على الخلافات، وكنا نحن نؤكد على ضرورة التحالف فى مواجهة الامبريالية التى لا يمكن أن تسكت ازاء ما فعله عبد الناصر من تأميم وتمصير .. إلى أخره. وكان موقف الرفاق الآخرين متأثرًا بالحزب الشيوعى العراقى. كان قادة من هذا الحزب يزورون مصر، وكانوا يشجعون على طردنا، وكانوا ينقلون إلى الآخرين أفكارا وآراء حول عبد الناصر الذى أصبح رجلاً متخلفًا بينما القائد المتقدم والمتطور هو عبد الكريم قاسم .. إلى آخر هذه النظريات التى يعرفها بالتفصيل محمود أمين العالم بحكم موقعه فى القيادة والتى كان يعارضها معارضة شديدة.

الضربة لم تكن نتيجة لمعارضتنا للوحدة لأننا لم نكن نعارضها من حيث المبدأ، سواء نحن أم هم.. الأمر بالنسبة لعبد الناصر كان غير ذلك تماما فلقد أدرك أن الشيوعيين أصبحوا القوة السياسية الوحيدة فى الشارع، لقد صفى الأحزاب كلها، سجنًا واعتقالاً وتصفية تنظيمية.

لقد صفى بالحديد والنار جماعة الإخوان بينما الشيوعيون يشتد نفوذهم، وهذه مسألة لا تفوت على عبد الناصر أبدًا. الشاهد الأول على ذلك، أنه فى خضم معركة بورسعيد وفى خضم الدور البطولى الذى قام به الحزب الشيوعى الموحد دفاعا عن شعبنا وعن سياسة عبد الناصر أيضًا أرسلت ملكة بريطانيا رسالة لعبد الناصر، بأن أحد أقاربها كان ضابطًا فى الجيش البريطانى وقد فقد ولم يعثر عليه وطلبت معرفة ما حدث له حيًا أو ميتًا. سأل المخابرات ، قالوا

له لا نعرف. لم يبق الا الشيوعيين يسألهم، فهو يعرف أن الشيوعيين كانوا أصحاب سلطة فى بورسعيد. دعا محسن لطفى، الذى حكى لى تفاصيل اللقاء أثناء اجتماع لحركة السلام فى بلغاريا. حينما دعاه عبد الناصر، دارت فى عقله أوهام حول التحالف بين عبد الناصر والشيوعيين. سينطلق إذن فى الحديث عند اللقاء ليؤكد له أهمية التحالف لأن الوضع التاريخى الذى واجهته مصر يؤكد ضرورة ذلك، أحلام لا تنتهى، حتى قابل عبد الناصر. فانطلق محسن لطفى فى خطاب طويل عريض حول أهمية التحالف و.. إلى آخره. فأسكته عبد الناصر- قال له : لم أستدعك من أجل ذلك، هؤلاء عملاء للاتحاد السوفيتى.

قال عبد الناصر ذلك عن الشيوعيين المصريين الذين لم تكن لهم علاقة بالحزب السوفيتى، فى الوقت الذى كان يقابل هو جميع الشيوعيين فى العالم - العرب وغير العرب- ليتفق معهم، إلا الشيوعيين المصريين لأنهم فى إطار نظامه غير مسموح لهم بالبقاء، وجودهم، حركتهم، نشاطهم أمور مرفوضه - هم إذن عملاء لأنهم ليسوا أتباعه. صدم محسن لطفى. ثم قال له عبد الناصر إن ملكة بريطانيا اتصلت بى. ولا أعرف إذا كان من الممكن أن تجمعوا لى معلومات حول هذا الرجل، حتى يمكن أن أبلغها، هل هو موجود معكم أم قتل؟

والشاهد الثانى ما حدث فى منطقة الجيزة بعد قيام حزب ٨ يناير، كان عبد الناصر يزور الاتحاد السوفيتى، وفجأة حدثت مشكلة لعمال النقل التابعين لشركة ابو رجيلة، وقرر عمال النقل التمسك بمطالبهم أو سيضطرون إلى القيام بإضراب، أى أن الحركة فى القاهرة ستشل بينما عبد الناصر فى الاتحاد السوفيتى، والمسيطر على هؤلاء العمال هم الشيوعيون. إذن هم المسئولون، فتكون الفرصة لضرب الشيوعيين وسحقهم لأنهم سبب شل القاهرة بينما عبد الناصر يزور الاتحاد السوفيتى لدعم العلاقات بين البلدين. وذهبنا إلى رمضان وطعيمة وهما المسئولان عن تنظيمات الشباب والعمال بين ضباط عبد الناصر لإنقاذ الموقف، خاصة أن ابو رجيله يرفض رفضا باتًا الاستجابة إلى مطالب العمال العادلة، غير أنهما أصرا على تأييد موقف أبو رجيله وعلى رفض التعاون معنا من أجل حل المشكلة، وظللنا ساعات نناقشهما ولا فائدة على الإطلاق .. فماذا نفعل؟ ذهبنا إلى أبو رجيلة نفسه، تركنا رجال عبد الناصر ونظام عبد الناصر، وذهبنا للتفاوض مع الرأسمالى أبو رجيله، من أجل إنقاذ الموقف. كان أبو رجيله واعيًا ويدرك حرج موقفنا كشيوعيين. دخلنا فى مساومة واضحة معه، وتم الاتفاق بعد طول نقاش على أن يستجيب للمطالب الراهنة مقابل التنازل عن مطالب هامة أخرى كان يتوقع أن يتقدم بها العمال فى المستقبل. وتم الاتفاق. قال ابو رجيله: أنا أعمل فى إيطاليا وأعرف أن

الشيوعيين الإيطاليين رجال وكلمتهم شريفة. فأنا أعتبر كلمتكم كلمة رجال .

هذه الحكاية علمتنا شيئين وكنت أنا وجمال نلعب دوراً فى هذه الحكاية ومعنا الحاج توفيق وهو معلم كبير جداً. كان أبو رجيله يفتح له الباب بمجرد وصوله. لأنه يمكن أن يشل نشاطه ويوقف كل عرباته. نعم تعلمنا شيئين. أولاً : أن نظام عبد الناصر ليس هو النظام الذى نتصوره، ففيه الكثير من خصوم الشيوعيين. الشئ الثانى أنه فى السياسة الباب مفتوح للمساومات ولابد أن تتوافر لك الشجاعة لتقوم بها، قمنا بمساومة مع الرأسمالى، بينما نعجز عن الاتفاق مع نظام عبد الناصر الحليف. وكان هذا درساً سياسياً.

أما الشاهد الثالث فهو ما جرى فى مقابلة السادات مع كل من محمود العالم وشهدى عطية. ويمكن تلخيص المقابلتين فى كلمة واحدة، أنهما انذار. غير أن الصراع العنيف بين الشيوعيين من الفصيلين قد أنساهم شواهد تنذر بقرب الكارثة.

ملخص ما أريد أن أقوله: تم القاء القبض علينا فى يناير، بعد أن كنا مع زوجاتنا وأطفالنا نمضى ليلة رأس السنة سعداء. فإذا بنا نجد من ينتظرنا لإلقاء القبض علينا، وهو أمر له مغزى خاص، ولازلت أذكر صبيحة أول يناير ١٩٥٩. حينما كنت أشاهد زميلاً تلو زميل، ثم زميلاً تلو زميل وقد ألقى القبض عليهم، لا تفرقة بين هذا الاتجاه وذاك، وكأن الجميع قد ألقى القبض عليه. كان المنظر مريراً.

لم يكن ما جرى مثل حالات إلقاء القبض على الشيوعيين فى القضايا الأخرى – حيث يمكن أن يلقى القبض عليهم، ثم يسجنون، ثم يخرجون – إنما كان الهدف هو أن يفعل بهم عبد الناصر مافعله بالأحزاب الأخرى أى التصفية النهائية. ودخلنا السجن جمعياً باستثناء أعداد قليلة، بالنسبة لنا : كمال عبد الحليم وعدد قليل وفد إلينا منهم الواحد تلو الآخر، وبالنسبة للآخرين كان أبو سيف وعدد قليل أيضاً مع الرفاق.

على أن الحملة على الحركة الشيوعية فى مصر هذه المرة ارتبطت بظروف عربية وعالمية. ارتبطت بالوحدة المصرية السورية، وبالثورة فى العراق، وتدهور العلاقات مع الاتحاد السوفيتى بسبب موقف عبد الناصر من الحزب الشيوعى السورى، وبالتالى ارتبطت بالصراع العربى بين أمريكا والاتحاد السوفيتى، ثم أولا وقبل كل شئ ارتبطت باتجاه نظام عبد الناصر نفسه .. هل سيواصل معركته داخليا وخارجياً ضد الامبريالية أم سيتراجع فينتكس نظامه؟؟

ولقد مرت الحملة على الشيوعيين فى مصر وكذلك فى سوريا والتى صاحبتها بالضرورة حملة على الشيوعية عامة فى مرحلتين. الأولى كانت ناعمة حاول فيها عبد الناصر الحديث عن

الشيوعيين كوطنيين ارتكبوا أخطاء. وذلك حين كنا معتقلين في سجون القلعة، ثم اتخذت الحملة أبعاداً عنيفة ضارية بعد أن فشلت حركة الشواف في العراق ضد نظام عبد الكريم قاسم، وكان الشواف قومياً حليفاً لعبد الناصر. بعد هذا الفشل أخذ عبد الناصر يعد العدة لمحاكمتنا. وكانت محاكمات صورية، كما أخذت حملة الدعاية ضد الشيوعيين أبعاداً عربية ودولية طالت الاتحاد السوفيتي نفسه، وأخذ الرجل يلقي كل يوم أكثر من خطاب حول عملاء الاتحاد السوفيتي، وتبعه في ذلك الحاكم المصرى على سوريا المشير عبد الحكيم عامر الذى كثيراً ما كان يخطئ الحديث فيقول (العلماء) بدلا من (العملاء). كان الوضع فى سوريا مهددا بسبب الحدود السورية المشتركة مع العراق وبسبب تصرفات النظام الناصرى فى سوريا نفسها بعد أن فرض تطبيق نظام الحكم فى مصر على القطر السورى دون مراعاة لاختلاف الظروف بين القطرين .. ثم أضيف إلى ذلك كله حملة تعذيب بشع للشيوعيين بعد أن تمت محاكمتهم ليلقى بهم فى أوردى ليمان أبى زعبل. وهكذا أصبحت عملية التعذيب الجماعى للشيوعيين من ناحية واستمرار سجنهم واعتقالهم من ناحية اخرى جزءاً لا ينفصل من اتجاه نظام عبد الناصر وسياسته على الصعيد العربى والصعيد الدولى. ومن ثم أصبحت مسألة وقف التعذيب والإفراج عن الشيوعيين مدرجة فى مقدمة جدول الأعمال السياسى للاحزاب الشيوعية فى مصر والأقطار العربية وفى العالم (وتحديداً فى الاتحاد السوفيتى). نعم هكذا أصبحت عملية تعذيب الشيوعيين بعد اعتقالهم عاملا هاماً فى تحديد سياسة نظام عبد الناصر.

كان هذا واقعاً حقيقياً أدركه الشيوعيون المصريون جميعاً وفى كلا الفصيلين اللذين انقسم إليهما حزب ٨ يناير. على أن ذلك لم يكن كل الواقع، إذ نشأ الخلاف فى موقف الفصيلين، والامر يتصل بسياسة عبد الناصر الداخلية، الاقتصادية والاجتماعية التى ينبغى أن يحسب وزنها الحقيقى فى التأثير على مجمل السياسة الناصرية. وهو ما اهتم به فصيل الحزب الشيوعى الموحد أو ما عُرف فى وثائق أجهزة البوليس بالحزب الشيوعى (حدتو) لتمييزه عن الحزب الشيوعى ٨ يناير. ولهذا الخلاف قصة قديمة.

بعد خروجنا من المعتقل عام ١٩٥٦، وخاصة بعد تمصير الشركات البريطانية والفرنسية وتأميمها إلحاقاً بتأميم شركة قناة السويس، ثار سؤال هام بين القيادات الشيوعية فى مصر : ما هى طبيعة نظام عبد الناصر؟ وحدث فى نفس الوقت أن شاعت فى المطبوعات والمجلات السوفيتية مقولة الطريق اللارأسمالى، حيث كانت يُضرب مثلا بسياسة الهند شاهداً على هذا

الطريق!

وأذكر أنى فى مساء يوم قابلت ريمون دويك بالصدفة (قبل وحدة ٨ يناير) وجلسنا على المقهى نتحدث فى الشئون السياسية، وأخذ كعادته يرمينى بسؤال تلو السؤال : ما رأيك فى نظام عبد الناصر؟ وما تقديرك لسياسته؟ وهل يكفى أن نقول عن نظام عبد الناصر إنه نظام وطنى يمثل البورجوازية الوطنية؟ ألا ينبغى أن نقول أشياء أخرى؟ وبطبيعة الحال امتنعت عن الإجابة وأخذت بدورى أطرح عليه أسئلة لسبب بسيط، لأننى لم أكن أعرف بوضوح الإجابة، ولم يكن هو أيضاً يعرف الإجابة، وفى تصورى أنه لجأ إلى لتكون مناقشته معى أكثر حرية وأكثر طلاقة وانطلاقاً مما كان يمكن أن يجريها مع رفاقه داخل التنظيم.

وأذكر أيضاً مناقشات علمت أنها دارت حينما كنا فى سجن القلعة قبل أن نذهب للواحات، وقبل أن تشتد ضراوة عبد الناصر ضدنا بعد اعتقالات ١٩٥٩. كان صادق سعد يلقى محاضرات على رفاق (د.ش) طليعة العمال حول ما كان يقوله ماركس تفسيراً لنظام لويس بونابرت، وكان يشبه عبد الناصر به. ولا أعرف ماذا كان يقول بالدقة، ولكنى كنت أقول لنفسى هذا خطأ جسيم لأن هناك فرقاً كبيراً بين أوضاعنا فى مصر وأوضاع فرنسا البورجوازية الأوربية. نحن نعادى الامبريالية، نحن حركة تحرير فى بلد مستقل حديثاً. وأتصور أن هذا تأكيد لرؤيتى أن الرفاق فى الفصيل الآخر يميلون إلى تفسير التطورات فى مصر على أساس التفسير الطبقى التقليدى، وهو ما سيتضح أكثر فيما بعد، حينما ترفع رايات رأسمالية الدولة الاحتكارية. وهذا بدوره تأكيد لرؤيتى من أن الانقسام الحقيقى فى الحركة الشيوعية هو أيضاً انقسام بين حركتين واتجاهين وهو مستمر حتى اليوم.

أعود مرة أخرى للحركة الفكرية فى هذا الوقت، وأضرب مثلا آخر شدنى وجذب انتباهى بشكل واضح. أثناء معركة الانقسام فى حزب ٨ يناير عدت إلى قيادة الحزب الجديد وتوليت مسئولية منطقة القاهرة. وكان ضمن أعضاء المنطقة عادل حسين الذى قدم لى باعتبارى مسئول المنطقة مجموعة من الكراسات لفت انتباهى فيهما أمران: الأول اعتماده الشديد على الاحصائيات وهو يوضح اتجاهات نظام عبد الناصر، مما يؤدى إلى طرح نفس السؤال الذى طرحه ريمون دويك ولكنه ليس مجرد سؤال سياسى عام كما طرحه ريمون بل ارتبطت به حقائق واحصاءات ودراسة تشرح الواقع. الأمر الاخر أن عادل حسين كما عرفته له طريقة شبيهة بطريقة ريمون دويك حينما يناقشك وفى عقله أمر يريد أن يقنعك به، فيطرح أسئلة عديدة حول هذا الأمر، حتى يحاصرك بإجابات يصل بها إلى النتيجة التى يريدها هو، تماما

كما كان يفعل ريمون، والشئ الغريب أنه أيضًا فى كتاباته يفعل ذلك، يجمع الوثائق الكثيرة، ولكنه ينظمها بطريقة تجعلك تصل بالتأكيد لنفس النتيجة التى يريدها وهى فى ذهنه منذ البدء. فهو لا يبحث عن الحقيقة ولكنه دائما يريد أن يثبت صحة ما فى ذهنه هو من معتقدات. وكان حماسه فى التقرير جامحًا شديد التأييد لسياسة عبد الناصر دون أى نقد لهذه السياسة، إلا أن التقرير لافت للنظر ويستحق النقاش، وكان من العبث أن يطرح فى الظروف التى كنا فيها. حيث كنا فى صراع عنيف مع الرفاق فى الفصيل الآخر. فأخذ هو يُسرب التقرير إلى رفاق آخرين فى القيادة للتأثير فى أفكارهم، وكانت تلك عادته.

حين اعتقلنا عبد الناصر دفع بالحملة على الشيوعيين إلى أقصى الحدود ولكن لوحظ أنه استمر فى سياسته الداخلية ثابتًا، فقام بتأميم شركات أخرى فى مقدمتها شركة ابو رجيلة، ثم قام بما هو أكثر عندما أمم بنك مصر وشركاته. صحيح أن إحدى شركات بنك مصر قد اندمجت مع شركة بريطانية غير أن بنك مصر هو بنك مصر. ولهذا لم يهتز تقييمنا لسياسة عبد الناصر المعادية للامبريالية فى عمومها على الرغم من اشتداد الخلاف بينه وبين الاتحاد السوفيتى. فلم تنزعج القيادة من شعارات حول مواقف الأممية قد تطلق كما حدث فى الماضى. وكانت هناك قناعة بين أعضاء القيادة أن استمرار عبد الناصر فى انتهاج هذه السياسة الداخلية لا يمكن أن يستقيم مع حملته السياسية ضد الشيوعيين، وأن الأمر لابد أن ينتهى بانتصار أحد الاتجاهين آخر الأمر. ولم نكن نعتنى كثيرًا بقضية الديمقراطية السياسية فانتباهنا كان منصباً على الديمقراطية الاقتصادية والاجتماعية، أما الديمقراطية السياسية فكان محورها الوحيد هو الموقف بين الشيوعيين. وقد تأثرنا فى هذا الموقف بما كان عليه الحال فى الاتحادالسوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى. وبدأ النقاش بين الرفاق يتزايد دون أن يكون فى هجوم عبد الناصر علينا ما يخفى حقيقة تأميمه للشركات الرأسمالية التى كان بعضها مصريا. وفى خلفية كل ذلك كان هناك سؤال : ما الذى يمكننا عمله كى ينتهى التناقض بين سياسته الداخلية، الاقتصادية والاجتماعية، وخصومته للشيوعيين والاتحاد السوفيتى بحيث ينتصر الشق الأول على الثانى؟؟ ثم انتقلنا إلى الاسكندرية وقدمنا للمحاكمة. وحاولنا أن نستفيد من المحاكمة لتأكيد رأينا. فنبرتنا فى القضية تختلف عن نبرة الآخرين. كنا نشير إلى الديمقراطية وإلى الظروف الخاصة بكل من مصر وسوريا –مجرد إشارات – ولكننا أكدنا ضرورة التعاون والتحالف ضد الامبريالية. وبعد المحاكمة فكرنا فى تنظيم النقاش. وكنا قد قررنا أن يكون شهدى عطية هو المسئول السياسى. ولا أذكر بالدقة

متى قررنا عقد الكونفرنس. هل كان قبل وصولنا إلى أبي زعبل مع وجود الرفيق شهدى أم بعد الوصول إلى أبي زعبل واستشهاد الرفيق؟؟

ولا أريد أن أذكر تفاصيل رحلتنا من الاسكندرية بليل حتى وصلنا إلى أبي زعبل عند الفجر، وأظن أن شهادات أخرى قد وفرت معلومات مفصلة فى هذا الشأن، ولا أريد كذلك أن أذكر تفاصيل عملية التعذيب ومراحلها التى استمرت عدة ساعات بحضور اللواء همت الذى كان يشرف على مثل هذه «الحفلات». فالمعلومات بشأنها متوافرة فى شهادات أخرى.

ولكنى سأذكر حقائق يصعب أن أنساها، أتذكر أن رجلا جاء إلينا، وكان مسئولا عن العلاقات العامة فى مصلحة السجون، وكان وحده يلبس لباسا مدنيا، بدلة بيضاء زاهية. وأخذ يتحدث بأدب جم ووقار شديد. قال : أين الاستاذ شهدى عطية؟ فوقف شهدى بقامته المهيبة. قال له تسمح تأتى معنا. بأدب شديد. وذهب شهدى معه ليتلقى تعذيبا خاصا يفوق ما كنا نلقاه من هول التعذيب . وكانت هذه آخر مرة أرى فيها شهدى عطية.

أتذكر أننى فى المرحلة الأخيرة من التعذيب وبعد أن مررت من باب أوردى ليمان أبى زعبل أخذت أشعر بضغوط متكاثرة على قلبى من الضرب، والضابط يقول اضرب. اضرب. وأخذت أفقد الشعور بالألم وامتنع صوتى وامتنعت حركتى. بل وأخذت أسرح فى أمور مضت وكأنى أبتسم. أدرك الضابط أنها لحظة الاقتراب من الموت. وتوقف الضرب بأمر منه.

أتذكر أننى سقطت آخر الأمر على البورش فى العنبر وكان بجوارى مبارك عبده فضل: كانت حالته بالغة السوء. والغريب أنه نفس العنبر الذى عشت فيه عندما اعتقلت عام ١٩٥٤. ويكاد يكون مكانى حيث سقطت هو نفس المكان السابق. كنت أنظر إلى مبارك وهو ينازع، فقدت الاحساس والشعور. التعذيب أوصلنى إلى حد فقدان أى شعور نحوه وهو الرفيق والصديق. كان مجرد شئ.

اتذكر أن رفيقًا شابًا صحته جيدة هو محمد الليثى أدرك حالة مبارك، فتحامل على نفسه وأمسك به واحتضنه. وكانت أمامى «قروانه» فى انتظار الطعام : الفول والسوس. فأخذ «قروانتى» وطلب من مبارك أن يتبول. فعلها مبارك آخر الامر فى «القروانة». وقذف الليثى ما فيها ثم وضعها أمامى. وبعد لحظات جاء الفول ووُضع فى «قروانتى» وتناولته دون أى شعور بأنى أتذوق الفول مع بول مبارك. فقدت كل احساس بالتمييز بين الأشياء. هذا هو التعذيب.

عندما أغلق الباب علينا أدركنا جميعًا أن شهدى عطية غير موجود ولم يسأل أحد من الرفاق أين هو؟ كنا نعرف. وما جرؤ أحد منا أن ينطق بما يعرف. وران الصمت علينا جميعًا.

تركونا يومين. وقيل إن العادة أن يتركوا الجسد فترة بعد «حفلة» التعذيب الأولى لقسوتها، ثم جاء طبيب السجن ليكشف على جراحنا وليكتب تقريره (علمنا أن التقرير ذكر أن كدمات حدثت لنا حين تمردنا على نظام السجن) وعلمنا من الرفاق من العنابر الأخرى أثناء الليل أطرافا مما يحدث من أهوال في المعتقل. ونقلوا إلينا كلمات تشجيع. وأوصونا أن نأكل السوس قبل الفول حتى نستفيد من بروتين السوس. كنا من الاعياء لا نكاد نقف على أرجلنا حتى نسقط. وفي اليوم الثالث أو الرابع حدث مالم يتوقعه أحد.

فتح باب العنبر مع صوت جهير يقول افتح الباب. دخل رجلان كبيرا السن إلى العنبر. والضابط «مرعى» يقول لهما «سيحاولون الاعتداء عليكما». نهره أحدهما وأمره باغلاق الباب. أغلق الباب. نظرا الينا. وقفنا مندهشين مما يحدث.. مرت لحظة صمت.. قال كبيرهما وهو ينظر إلينا : هل اعتدى عليكم أحد؟ السؤال فاجأنا لغرابته. هنا خلع فؤاد حبشي قميص السجن الابيض وظهر لحمه الممزق مختلطا بدم يتجمد. وفعلنا كلنا مثله. نظر الرجل إلى أكوام اللحم أمامه ممزقة متهتكة. غطى عينيه بيده وهو يقول «مجرمين . مجرمين» ، وعندما ازدادت دهشتنا قال أحدنا ببراءة : أين شهدى. صمت الرجل ثم قال «البقية فى حياتكم». أجهشنا بالبكاء. قال فؤاد «تماسكوا يا زملاء لا داعى للبكاء» ثم قال الرجل الثانى «لاتخافوا . لابد من الحساب .. اجلسوا. لا تخافوا» ثم تركا العنبر ونحن لا ندرى ماذا يحدث حولنا. مات شهدى ومبارك يكاد يموت. ثم نظر فؤاد حبشى حوله وهو يقول «يا أحمد يا رفاعى تول أنت المسئولية»

(عرفت بعد أيام أن أحد الرجلين لواء بوزارة الداخلية يعمل بالتفتيش، والآخر رئيس نيابة القليوبية وهو قريب لأحد الرفاق أظنه محمد الجندى، وقد أمرا بالتوجه إلى أوردى ليمان ابى زعبل لأن شهدى قد مات ولأن هناك حوادث. ثم علمنا أن عبد الناصر كان قد أمر باستمرار التعذيب بشرط ألا يقتل أحد، وذلك بعد الضجة التى ثارت بسبب مقتل رفيق طبيب فى الأوردى. وأن جمال الآن يزور عواصم اوربية وأنه قوبل من الصحفيين بهجوم شديد بعد أن شاعت اخبار مقتل شهدى وما حدث لنا فى أبى زعبل فأصدر جمال أمره فوراً بالتحقيق لأن توجيهاته لم تنفذ).

لحظتها لم تكن نعلم شيئاً غير هذه الاشارات التى حدثت أمامنا فى العنبر، وكنت أعرف أحمد الرفاعى منذ أيام أبى زعبل القديمة. فهو قدير لماح فى قيادة المعارك وفى الظروف الصعبة، ثم هو قادر على التصرف بحسم وبلا تردد ما دام الهدف أمامه واضحاً . قال لى

«هناك أمور تدور ولا نعرفها». وبعد فترة نودى على رفيقين كان اللواء همت قد أمر بعدم تعذيبهما بسبب «اتصالات خاصة». وقام الضابط مرعى بالتحدث معهما وتهديدهما بأشد العذاب إذا ما سئلا عما حدث فى المعتقل وسردا ما تم.

أضاف أحمد الرفاعى هذه الاشارات والتنبيهات إلى ما سبقها. وبدأت تتبلور فى ذهنه أفكار معينة. ويقينا أن تصوراتنا السياسية حول التناقض الراهن فى سياسة عبد الناصر وضرورة انتصار أحدهما على الأخرى، قد ساعدته على بلورة رؤية الموقف. فعزم على المغامرة والعمل على أساس اتجاه عبد الناصر المناهض للامبريالية فى مواجهة سياسته العمقاء ضد الشيوعيين والاتحاد السوفيتى. هنا نادى فؤاد مرسى علينا، وكان يسكن العنبر المجاور. فلقد علموا بما حدث فى الزيارة وأبلغونا استعدادهم القيام بأى عمل نوافق نحن عليه ضد ما يجرى فى المعتقل، فطالبه أحمد الرفاعى - كنت بجواره - بالا يفعلوا شيئاً على الاطلاق. «فنحن مسئولون عن دم شهدى الذى بذل حياته من أجلنا».

ثم جاء المساء فى اليوم التالى ومعه جاءت الاشارة الكبرى التى حسمت الموقف بالنسبة لأحمد الرفاعى كى يصدر توجيهاته بحسم قاطع. فقد جاءتنا الاخبار أن رجال النيابة العامة فى الخارج وأنهم يستدعون الرفاق ليدلوا بشهاداتهم بعد أن فتح التحقيق.. قال أحمد الرفاعى للرفاق : «لاتناقض على الاطلاق مع رجال النيابة، لنستمع إليهم ونسترشد بتوجهاتهم، وإذا حدث أى خلاف فليكن الرأى هو رأيهم». اشتد عجبى. قال لى أحمد : نحن لا نعرف بالضبط ما يجرى فى الخارج. وهم أصبحوا الخيوط الوحيدة التى تصلنا بهذا الخارج. وعلينا أن نحسم أمرنا ونتصور أن ما يجرى فى الخارج يتفق مع رأينا وتوجهاتنا. ولنتحمل المسئولية.

ونفذ الرفاق التوجيهات كما نفذتها كذلك، وكنت أقول كلاما أثناء التحقيق فيعدل رجل النيابة بعض ما أقول. فلا أتدخل وأوافق. وكنت أذكر أسماء. فيعدل رجل النيابة هذا الاسم أو ذاك. فلا أتدخل وأوافق. وفى النهاية طلبت أن أدلى برأيى السياسى وتحدثت طويلا عن الامبريالية ومخططاتها وضرورة التحالف.. الخ. الخ. فيسجل رجل النيابه كلاما من عنده مثل عبد الناصر البطل زعيم الشعب الذى نفتديه من أجل الوطن. فأتركه يسجل ولا أتدخل. هذه هى التوجيهات ولابد أن أنفذ.

(كنا من التعذيب مرهقين مشتتين ولهذا كان رجال النيابة يضبطون أقوالنا ويحققون ما نذكر من أسماء حتى لا يتعارض كلام أى رفيق مع كلام الآخر. وكان ضباط المعتقل قد زعموا أنهم اضطروا إلى مواجهتنا بعد أن تظاهرنا أمام الأوردى ونحن نهتف بسقوط عبد الناصر

ونظامه، بل أن رئيس المعتقل زعم أننا «اعتدينا عليه وأنه مصاب». فكان هذا الكلام الذى رواه رجال النيابة حول «حبنا فى عبد الناصر» لدحض مزاعم الضباط).

بعد يومين صدر الأمر بوقف تعذيب الشيوعيين فى مصر وسوريا فأنقذوا من موت بطئ، ثم كان لوقف تعذيب الشيوعيين ورفع الأذى عنهم فى المعتقل تأثيره السياسى بإعادة العلاقات تدريجيا بين النظام الناصرى والاتحاد السوفيتى. والفضل كان لاحمد الرفاعى، ثم أولا وقبل كل شئ لشهدى عطيه الذى فدى بدمه وحياته كل الرفاق.

ذكرت ذلك تفصيلا لسبب هام، وهو أن الرفيق رفعت السعيد نشر كتابا حول مقتل شهدى عطيه الشافعى. وكل ما فعله هو أن أتى بتحقيق رجال النيابة مع رفاقه من الشيوعيين ونشره فى كتاب فأصبح كل من قرأ ما أصدره رفعت السعيد وما سجل عن رفاقه فى التحقيقات حول حبهم الشديد لجمال عبد الناصر لابد أن ينتهى إلى نتيجة وحيدة وهى أن رفاقه جبناء ضعفاء منهارون مستسلمون. ولم يحاول أن يسأل من حوله من رفاق عما حدث سؤالا واحداً، ثم لم يحاول وهو المؤرخ أن يتبين الدلالات الإنسانية والسياسية نتيجة لما جرى من تحقيق.

وذكرت ذلك أيضاً لأنه بعد سنوات كنا نجلس رفاقا فى إحدى العواصم الاوربية قبل جلسة دار فيها صراع شديد مثلما كان يجرى فى الماضى، وكنت الطرف الوحيد أمامهم فى هذا الصراع، فأمسك صديقى ورفيقى العزيز أديب ديمترى الذى أعتز بصداقته القديمة .. أمسك بكتاب رفعت السعيد متحدثا عن الضعفاء الجبناء المنهارين بشهادة كتاب رفعت، وموجها حديثه نحوى أنا الضعيف الجبان المنهار. وكنت أتمنى أن يسألنى قبل أن يطلق حديثه الزاعق – وأنا رفيقه وصديقه – فلعلى أذكر له ما يفيده ويتعلم منه.

وبعد أيام صدرت أوامر جديدة بنقل مجموعة شهدى (الحزب الشيوعى الموحد) إلى سجن القناطر بعيدا عن أوردى ليمان ابى زعبل وذكرياته. وهناك استقبلنا طبيب السجن، وكان يعرف شهدى أيام سجنه فى ليمان طره بعد أن حكم عليه بالاشغال الشاقة سنوات سبع. قدم الرجل لنا العزاء ثم منح زملاء كل حجرة امتيازات تمنح للمرضى من طعام وشراب و«مراتب» للنوم. وهكذا كان شهدى معنا ليساعدنا حيا وميتاً.

كنا نشعر ونحن فى السجن أننا فعلنا شيئًا نعتز به. ساهمنا فى إنقاذ الشيوعيين وفى إحداث تغيير خلق مناخا لإعادة العلاقات بين ناصر والاتحاد السوفيتى كما كانت قبل يناير ١٩٥٩، وشجعنا ذلك على البحث عن خيارات أخرى لإحداث المزيد من التغيير. قد تنجح محاولاتنا وقد تفشل. ولكنى أقدم فى الصفحات التالية تسجيلاً لهذه المحاولة

ونتيجتها.

الصراع الفكرى :

صدر قرار ببدء الكونفرنس بعد أن وصلنا إلى سجن القناطر، والظن أنه أطول كونفرنس فى تاريخ الشيوعيين، فهو يتم بلا وثائق مكتوبة، ويقتصر على الحوار الشفاهى، وفى حدود فسحة كانت تتم كل يوم لأقل من ساعة. كنا ننتقل ونحن نسير فى «الطابور» للتشاور والحوار. وكان كل المسجونين أعضاء فى الكونفرنس الذى استمر حوالى ثلاثة أشهر، فكلهم كوادر. بعد فترة لتطوير النقاش صدر قرار بالسماح بالنقاش بين الرفاق فى كل زنزانة، وكان عددهم ثلاثة رفاق. وقبل انتهاء الكونفرنس بحوالى عشرة أيام صدر قرار آخر يقضى بأن يتولى بهيج نصار إعداد مشروع الوثيقة الصادرة عن الكونفرنس. ولا أعرف لماذا اختارنى الرفاق لهذه المهمة الصعبة، وقد سبق أن حملت أكثر من طاقتى عندما طلب منى أن أكون مسئولا عن رفاق الحزب الموحد فى معتقل أبى زعبل القديم وفى ظروف أحداث التغيير السياسى والحزب لايزال وقتها وليداً.

بدأت تنفيذ القرار وأخذت أنتقل خلال الفُسحة لألتقى بالرفاق الواحد تلو الآخر حتى أعرف بدقة رأى كل منهم. وأخذت أبلور اتجاهين بين الرفاق. أحدهما يرى أن ما يفعله عبد الناصر من تأميمات هو تحقيق فعلى للاشتراكية بعد أن اقترب أكثر وأكثر نحو الاشتراكية العلمية، وكان عادل حسين هو أشد المتحمسين فى هذا الاتجاه. كان تأييده لعبد الناصر مطلقًا يصل إلى حد الايمان.

ويرى الاتجاه الآخر أن عبد الناصر يتخذ اجراءات تقدمية وليست اشتراكية. أى أنها تفتح الطريق أمام الاشتراكية مستقبلا. وكان عدد من القادة من الاتجاه الاول، ولكن أغلب أعضاء الكونفرنس من الاتجاه الثانى. والمشكلة أمامى هى كيفية الوصول إلى اجماع وتوافق فى الرأى وتوحيد للتوجه السياسى، فمن أجل هذا تم اختيارى، وقضية توحيد الرأى والاجماع على توجه عام واحد أمر هام جداً ونحن فى السجن وفى ظروف سياسية بالغة الحرج. وقد أكدت على أمور محددة، منها استبعاد أى تحليل عن طبيعة نظام عبد الناصر فذلك مستحيل لعدم توافر المعلومات اللازمة للوصول إلى رأى علمى واضح، ثم أن أجمع المواقف من كل من الاتجاهين والتى يمكن أن يتفق عليها أطراف الاتجاه الآخر، ثم أن أقصر الوثيقة على مواقف عملية بل وإجرائية تجنبا للتحليلات، واخيراً أن تكون الوثيقة فى شكل قرار قصير.

وعلى هذا الأساس أكد القرار أن أفكار عبد الناصر تتطور وتقترب رويداً رويداً من أفكار الاشتراكية العلمية، وأنه من الممكن مستقبلا ومع تطور أفكاره أن تتم وحدة بين مجموعته الاشتراكية والتنظيم الشيوعي. وبهذه الفقرة كسب الاتجاه الأول خطوات هامة تتفق مع الواقع، فأفكار عبد الناصر تتطور وتتقدم فعلا، واحتمال وحدة مجموعته مستقبلاً مع الشيوعيين أمر لا ترفضه خبرة الاحزاب الشيوعية سواء ما جرى في كوبا أو ما جرى في كثير من دول شرق أوربا، حيث توحدت الأحزاب الشيوعية مع أحزاب الاشتراكية الديمقراطية.

ومن جهة أخرى أكد القرار على الشروط اللازم توافرها حتى يمكن أن يتم التوحيد، مثل: التمثيل الطبقي للعمال وتبني أفكار الاشتراكية العلمية الحقة وغيرها من الشروط الواردة في الأدب الماركسي، وبهذ الفقرة كسب الاتجاه الثاني خطوات هامة تؤكد ما يتبناه الشيوعيون أسسا وأهدافًا.

وكانت هناك مقدمة بسيطة أشارت الى الظروف السائدة. ولم يتجاوز القرار الصفحة الواحدة الا قليلا.

هذا هو قرار «المجموعة الاشتراكية» الذي أثيرت حوله ضجة من رفاق لم يطلعوا عليه. ومن أسف أن نص القرار فُقد ولا توجد منه نسخة واحدة اليوم. غير أن الذي يؤكد فساد هذه الضجة أن جميع المشاركين في الكونفرنس (وعددهم قرابه ٣٥ عضواً على ما أذكر) قد وافقوا على القرار باستثناء ثلاثة أعضاء، وأن جميع الرفاق في سجن الواحات قد وافقوا عليه وأن أصحاب القرار لم توجه إليهم أية تهمة، كما كانت العادة في الماضي من الرفاق أعضاء الفصيل الآخر، إنما رفضوا القرار لخلاف أساسي في فهم سياسة عبد الناصر، وأن أعضاء جدداً قد انضموا إلى الحزب (الموحد سابقًا) بعد اتخاذ القرار، منهم عبد العظيم أنيس ومجموعة كبيرة من الرفاق كانت لا تزال مع الفصيل الآخر يتقدمهم محمود أمين العالم، وأن ما حدث من تأميمات واسعة وشاملة بعد ذلك خاصة بعد انفصال سوريا عن مصر، ثم إصدار الميثاق قد أكد حقيقة تطور وتقدم أفكار عبد الناصر ومجموعته بشأن الاشتراكية.

وبفضل القرار تدعمت وحدة الحزب على الرغم من أنه قدم جديدا حول احتمالات المستقبل السياسي والاقتصادي والاجتماعي لشعب مصر. غير أن هناك جديدا في القرار كان موضع قبول وبدون مناقشة على أهميته، فخلال حديثي مع الرفاق تمهيداً لصياغة القرار تأكدت أن الجميع في كلا الاتجاهين السابق ذكرهما (أو أغلبيتهما العظمى) يرون أن طريق مصر إلى

الاشتراكية لن يكون مثيلاً لما جرى فى الاتحاد السوفيتى أو فى بلدان شرقى أوربا أو فى الصين. وما يجرى أمام أعينهم فى الواقع شاهد على ذلك. فهناك خصائص لا يمكن إنكارها. ولهذا عندما تمت صياغة القرار لم يتضمن التعبير التقليدى بشأن الالتزام «بالماركسية اللينينية» إنما نص القرار على الالتزام «بالاشتراكية العلمية» نفيًا ورفضًا للاشتراكية «الطوباوية» المثالية وهو التعبير الذى شاع عندما شرع ماركس يحدد القوانين العلمية للاستغلال الرأسمالى وبديله أسلوب الانتاج الاشتراكى. ولاشك أن اختيار هذا التعبير (الاشتراكية العلمية) كان كذلك لتيسير الأمور عندما يبدأ النقاش مع المجموعة الاشتراكية، إذ كان عبد الناصر يجنب نفسه «تهمة» الانضواء تحت رايات الماركسية «والعمالة للسوفييت». بسبب تبنى الاتحاد السوفيتى لرؤية معادية للاديان. غير أن الأمر الأساسى الذى جنب النقاش فى الكونفرنس هو رؤية الأعضاء جميعًا أن طريقًا آخر وظروفًا أخرى لم ترد بعد فى خبرات البناء الاشتراكى وطرقه السابقة مطروحة عليهم بالنسبة لمصر. والظن أن هذه هى أول مرة تطرح وثيقة أساسية لحزب فى الأقطار العربية ويستبعد فيها الالتزام بالماركسية اللينينية والاكتفاء بالاشتراكية العلمية. وهو عرف سيجرى عليه ويتبناه الكثير من الأحزاب الشيوعية بعد ذلك (ويلاحظ أن تعبير الاشتراكية العلمية قد ورد فى الميثاق الذى أصدره عبد الناصر. ولا أدرى إن كانت هناك صلة بين الامرين، قصدها عبد الناصر عند صياغة ميثاقه).

كذلك لم يحدث من أى رفيق أثناء النقاش أن طرح مسألة رفض الأديان وفقا لما طرحته فلسفة كارل ماركس. وكان ذلك تأكيداً على ضرورة الالتزام بالظروف الواقعية السائدة فى مصر.

ثم لم يشتمل القرار على الإطلاق على ما عرف بطريق النمو غير الرأسمالى، لأن الحديث تناول مباشرة الشروط اللازم توافرها كي تكون الاشتراكية العلمية مطبقة في مصر. ولعل ذلك هو ما أوحى للرفاق تبنى فكرة مرحلة الانتقال إلى الاشتراكية، بعد ذلك وليس الطريق اللارأسمالى.

والواقع أن القرار بالنسبة للقيادة كان يمثل «آلية» جديدة يمكن الاستعانة بها للتعاون مع نظام عبد الناصر وتحديداً مع المجموعة الاشتراكية التى أشار إليها القرار (ذكر القرار تعبير المجموعة الاشتراكية لأن عبد الناصر لم يعلن قيام حزب اشتراكى رغم الإلحاح فى الدعوة إلى الاشتراكية فيما كان يقوله هو وصحبه) وسعت القيادة أن يصل القرار إلى عبد الناصر بكل الطرق أملا فى أن يكون خطوة للتغيير بعيد المدى لو تم تنفيذه.

على أن الخلاف ظل قائما وإن كان مستترا. فأصحاب الاتجاه الأول كانوا يرون أن أفكار عبد الناصر قد توافرت لها شروط عديدة من بين الشروط الواردة فى القرار باعتبارها أسس الوحدة، ولهذا ظلوا على رأيهم بشأن بناء الاشتراكية على يديه، بينما يرى أصحاب الاتجاه التالى أن معظم الشروط لم تتوافر بعد، ومن ثم لابد من مواصلة النضال كحزب مستقل حتى تتوافر. وكانت صياغة القرار تتفق مع رأى أصحاب الاتجاه الثانى.

غير أن هناك واقعا سيحدد مصير الآلية الجديدة والقدرة على تشغيلها .. فلنتصور أن عبد الناصر يتقدم فعلا نحو الاشتراكية العلمية ونحو بناء الاشتراكية (وفقًا للمفاهيم التى كانت الاشتراكية تشيد على أسسها فى الاتحاد السوفيتى - بلا ديمقراطية، وبسطوة قائد الحزب الواحد، ثم غياب مشاركة أعضاء هذا الحزب فى اتخاذ القرار... الخ) فهل مجرد إصدار قرار من قبل طرف معين حول الوحدة سيؤدى إلى وحدة الطرف الثانى معه؟ بل إن مجرد مناقشة جمال عبد الناصر مع أصحاب القرار لن يحسمها إصدار القرار مالم تكن علاقات القوى فى الواقع المصرى تسمح بتنفيذه .. وتلك قضية ستكشف حقيقتها فى المستقبل.

وقد ظل النقاش مستمرا هادئًا بين الرفاق بعد الكونفرنس فى سجن القناطر، ثم بعد أن انتقل كل المسجونين والمعتقلين إلى سجن الواحات.

القرار ، إذن، وفر لأصحابه آلية اتفق الجميع عليها. لكن تشغيلها يتوقف على ما يتم فى الواقع. وتلك هى المسألة التى بذلت محاولات لحلها.

ولا أريد أن أتحدث عن سجن الواحات وما جرى فيه للشيوعيين وبين الشيوعيين. كيف غالى الفريق الآخر فى أفكاره حتى وصل إلى حد تفسير ما فعله نظام عبد الناصر على أنه رأسمالية الدولة الاحتكارية كما هو الحال فى بلدان أوربا وأمريكا الشمالية؟ وماذا جرى للعلاقات بين الأعضاء القدامى لتنظيم طليعة العمال وأعضاء تنظيم الراية؟ والعلاقة المتهتكة بين أعضاء قيادة الفصيل الآخر؟ وكيف تشكل تكتل أو تنظيم «الأفق» بقيادة الرفيق رؤوف نظمى الذى عرف فيما بعد بالدكتور محجوب عمر؟ وكيف تزايد عدد من عرف بالمستقلين من أعضاء الفصيل الآخر، وكيف تغير فكر الفصيل الآخر من رأسمالية الدولة الاحتكارية وصفًا لما يجرى فى مصر إلى بناء الاشتراكية وبحماس فائق بعد الخروج من السجن والافراج عن المعتقلين ثم المسجونين؟ ذلك كله متروك لشهادات الرفاق من الفصيل الآخر. ولكن أريد أن أؤكد حقيقة هامة وهى أن الانفجار والتشتت هذه المرة لم يلحق بالفصيل الذى اعتبر امتداداً لحدتو إنما حدث للفصيل الآخر، ثم أريد أن أشير إلى ما ستبينه الصفحات القادمة من أن

التشتت الذى كان قد جرى مرتين لأعضاء حدتو فى الماضى قد تبعه فى الحالتين عودة إلى التوحد فيما بين الشظايا من جديد، أما التشتت الذى جرى فى الفصيل الآخر داخل سجن الواحات فلم يسفر عن عودة إلى التوحيد أو إلى العمل فى التنظيم الشيوعى مرة أخرى بل أسفر عن نهاية وخاتمة لتنظيم الراية وتنظيم طليعة العمال .. إذ لم يعد أى عضو فى قيادة كل من التنظيمين بعد الخروج من السجن إلى الكفاح فى إطار التنظيم الشيوعى. وليس ذلك لضعف فى إرادة الرفاق. كلا. كلا فلقد صمدوا مثل غيرهم أمام الإرهاب والتعذيب وبشجاعة. إنما هو نتيجة لما يمكن لن تؤدى إليه المغالاة فى الخطأ النظرى من خراب ودمار.. وقد سبق أن أشرنا إلى ما طرأ على تنظيم الراية من تدهور ومرض لم يفق منهما أبدا بسبب الانتقال من فاشية نظام عبد الناصر إلى وطنيته. وذلك ما سيحدث أيضًا لتنظيم طليعة العمال بسبب الانتقال من رأسمالية الدولة الاحتكارية إلى بناء الاشتراكية.

ولنحاول مرة أخرى أن نعود إلى الفصيل الأول الممتد من حدتو وتقاليدها. عدنا جميعًا إلى سجن الواحات وسكنا زنازينه، وكانت حجراته واسعة على خلاف زنازين السجون التقليدية. كانت الظروف مختلفة بعد أن توقف التعذيب. وأخذ الرفاق ينظمون حياتهم من فرقة مسرح إلى إذاعات إعلامية بالصوت لتقديم تحليلات سياسية إلى نشرات وكتب إلى فرق رياضية إلى مزرعه تفئ بالخير على الجميع، إلى حمام للسباحة، ثم أصبح فى المقدور أن يجرى النقاش يسيراً.

ولما كان معظم قيادات هذا الفصيل قد تجمعوا فى سجن الواحات ولما كان النقاش ظل مستمراً بحثًا عن مخرج للمأزق الذى نعيشه .. نضال عبد الناصر يتزايد ضد الامبريالية وأعوانها فى الداخل – نضال سياسى واقتصادى واجتماعى – وتوثيق العلاقات بين عبد الناصر والاتحاد السوفيتى. فى نفس الوقت لازال الشيوعيون يسكنون السجن فى قلب الصحراء. هل يمكن حل هذا التناقض؟ وماذا يمكن أن نفعله؟ هذه أسئلة مفروضة على هذا الفصيل بحكم رؤيته السياسية. هنا قررت القيادة عقد مؤتمر وليس مجرد كونفرنس.

وتسربت إلى اذهان الكثير من أعضاء القيادة أن ما بيننا وعبد الناصر ليس أساسا خلافًا حول أفكار اشتراكية. فالرجل لا ينقطع عن التأميم وسيطرة الدولة على كافة المقدرات الاقتصادية حتى أصبح عند الاتحاد السوفيتى وكأنه «العريس» بين زعماء بلدان العالم الثالث. القضية هى «التنظيم». ولما كان من المستحيل التخلى عن تنظيمنا فليس من طريق غير الوحدة مع مجموعة جمال. ولقد سبق أن تبنى التنظيم قرار المجموعة الاشتراكية، وأرسل القرار إليه.

فماذا نفعل؟

وشعر الرفاق أن فى قدرتهم أن يفعلوا شيئًا : ألم يتمكنوا من وقف التعذيب الرهيب الذى حل بالشيوعيين فى مصر وسوريا وهم قابعون فى سجنهم؟ هناك فرص وهناك خيارات.

وانتهى نقاش أعضاء المؤتمر إلى اتخاذ ثلاثة قرارات :

الأول حول المرحلة ويقضى بأن المرحلة الراهنة هى مرحلة انتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية. وصدر قرار المرحلة دون تقديم دراسة حول الوضع الاجتماعى والاقتصادى فى مصر، كان وليد تقدير عام، الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى أخطاء، فالمرحلة يمكن أن تستمر عشر سنوات أو عشرين سنة ويمكن ألا تطول لأكثر من عدة أشهر، وذلك ما يمكن أن تحدده الدراسة العلمية التى لم تكن متوافرة لعدم توافر المعلومات عن واقع مصر خارج السجن ثم لغياب الممارسة المباشرة مع الواقع. وهذا التوسع فى التقييم هو ما حاول قرار المجموعة الاشتراكية تجنبه حين اقتصرعلى تسجيل وتعيين المواقف المحتملة.

القرار الثانى يتصل باللائحة، وكانت بشكل عام عادية الا فى نقطة واحدة أثارت الكثير من النقاش وتتصل بما ورد من شروط لعضوية الحزب الشيوعى، وكان ضمن هذه الشروط ضرورة القبول بحماية نظام عبد الناصر والالتزام بها كشرط من شروط عضوية الحزب الشيوعى.. وقد عقد اجتماع موسع لمناقشة هذه النقطة تولى محمد الجندى الدفاع عنها وكانت خطورة هذا الشرط سياسيا هى أنه يعنى ضمنا ومستتراً أنه توافرت فى هذه المجموعة ما يلزم الدفاع عنها كمبدأ شيوعى، فالالتزام فى لائحة الحزب الشيوعى فى رأيى لا يكون الا بالنسبة لحماية الحزب نفسه وحماية تنفيذ قراراته وفكره الاشتراكى، الأمر الذى يعنى مساواة «المجموعة» بما هو شيوعى حزبياً وفكراً ونشاطاً.

القرار الثالث قضى بتضييق القيادة حتى أصبح عددها – فى حدود الذاكرة – قد أصبح ستة أعضاء، والحجة كانت واضحة، وهى أن تصبح القيادة قادرة على اتخاذ القرار بسرعة إذا اقتضى الأمر. وهم : شطا – زكى مراد –أحمد الرفاعى – فؤاد حبشى – مبارك عبده فضل– وكمال عبد الحليم (فى الخارج). وفى رأيى أن عددا من أعضائها لم يكن سياسيا على مستوى الظرف الدقيق حينئذ.

وبصدور القرارات الثلاثة من المؤتمر مال التوجه السياسى عمليا نحو أحد الاتجاهين فى الحزب، وهو الاتجاه الذى يميل نحو الاسراع بالوحدة مع المجموعة الاشتراكية، وكان الظن أنه بفضل هذه القرارات ستكون الوحدة أقرب منالا مع الطرف الآخر، وسيكون الطرف الآخر

أكثر ميلاً إليها.

صحيح أن قرار المجموعة الاشتراكية لم يمسه أحد بسوء وظل الالتزام به كوثيقة أساسية من وثائق الحزب. بل لايزال هو الوثيقة الأساسية... غير أن القرارات الثلاث جاءت لتقدم تفسيراً له يميل عمليًا إلى اتجاه معين. ومن هنا تواصلت الأخطاء – في رأيي– دون أساس من دراسة جادة لواقع مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وكان ما حدث قبل الافراج عنا شاهدا على ما أقول. فقد ظهرت كراسة كتبها الرفيق على نجيب تدعو إلى الانضمام الفورى إلى مجموعة عبد الناصر الاشتراكية، فهو يبنى الاشتراكية وعلى الشيوعيين الداعين إلى ذلك هدفا أساسيا لهم أن ينضّموا اليه لحماية ما يصنعه لشعب مصر، وكان البعض متحمساً لهذا الموقف مثل ابراهيم عبد الحليم وعادل حسين، بل وكذلك يميل اثنان فى القيادة اليه. عُقد على الفور كونفرنس لمناقشة ما ورد فى الكراسة وتم ادانة أفكارها ولم يجرؤ احد على الدفاع عنها «علنا» غير صاحبها.

الخطأ فيما حدث؟

لقد خرجنا من السجون والمعتقلات، وقيل إن خروشوف سكرتير عام الحزب الشيوعي ورئيس وزراء الاتحاد السوفيتى كان يرفض الحضور إلى مصر للاشتراك فى حفل افتتاح السد العالي ما ظل شيوعى فى السجون والمعتقلات. فكان الافراج تأكيداً على الصداقة بين مصر والاتحاد السوفيتى.

وبسرعة تم تسكين المثقفين من الشيوعيين فى أعمالهم القديمة أو فى أعمال جديدة، بينما ترك الرفاق العمال بلا عمل لمدة طويلة، ثم تم تقسيم المثقفين إلى مجموعتين : الأولى أرسلت إلى محمد حسنين هيكل لتعمل فى مجلة الطليعة، معظم أعضائها هم قادة تنظيم الراية وتنظيم الطليعة من المثقفين، والمجموعة الثانية وهى من الفصيل الممتد عن حدتو تسلمه فى حدود علمي رفاق لهم قدامي منهم : أحمد حمروش وأحمد فؤاد، وانخرط بعضهم فى التنظيم الداخلى (والسرى) للاتحاد الاشتراكي.

وتم توزيع الاعضاء بين الموحد فى لجان مع أعضاء من التنظيم الداخلي والسرى للاتحاد الاشتراكى بعضها لجان للمناطق والاخرى لجان توعية. وقد أبلغت رسميا عن طريق فؤاد حبشى أنى اصبحت فى لجنة الاعلام مع فلان وفلان وفلان ممن أعرفهم بين الديمقراطيين

والتقدميين فى اجهزة الاعلام (بل ويؤمن بعضهم بالاشتراكية العلمية). ثم قيل إن المشروع ارسل إلى جمال عبد الناصر فـأخذه جمال ووضعه «على الرف». ثم تمت اتصـالات اخرى سياسية. وسمعنا أن النقاش مع قادة الراية والطليعة قد أثمر ووصلوا إلى النتيجة المرجوة. أعلن هؤلاء القادة حل التنظيم الشيوعى التابع لهم. أدركنا على الفور أن حديث اللجان وتوزيعها العمل فيها هو كلام فى الهواء. المطلوب منا أن نتخذ بدورنا قراراً.

ووجهنا بالموقف عارياً على حقيقته. أصبحت حكاية الوحدة مع «المجموعة الاشتراكية» محض كلام أجوف. تبخرت حكاية الوحدة.. ماذا جرى؟؟

حينما نجحنا فى وقف تعذيب الشيوعيين كانت هذه خطوة حقيقية. ولكنها لم تتم بفضل حسن تصرفنا أثناء التحقيق فحسب (كما تصورنا)، بل لأسباب أخرى هى الأهم والأكثر حسماً. كان وراء هذه الخطوة علاقات قوى فى الواقع الملموس تمثلت فى ضغوط من الاتحاد السوفيتى وقوى الرأى العام الديمقراطى لوقف التعذيب، وفى رغبة عبد الناصر فى تحسين سياسته مع الاتحاد السوفيتى خاصة بعد أن قبل الأخير بناء المرحلة الثانية من السد العالى. هذا الواقع شكل علاقات محددة من القوى – وهى قوى كبرى – كان لها الدور الاعظم فى وقف تعذيب الشيوعيين، وما فعلته قيادة الحزب الموحد هى أنها أدركت بشكل أو آخر وبفطنة وذكاء حقيقة هذا الواقع فتصرفت على أساسه بما يسمح لجمال عبد الناصر أن يأمر فوراً بوقف التعذيب وبالتحقيق فى حادث مقتل شهدى عطية الشافعى.

وخلاف ذلك تماما ما حدث عندما حاولت قيادة الموحد (سابقًا) الإقدام على خطوة أخرى ترتيبا على الخطوة السابقة أملا فى الافراج والتعاون بل والوحدة. كان عبد الناصر قد قطع علاقاتنا تماما بالجماهير فى مصر لمدة قاربت سنوات ست، وفى نفس هذه الأعوام قام بإجراءات واسعة لتأميم الشركات ووضع مقدرات الاقتصاد فى يد الدولة المحكمة، وزادت علاقاته مع الاتحاد السوفيتى توثقًا، وأصبح ماردًا بين قادة الاقطار العربية وبلدان العالم الثالث، ونموذجاً يحتذى فى النضال ضد الاستعمار الجديد والامبريالية ومن أجل الاشتراكية، وكاد بالفعل أن يُنفذ كل ما ورد فى برنامج التنظيمات الشيوعية فى مصر... فهل من المعقول أن تأتى بعد ذلك مجموعة من الشيوعيين عددها ٦٠ أو ٧٠ شيوعياً ظلوا فى السجون لسنوات عديدة ثم أفرج عنهم، وليس لهم من سند سوفيتى أو أممى أو عربى بعد أن كسب عبد الناصر كل هذه القوى إلى صفه .. ليقولوا له عليك أن تتوحد معنا فى تنظيم واحد حتى تستقيم لك الامور؟ .. هل هذا معقول؟ لقد نسيت قيادة الحزب (الموحد سابقًا) أنها تقدمت

بمطلبها وليس لها أى سند من علاقات القوى فى الواقع يسمح بتنفيذ مطلبها، وذلك على خلاف ما تم عندما تم وقف تعذيب الشيوعيين. وحتى لو فرضنا أن عبد الناصر قد أصبح يبنى الاشتراكية كما كان البعض يرى - كانوا أقلية- فما الذى كان يدعوه إلى أن يتنازل وهو المارد ليتوحد مع هذه المجموعة الصغيرة ويقيم تنظيما مشتركا.. خاصة أنه أصلا لا يريد أن يقيم أى تنظيم فى مصر يشارك فى اتخاذ القرار .. حتى لو كان تنظيماً لعبد الناصر نفسه.

ليس عليهم الا أن يأتو اليه أفرادا. وهو لن يصفيهم كما فعل بالإخوان المسلمين والأحزاب القديمة، لأنه يريد أن يستعين بهم وفقا لمشيئته. عليهم أن يحلوا تنظيمهم أولا وقبل كل شئ.. وبرضائهم وإرادتهم الحرة حتى يسمح هو لهم افراداً بالتعاون معه .. وقد تعاون مع الكثير منهم بعد ذلك.

عقدنا اجتماعا للكادر وشاركت فى هذا الاجتماع. دار الحديث حول مسألة أساسية : هل الشروط فى قرار المجموعة الاشتراكية قد توافرت؟ وهل المناقشات التى كانت قد بدأت لتسكين الرفاق فى وحدات مشتركة فى مختلف المناطق يتم تنفيذها؟ وبطبيعة الحال لم تكن هناك إجابات شافية. فى نفس الوقت كان المشاركون يدركون عجزهم. فاتخذوا قراراً مثيراً للضحك. فحيث أنهم لا يمكن أن يتخذوا قراراً صريحًا بالحل الا إذا تأكدوا أن الشروط الواردة فى قرار «المجموعة الاشتراكية» قد توافرت، والا إذا تبين أن اجراءات التوحيد تنفذ، فقد قرروا أن يتركوا الأمر لكمال عبد الحليم ليتخذ هو القرار نيابة عنهم إذا بان له تحقق ما سبق ذكره. وكان هذا القرار تعبيراً عن العجز واستسلاماً ضمنيًا لما يريده عبد الناصر منهم. كان كمال يدرك الواقع. بعد انتهاء الاجتماع طلب كمال من الرفاق الانتظار، ثم أعلن قراره بتجميد نشاط التنظيم وفى اليوم التالى ذهب كمال عبد الحليم للتوقيع فى كشف زيارات رئاسة الجمهورية ليعلن حل التنظيم (الحزب الموحد سابقًا).

ولم يكن ما فعله كمال الا تعبيراً عما كان عليه الرفاق من شلل تام وعجز عن اتخاذ أى قرار .. فتعبيراً عن استسلام الرفاق .. تم حل الحزب.

بعد قرابة ثلاثة أعوام وبعد أن استعان عبد الناصر بكثير من الرفاق لتولى مسئوليات أساسية وخاصة فى مجال الإعلام والثقافة، وفقًا لمشيئته السياسية وفى حدود ما يقضى هو به، جاء يوم الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ وظهر نظام عبد الناصر على حقيقته ضعيفًا مضطرباً، وتكشفت واجبات عديدة ومهام كثيرة كان ينبغى أن تُتخذ، وبان لكثير من الرفاق، بعد أن أغمضوا أعينهم طوال السنوات الثلاث، أن شروطًا جديدة وردت فى قرار المجموعة

الاشتراكية لم تتوافر بعد. وكان الأصدقاء غير الشيوعيين من الديمقراطيين يطلبون منا أن نفكر من جديد وأن نعمل من جديد بعد أن حلت الكارثة.

وبالتدريج جرت اتصالات وطرحت تساؤلات (أيام عبد الناصر)، وكان في خلفية ما دار حقيقة تأكدت عمليا وهى أن كثيراً من الشروط التى حددها قرار المجموعة الاشتراكية تقتضى من أصحاب القرار مواصلة الكفاح لتوفيرها. وأخذ موقف جديد يتبلور تدريجياً لإعادة بناء التنظيم (أيام عبد الناصر). ولازلت أذكر يوماً ونحن فى مياه مرسى مطروح ومعى رفعت السعيد حين اتفقنا على ضرورة اتخاذ هذه الخطوة، وآخرون فعلوا ذلك.

وتلك قصة ينبغى أن تروى ثم يُروى كل ما حدث حتى هذه اللحظة. غير أنى أود أن أشير إلى حقيقة ينبغى تسجيلها للتاريخ. فمعظم أعضاء قيادة حزبى السابق (الحزب الشيوعى الموحد) الذين شاركوا رفاقا آخرين فى قيادة حزب ٨ يناير، ومعظم الرفاق المحترفين الذين سعى البعض إلى تدميرهم يومًا فى عام ١٩٥٨ قد عادوا لبناء التنظيم الشيوعى من جديد، لكن ما من عضو واحد من الفصيل الآخر ممن كان فى اللجنة المركزية لحزب ٨ يناير قد عاد من جديد إلى التنظيم الشيوعى. جميعهم تخلوا عنه. وأملى من أصحاب الشهادات ممن كانوا تحت قيادتهم أن يقدموا تفسيرا لما حدث.

ولم يكن ذلك عن ضعف منهم، ولكن - فى رأيى - لسبب سياسى : هو التحول «من رأسمالية الدولة الاحتكارية إلى بناء الاشتراكية». وهو أمر لا يمكن احتماله. وقد تم الاتصال بهم حتى لا يكون ما نفعل بعيداً عنهم. فهم معنا مسئولون عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية. وكان أكثرهم شرفا وأمانة الرفيق فؤاد مرسى حين اعتذر مباركًا ما نفعله مؤكداً عزمه على تقديم كل عون فى مقدوره لنجاح مهمتنا. وبمناسبة مرور أربعين يومًا على وفاة الرفيق زكى مراد ألقى الرفيق فؤاد مرسى كلمة مُجد فيها ما فعله زكى قبل وفاته (أو اغتياله) من بناء للحزب من جديد.

كان الرجل مخلصًا لفكره الشيوعى رغم تجنبه الانخراط فى التنظيم. ثم يبقى بعد ذلك أن نطرح الأسئلة القديمة :

- هل الانقسام الحقيقى فى الحركة الشيوعية المصرية هو انقسام بين فصيلين أساسيين استمر دائما ولم ينقطع؟ ثم ألم تعد الشظايا التى تناثرت مرتين إلى تنظيمها القديم من جديد؟

- هل حقيقة أن دور الرفاق ممن لهم أصول يهودية كان هو الذى قرر مسيرة الحركة الشيوعية المصرية؟ أم أن نفوذهم الكبير كان من الناحية التاريخية ظاهرة طبيعية استمرت

قرابة سنوات أربع ثم اخذ الرفاق الآخرون من المصريين يتحملون مسئولية العمل طوال ما مضى من أعوام؟

– هل تخلصنا من تصورات مثالية حول الأممية ليستقر مفهوم سليم ويتحدّد حول التضامن الاممى؟

ثم أسمح لنفسى أن أطرح سؤالا آخر بسبب ما يردده رفيق سابق فى تنظيم مشمش (م.ش.م) ثم منظمة الراية، وهو الصديق محمد سيد أحمد، من أن الشيوعيين خضعوا لعبد الناصر بعد أن كانوا خاضعين لليهود.. ثم أسأل : من خضع لمن؟ وحتى أكون اكثر تحديداً : من تأثر بمن؟ نعم، لقد تأثرنا بما فعله عبد الناصر باسم الاشتراكية من أعمال مجيدة رغم أخطاء عديدة شابتها، ولكن ألم يتأثر هو أيضًا بما فعله الشيوعيون، وعظيم أعمالهم، فى خضم الحركة الوطنية؟ ومن أين أتى بأفكاره عن الاشتراكية وهو المصرى الذى تعامل مع الشيوعيين خلال سنوات عديدة قبل أن يتولى السلطة وبعدها؟ نعم، لقد تأثرنا به وبأعماله، ولكن ألم يتأثر هو الآخر بأفكارنا وعظيم أعمالنا؟ ثم ألم نقرر العودة إلى التنظيم رغما عنه بعد أن بان الخطأ؟

فى رأيى أن الاجابة على هذه الأسئلة واضحة ويؤكدها ما جرى من تطورات ليبقى سؤال هام : لماذا لم نتعلم حتى اليوم كيف نعيد النظر فيما لدينا من تصورات سياسية ونظرية على ضوء ما نحرز من نجاحات ونرتكب من أخطاء؟ كانت الأحداث تدفعنا إلى الوحدة ثم الوحدة دون أن تكون لنا وقفة جادة لتبين الخطأ من الصواب.

ولا أقصد بذلك إدانة أحد أو اتهام الطرف الآخر، انما معرفة السبيل لتجاوز الأخطاء التى نقع نحن فيها، وذلك أمر ضرورى خاصة بالنسبة لفصيل حاول أن يكتشف الجديد فى الفكر لمواجهة الواقع المتغير.

وتلك قضية القضايا ونحن فى العام الأول من الالفية الجديدة وقد أصبحنا فى عالم مختلف تمامًا من عالم كنا نعيشه، ولم يعد معنا الاتحاد السوفيتى وبلدان أوربا الاشتراكية. وبانت الحاجة إلى تطوير. المفاهيم الاساسية لتجاوز الرأسمالية.

شهادة

جمال البراد

البيانات الشخصية

الاســــــــم : جمال مصطفى البراد

محل وتاريخ الميلاد : ١٩٢٧/٤/١٥ القاهرة – روض الفرج

المـــؤهـــلات : بكالوريوس هندسة – قسم كهرباء قوى

المـــهـــنـــة : مساعد مهندس بالشركة العامة للأعمال الهندسية وأنا طالب، ثم مهندس بالسد العالي.

فترة السجن والاعتقال : أحد عشر عاماً تقريباً .

بيانات عائلية :

نشأت فى أسرة من أب وأم منفصلين. شارك أبى فى ثورة ١٩١٩ وكان زعيماً لمدرسة التوفيقية الثانوية. ونتيجة اعتدائه على ناظر المدرسة الإنجليزى فى الإضرابات ، فصل من المدارس الحكومية، واضطر أن يستكمل تعليمه الثانوى تحت إلحاح أمى وتشجيعها ثم التحق بكلية الحقوق وأكمل تعليمه الجامعى وعمل محامياً ثم قاضياً ومستشاراً. كانت أمى محجبة تعرف القراءة والكتابة بصعوبة إلا أنها تحت قسوة الحياة وتقصير أبى خرجت إلى العمل من أجل توفير المال اللازم لرعايتنا حيث كنا ستة أخوة فأدارت مصنعاً للطوب الأحمر ورثه والدى عن والده، متحدية فى ذلك أهلها الذين كانوا يعيبون عليها ذلك .

وأحسنت أمى تدبير شئوننا فبمبالغ ضئيلة استطاعت أن تجتاز الطريق لاستكمال التعليم الجامعى لنا جميعاً، وكان نضال أبى الوطنى ونضال أمى الاجتماعى حافزاً كبيراً فى أن أسير فى طريق الصراع الوطنى وأن أحترم المرأة وأومن بضرورة رفع الجور عنها ومساواتها بالرجل. كما كانت قسوة الحياة التى عشتها عاملاً فى تقبلى للأفكار الاشتراكية فيما بعد .

وأذكر لأمى أنها كانت تساندنى عندما أبى والدى أن يصرف علىّ بسبب انغماسى فى العمل السياسى، وأصرت على استكمال تعليمى.

وعندما أصيبت والدتى بالشلل، وكان يعالجها الدكتور منصور فايز وهو طبيب عبد الناصر الخاص ورأى حالتها السيئة استسمح جمال عبد الناصر فى السماح لى بزيارتها. فلما حضرت وجدت المنزل كقلعة حربية محاطة بالجنود من كل جانب ومن فوق سطح المنزل، وكان منظر والدتى من الصعوبة حتى أنى طلبت الإسراع بالعودة إلى المعتقل.

وأذكر لوالدى أنه فى خلال الحرب العالمية الثانية كان يوضح لى خطأ السياسة التى تقوم على "عدو عدوك صديقك "فكان يؤيد الحلفاء. وأذكر له إعجابه بمعركة ستالينجراد ودور الجيش الأحمر. وفيما بعد كان يعترض على ضمانات الديمقراطية فى الاتحاد السوفياتى، ولما أوضحت له أننا نسعى إلى ديمقراطية اجتماعية وأن العمال والفلاحين هم الغالبية فإن ديكتاتوريتهم هى قمة الديمقراطية، أعجب بهذا التفسير.

كان والدى قاضياً بمحكمة إمبابة وحكم لصالح عمال مصنع الشوربجى فكانوا يقدرونه لذلك. وقد توفى أثناء اعتقالى سنة ١٩٦١ وتوفيت والدتى بعد خروجى من المعتقل سنة ١٩٦٥ وكنت وفيا لها فقدمت لها كل ما أستطيع من مساعدة .

اشتركت فى المظاهرات والإضرابات ضد الإنجليز وأعوانهم فى الداخل كما اشتركت فى مظاهرات ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ والتى أطلق فيها الجنود الإنجليز الرصاص على المتظاهرين من ثكناتهم بقصر النيل. ولم أكن فى ذلك الوقت شيوعيا، وإن كنت عضواً فى اللجنة الوطنية بمدرسة رقى المعارف الثانوية .

وفى تلك الفترة قبض على فى المظاهرات وأودعت قسم روض الفرج مع المجرمين العاديين وعانيت من قذارة القسم وأحوال المساجين اللاإنسانية، من أسراب البق والقمل والحشرات وقذارة دورة المياة التى كانت تطفح حاملة البراز إلى حيث نرقد أو ننام. وكم كانت أوضاع المساجين وسلوكياتهم تحز فى نفسى. فالمساجين يسرقون بعضهم ويسرقون المترددين على الحجز، وأحيانا لصالح السجان الذى يشاركهم، ويهربون السجائر والمخدرات وشفرات الحلاقة داخل أجسادهم ليتاجروا فيها وكل هذه كانت ممنوعات .

ويكفى أن تعلم أن السجان هو أول من يخرق النظام، وكان السجن يبيح الضرب والجلد، بل وكان الشذوذ الجنسى يمارس أحياناً فى السجن .

وتتكرر هذه الظاهرة فى جميع الأقسام وإن كان المسجونون السياسيون والشيوعيون

يحظون باحترام وتقدير المساجين السوابق، فالكل معاد للدولة والكل مضطهد .

وفى الماضى كان المسجون المجرم تتم إحالته إلى قاضى التحقيق للفصل فيما إذا كانت التهمة جنحة أم جناية، وبالطبع الجناية أشد ولكنه لا يبالى فالجناية ذات ضمانات أوسع فى الدفاع.

والمسجون السياسى يعانى فى سبيل التأقلم مع الحياة الجديدة مسلحاً بالعزيمة والإرادة. فعند دخوله الحجز لأول مرة يبدو قلقاً مضطرباً، فيمتنع عن الجلوس على الأرض القذرة بملابسه أو أن ينام مباشرة على الأسفلت ويبذل جهداً للاتصال بأهله لعلهم يمدونه بالمال اللازم لشراء السجاير أو الطعام، لأنه غالباً ما يخدعه ادعاء البوليس السياسى بأنه سيعود إلى منزله بعد خمس دقائق. ثم يتجمع حوله المساجين من السوابق للسؤال عن تهمته ويبدون التعاطف معه. ويبدأ الشعور بالإرهاق والتعب ويعجز عن الاستمرار فى الوقوف ويسند ظهره على الحائط الذى تسير عليه قوافل الحشرات ويشعر بالحاجة إلى النوم فيخلع حذاءه ويضعه تحت رأسه ويتمدد لينام وأحياناً يشعر بالحاجة إلى دخول دورة المياة ليشرب أو ليتبول.. وهو عموماً يعانى صعوبة شديدة فى التأقلم مع هذه الأوضاع.

قضية حريق نادى سعد زغلول :

وهو نادى الحزب السعدى الذى يتزعمه النقراشى باشا وكان يقع بشارع سليمان باشا «حالياً شارع طلعت حرب». قامت حكومة إسماعيل صدقى باشا بغلق الجامعة إثر انتشار المظاهرات المعادية للحكومة والمعادية للمفاوضات والدفاع المشترك والتى كانت تردد الهتافات بسقوط معاهدة صدقى- بيفن. وتولت وزارة النقراشى باشا الحكم لتحل محل وزارة صدقى، وفى هذه الفترة وأثناء ترددى على جمعية الشبان المسلمين كناد رياضى قام قسم الطلبة بالجمعية بتنظيم مظاهرة خرجت سراً من جمعية الشبان وتجمعت بشارع طلعت حرب وهى تهتف بسقوط النقراشى، وتصدى لها عدد من الشباب السعدى المتجمعين فى ناديهم وحضر البوليس وحاصرنا فى شارع طلعت حرب وقبض على الشباب السعدى كما قبض على أخى الأصغر وشخص أخر من حزب مصر الفتاة (محمد على شلبى) ثم سلمونا إلى البوليس وادعوا أنى ومحمد على شلبى كانت تفوح من أيدينا رائحة البنزين، وليس لهذا الادعاء ظل من

الحقيقة، وعثروا فى جيبي على قصاصة من جريدة البلاغ بها استقالة والدى من الهيئة السعدية. وظهر فيما بعد أن هناك صلة قرابة تربطنى بضابط البوليس الحمزاوى الذى قبض على استغلها والدى فى إثبات خصومة عائلية بيننا بسبب نزاع على وقف، وقضت المحكمة بسجنى ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ قضيت منها أربعة أشهر ما بين نقطة كوتسكا وسجن الاستئناف وسجن مصر .

وفى سجن مصرأقمت بدور ٥ وهو دور أرضى، وكان دور ٦ الذى يعلونا مخصصاً لقضية مقتل أمين عثمان باشا الذى اغتيل بواسطة عصابة حسين توفيق وأنور السادات وأحمد وسيم خالد ابن محمد خالد السعدى صاحب جريدة الدستور، واستطعت الاتصال بوسيم خالد من خلال دورة المياة ، وكان شعورى أنهم وطنيون فدائيون فتعاطفت معهم وأبديت استعدادى لمساعدتهم بعد الإفراج عنى، ثم انتقلت إلى دور ٢ إثر اعتراضى على ضرب أحد المساجين ضرباً مبرحاً من ضابط فى السجن .

وفى دور ٢ قابلت محمود فهمى السيد وهو المتهم بمحاولة اغتيال الشاهد فى قضية أمين عثمان، ودور ٢ يطل على الجبل المحاذى للسجن ومنه يتحدث المساجين لأهاليهم ومعارفهم، ولاحظت أن محمود فهمى السيد قد تأثر بالمفاهيم الشيوعية ربما نتيجة احتكاكه بالمساجين الشيوعيين الذين قابلهم فى السجن، وكان يقرأ كتب الدكتور راشد البراوى .

وعند الإفراج عنى طلب منى محمود فهمى السيد الاتصال بأسعد السيد أحمد، والأخير كان يمتلك محل بقالة فى بركة الفيل كما كان عضوا بحزب مصر الفتاة لحساب الجهاز السرى للإخوان المسلمين، وداومت على الاتصال بمحمود فهمى السيد من ناحية الجبل واتفقت معه على إمداده بالسلاح للهروب ولم يبد اعتراضاً، فاشتريت قطعة سلاح مسدس بريتا وصنعت حقيبة من الخشب لها سقفان وضعت المسدس فى أحدهما وذهبت إلى السجن. وعن طريق الحاج حمزة المتعهد وضعت الحقيبة على طاولة الطعام الداخلة إلى السجن وانتظرت فى الخارج إلى أن دخلت الحقيبة السجن، وللأسف فقد طلب منى محمود فهمى السيد الإسراع باستعادتها واضطررت للذهاب إلى متعهد الطعام واستلمت الحقيبة من الطاولة دون أن يعلم أحد، وقطعت اتصالى بهذه المجموعة .

وفى هذه الفترة دخلت التأديب (الحبس الانفرادى) وقابلت المحامى مصطفى أغا وكان

يلقى شعراً حماسياً ثورياً، وفى قسم الخليفة قابلت مصطفى هيكل وكان يتحدث عن الاقتصاد.

محاولة خلق جيش وطنى لمحاربة الإنجليز والخونة :

كنت أومن بالكفاح المسلح كحل لقضايانا، ودخلت شعبة الإخوان المسلمين بأبى الفرج لهذا الغرض، وهناك تعرفت على عدد من الإخوان المسلمين منهم الشيخ عبد الفتاح وكان يعمل بعنابر السكك الحديدية بأبى زعبل وتمكنت بمساعدتهم من شراء بعض السلاح والتدريب عليه فى جبل المقطم، إلا أن الإخوان المسلمين شكوا أمرى لأنى كنت أثير النقاش فى المسائل السياسية ولا أُبدى نفس الاهتمام فى بالمسائل الدينية، وكذلك لرفضى تقديم السلاح لحرب فلسطين واتهمونى بالشيوعية. ولم أكن فى ذلك الوقت شيوعياً، فقاموا بسرقة السلاح وسوفوا فى الذهاب للتدريب، فذهبت بمفردى دون علمهم فاكتشفت سرقة السلاح فهاجمتهم واتهمتهم بسرقته ووعدونى برده، وأحضروا مسدساً منزوع الإبرة وبالتالى غير صالح للاستخدام وما لبث البوليس أن هاجم منزلى فعثر عليه، وأمام النيابة بررت حيازتى له بهدف المشاركة فى حرب فلسطين وكان ذلك مسموحا به فى ذلك الوقت . فحكم على بغرامة مقدارها ٥ جنيهات، وتعتبر تلك إدانة وليست براءة .

مقابلة النقراشى باشا وسليم زكى باشا فى وزارة الداخلية :

بدأت أوضع تحت رقابة مشددة من البوليس السياسى، وكان يقبض على ويفرج عنى بانتظام يكاد يكون أسبوعياً، كما كنت أهرب من البوليس بالقفز من الشباك بدلاً من الخروج من الباب حيث كنا نسكن بالدور الأرضى.

كنت طالباً بكلية الهندسة جامعة فؤاد الأول، وكنا ندرس بعض علوم إعدادى هندسة فى العباسية مكان جامعة عين شمس حالياً، ما عدا الورشة فكنا ندرسها فى الجيزة. وفى الورشة عادةً ما نرتدى الأفرول، وفى يوم وضعت الأفرول داخل الحقيبة - فصارت منتفخة - على أمل أن أذهب من العباسية إلى الجيزة مباشرةً وذلك ما خدع رجال البوليس السياسى وظنوا أنى أُهرب أسلحة فسرعان ما اتصلوا بوزارة الداخلية التى أعدت حملة من الموتوسيكلات

والسيارات وحاصرت ترام ١٥ الذى كنت أركبه، وكنت عادة ما أجلس فى مؤخرة الترام حتى أكتشف كل ما يدور حولى، واختطفونى من داخل الترام ووضعونى فى سيارة فاخرة اتجهت إلى وزارة الداخلية، وهناك قابلت على الدرج اللواء سليم زكى باشا حكمدار بوليس القاهرة الذى أخذ يحذرنى بأنهم على علم بكل ما يحدث فلا فائدة. ثم صعدوا بى إلى الطابق الثانى وأخذوا منى الحقيبة ثم انتظروا بضع دقائق اتصلوا فيها بالنقراشى باشا ليسمح لنا بالدخول، وفى تلك الأثناء قاموا بتفتيشي تفتيشاً دقيقاً، ودخلت عليه فى غرفته فوجدته جالساً على مكتبه ثم أبلغوه بأن ليس فى الحقيبة شئ، وأخذ يناقشنى فى واقعة المسدس ومن أين حصلت على المال اللازم فقلت من مصروفى وأخذ يرد : مش معقول. وكرر الأسئلة عدة مرات وأنا مصر على إجابتى. وأخيراً قال لقد أضعت من وقتى ربع ساعة، وفى العودة وفروا لى سيارةً كما وعدوني من قبل لتوصيلى إلى جامعة القاهرة فى الوقت المناسب .

القبض علىّ فى قضية الجيب للإخوان المسلمين سنة ١٩٤٨ :

بعد فشل حرب فلسطين حدث أن قام الإخوان المسلمون عن طريق جهازهم السرى للتغطية على هذا الفشل بسلسلة من التفجيرات (شيكوريل- جاتينيو- حارة اليهود- شركة الإعلانات الشرقية ...إلخ) بواسطة سيارات مفخخة لاستعراض القوة وإرهاب الدولة، وفى كل مرة كان البوليس السياسى يقوم بتفتيش منزلى ثم الإفراج عنى.

وبدأت الحكومة تضع عملاءها فى الميادين العامة وتراقب السيارات، وخاصة الجيب حيث كانت شركة المعاملات الإسلامية التابعة للإخوان المسلمين بشارع محمد على تمتلك عدداً منها حصلت عليها من مخلفات الحرب للجيش الإنجليزى.

شك عملاء البوليس فى سيارة بميدان عبده باشا بالعباسية واتجهوا ناحيتها فهرب بعضهم وقبض على البعض الآخر. وعند تفتيش السيارة عثر بها على أسلحة وقنابل وتقرير مقدم من أسعد السيد أحمد صاحب محل البقالة ورد فيه اسمى، فقبض علي ووضعت فى سجن الأجانب بميدان السكة الحديد سابقاً رمسيس حالياً، وهو سجن يفضل جميع السجون المصرية الأخرى ومخصص للأجانب وبه مزايا معيشية كثيرة فى الطعام والشراب والمعاملة والإقامة، إلا أنه تحت الإشراف الدائم ليلا ونهارا لرجال البوليس السياسى مباشرة، كما يمكن أن يسحب المتهمون منه فى أى وقت للتحقيق .

مكثت بهذا السجن محبوساً حبساً انفرادياً طيلة وقت إقامتى به، وفى أثناء هذه الفترة قتل النقراشى باشا فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ بواسطة عبد المجيد أحمد حسن الطالب بكلية الطب البيطرى، وكان يقيم فى الدور الأول ولكن نظراً للسرية الشديدة التى تحيط بهذا السجن لم أعلم بذلك وإن كنت قد أحسست بكثرة فتح الأبواب وغلقها. وفى تلك الفترة قتل حسن البنا أيضاً.

ولما طالت المدة دون إجراء أى تحقيق معى طلبت من مأمور السجن ورقة وقلمًا وكتبت رسالة للنائب العام أقول فيها "أرجو مقابلة النائب العام لأمر هام يتصل بالسجن والتحقيق"، وحاول المأمور أن يستفسر ماذا أقصد بالسجن، فلم أجبه ولكنه اضطر لخطورة القضية أن يلبى رغبتى.

وفى يوم مفاجئ أخذونى إلى النيابة، وبدأ التحقيق معى فأخذت أتكلم عن المعاملة السيئة وهى لم تكن فى الحقيقة كذلك، وفسرت ذلك بأن المطلوب هو الإدلاء باعترافات كاذبة ومفروضة على، ثم طلبت معرفة التهمة الموجهة إلى، ولكن المحقق رفض الإجابة وأمر بإعادتى إلى السجن.

وبعد عدة أيام ونظراً لكثرة المقبوض عليهم لم يتسع سجن الأجانب الصغير لهذا العدد الكبير، فقام رتل من السيارات ليلاً بحمل بعض المسجونين وأنا منهم إلى سجن مصر بالخليفة وأودعونا فى دور ٦ وكانت الغرف مظلمة وليس بها إلا جرادل الماء والبول والبرش والبطانية .

شعرت أنى غريب عن هذه المجموعة التى حضرت معى ولم يسبق أن التقيت بأى منهم، ما عدا أسعد السيد أحمد والشيخ عبدالرحمن الصوالحى وكان يمتلك مطعماً بشارع قدرى بالسيدة زينب، أما أبو النجا الطالب بكلية الهندسة فلم أقابله من قبل، وأما مجموعة الجهاز السرى للإخوان المسلمين ومن بينها مصطفى مشهور والشيخ فرغلى والمهندس قدرى الحارثى وأحمد عادل وغيرهم فلم يكن لى صلة بهم. ولاحظت أنهم لا يتكلمون، أنادى عليهم فلا يستجيبون، أنظر من نظارة الباب ومن الشراعة لعلى أستطيع أن أتعرف على أحد منهم فلم أتمكن. أخيراً جلست على جردل الماء وفى الظلام أخذت أطرق على الحائط المجاور دون جدوى وأمسكت "كوز" مياه الشرب ولامسته الحائط المجاور ومددت فمى داخله وأخذت أنادى على جارى فأحدث صوتى أزيزاً سمع داخل السجن كله وتنبهت إدارة السجن إلى الصوت وفكرت

أنى أستخدم جهازاً لاسلكياً للاتصال بالخارج. وفجأة فتح الباب على ودخل الضابط يحمل كشافاً صوبه ناحيتى وقام بتفتيش الغرفة كما فتشونى تفتيشاً دقيقاً ولم يعثروا على شئ وتناولوا "الكوز" من يدى لاستطلاع الأمر، ثم أغلقوا الباب .

وفيما بعد طلبونى للتحقيق فى النيابة ليسألونى عن بعض المتهمين فأنكرت تماماً معرفتى بأى منهم، كما علمت بأن أبو النجا كان قد رجع من حرب فلسطين ومعه لغم أخفاه فى قفة تحت السرير فى شقته بعزبة النخل .

وحدث فى هذه الأيام أن عقد الإخوان المسلمون مؤتمراً طلابياً بكلية الطب قصر العينى، وتصدت لهذا المؤتمر قوة بوليسية بقيادة اللواء سليم زكى باشا حكمدار بوليس القاهرة، وأُلقِيَتْ فى هذا المؤتمر قنبلة أصابت اللواء سليم زكى فأردته قتيلاً فهجم البوليس على الطلبة واعتقل عدداً كبيراً منهم بالإضافة إلى عدد من الأساتذة وأصيب البعض إصابات بالغة وتم شحنهم فى سيارات إلى سجن مصر دور ٢ . وكانت حالة الطلبة والأساتذة سيئة للغاية واستطعت الاتصال بهم – حيث كنت مسجوناً بهذا الدور – والرفع من معنوياتهم ومساعدتهم وطمأنتهم على أحوالهم . ولقد مكثوا بضعة أيام ثم أُفرج عنهم جميعاً، وبعد عدة أيام قبض على شخص من عائلة الجمل بالشرقية بتهمة البلاغ الكاذب حيث أنه قد أدلى بمعلومات كاذبة عن أشخاص أبرياء من بلدياته طمعاً فى المكافأة التي أعلنتها الحكومة لمن يرشد عن الجاني، وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات، وبعد رجوعه من المحكمة وارتدائه ملابس السجن ألقى بنفسه من الطابق الرابع وتوفى .

صدور قرار الإفراج عنى من سجن مصر واعتقالى فى نفس الوقت بالهاكستب :

تم تسكينى فى عنبر الإدارة ويتكون من عدة أقسام، وكان هناك قسم خاص بالإخوان المسلمين ويسكن معهم الدكتور إبراهيم الشربينى وأنا، وقسم آخر يسكنه اليهود الصهاينة، وآخر يسكنه الشيوعيون الأجانب، ورابع يسكنه الشيوعيون المصريون والوفديون والكتلة وفى القسم الأخير أحمد طرباى وجلال معوض ومنيب الجملى وحسن صدقى ولبيب رمزى وبولس حنا لطف الله وعبد الواحد بصيلة وسعد رحمى ومنير الطويل وحليم طوسون وغيرهم، ومن الشيوعيين الأجانب هنرى كوريل وهليل شوارتز وجيد حموى وصادق سعد وريمون دويك ويوسف درويش وغيرهم. والهاكستب يعتبر محطة للترحيل إلى جبل الطور.

وفى هذا المعتقل رفضت منذ البداية الانصياع لنظام الإخوان المسلمين حيث كنت متطلعاً لإجراء المناقشات الواسعة، ولما يئس الإخوان من خضوعى لنظامهم كانوا يلقون بسريرى فى الطريق خارج العنابر ويصطدمون بى وقد يصل الأمر إلى الضرب، وبلغ بهم السخف أن أقاموا ساتراً من القماش يفصل بينهم وبين باقى المعتقلين، كما استغلت العناصر الاستفزازية والبوليسية هذا الجو في خلق الاحتكاكات. وواصلت الاتصال والنقاش مع الشيوعيين رغم ذلك.

وكان هناك سؤالان من جانب الشيوعيين يدور حولهما النقاش ولعبا دوراً هاماً فى تغيير أفكارى ومواقفى، وكانت ردود الشيوعيين عليهما كالآتى :-

١- الإرهاب عمل فردى والأعداء طبقة تتوالد باستمرار ويقف العمل الفردى إزاءها عاجزاً عن المواجهة .

٢- كينونة النظام الجديد الذى يحقق العدالة للجميع، وهنا برزت الاشتراكية على السطح.

كنت كلما مر الوقت ازددت اقتناعاً بمنهجهم وأهدافهم إلى اليوم. وفى أحد الأيام اصطدم الإخوان مع الإدارة التى استنجدت طالبة قوة بوليسية إضافية لحفظ النظام .

وحضرت القوة بالعصى الخيزران وبدأت تنهال على الإخوان ضرباً وتكسيراً، ولما انتهت من ضربهم اتجهت نحونا فأخبرناها أننا قسم المرضى حتى لا يضربوننا، ولكن هذه الحيلة لم تفلح فانهالوا علينا ضرباً .

وبعد عدة أيام تم ترحيلنا إلى السويس، ومنها بالبحر عن طريق العبارة عايدة إلى جبل الطور، وكانت هذه العبارة تنقل فى الماضى الماشية وهى غير مؤمنة وأصاب معظمنا دوار البحر.

ومعتقل جبل الطور هو مكان الحجر الصحى للحجاج وكان يسمى الكرنتينا وهو مقسم إلى عدة حذاءات يفصل بينها حواجز من الأسلاك الشائكة .

وأقمت فى حذا رقم ٤ وكانت به غرفة مخصصة للشيوعيين وباقى الغرف مخصصة للإخوان المسلمين، والغرفة التى حللت بها كان يسكنها محمود عبد الخالق وعبد الرحمن عياد والشاعر السودانى شاكر مرسال وغيرهم، وهناك حذا رقم ١ مخصص بالكامل للشيوعيين من كافة التنظيمات وكان به عبد المعبود الجبيلى وعبد الرحمن الناصر والعيوطى وسمير ملطى ومنير ملطى وكمال شعبان وسيد سليمان رفاعى ومحمود العسكرى وطه سعد عثمان وطه

فوده وعبده دهب وآخرون، وكان من بين الإخوان عبد العزيز كامل والشيخ عبد المعز عبد الستار ونفيس حمدى المتهم بإلقاء القنابل على أقسام البوليس وبعض أفراد أسرة محمد مالك المتهم فى قضية اغتيال النقراشى.

ثم أضرب الشيوعيون عن الطعام مطالبين بالإفراج عنهم حين جاءت وزارة حسين سري باشا فى أعقاب وزارة إبراهيم عبد الهادى باشا لتجرى انتخابات جديدة تمهيداً لعودة الوفد إلى الحكم، واشتركت مع الشيوعيين فى هذا الإضراب ورحلت معهم إلى عيون موسى وكان فى المجموعة التى رحلت معها سعد رحمى ومحمد عباس فهمى وجمال شلبى وكمال شعبان وحليم طوسون وآخرون .

الإفراج عن المعتقلين الشيوعيين والإخوان

فى عهد وزارة حسين سرى باشا سنة ١٩٤٩ :

تم الإفراج عنى وعودتى إلى الجامعة وإجراء امتحان خاص لجميع الطلبة المعتقلين، واجتزت الامتحان بتقدير جيد وأعدت اتصالى بعبد المنعم شتلة وكان عضواً قيادياً من مؤسسى «النجم الأحمر» وبدأت أعتبر نفسى شيوعياً، فأمدنى بالمجلة وقرأت بعض الكتب الماركسية. وعلى ضوء المفاهيم العامة للماركسية بدأت أنخرط فى العمل الشيوعى، فكنت أشارك فى المؤتمرات والمظاهرات وحضرت مؤتمراً انتخابياً لمصطفى موسى بباب الشعرية وكان المرشح الوفدى ضد سيد جلال المرشح السعدى، ونجح مصطفى موسى وسقط سيد جلال الذى كان يتمتع بشعبية كبيرة نتيجة لأعماله الخيرية والتصاقه بالفئات الشعبية الفقيرة، إلا أن مصطفى موسى لم يحقق أمل الطليعة الوفدية لمهادنته فؤاد سراج الدين باشا ولمواقفه المتذبذبة . كما كنت أدعو إلى الجبهة الوطنية وتكوين النقابات والاتحادات والكفاح ضد الاعتداء على الحريات (قانون المشبوهين السياسيين، قانون تقييد حرية الصحافة للنائب الوفدى إسطفان باسيلى) وفى هذه الفترة اشتد الصراع بين الطليعة الوفدية بقيادة النائب الوفدى عزيز فهمى والدكتور محمد مندور والأستاذ إبراهيم طلعت وبين جناح فؤاد سراج الدين الذى كان يفسد الوفديين بأمواله، ومما لا شك فيه أن الحركة الديمقراطية قد حققت انتصارات هامة ضد سراج الدين المتعاون مع السراى . كما قمت بتوزيع وبيع عدد كبير من قصيدة عبد الرحمن الشرقاوى (من أب مصرى إلى الرئيس ترومان) . وقمت بتوزيع مجلة

الناس، وكان هذا هو العدد الوحيد الذى وصلنى.

فصلى من تنظيم النجم الأحمر بسبب الدعوة لوحدة الشيوعيين :

قبض على عبد المنعم شتلة وعدلى جرجس وقطع الاتصال بى، وعلمت أن شهدى عطية يؤدى امتحاناً بكلية الآداب قسم الصحافة جامعة القاهرة فذهبت إلى هناك لرؤية ذلك المناضل الذى كنت أسمع عنه وعن إخلاصه وصلابته، وكان محكوماً عليه بسبع سنوات أشغال شاقة بينما كان زملاء له قياديون قد تراجعوا بعد تهديد فؤاد سراج الدين وإغرائه.

كان شهدى يلبس رداء السجن الأزرق وسلاسل الحديد تتدلى من وسطه إلى قدميه، كما كان ضجيج الحديد المزعج يثير النفس ويزيد من مشاعر العطف والحماس (ألغت الثورة بعد مجيئها لبس الحديد) وتمكنت من الاطلاع على التقرير الذى كتبه حول وحدة الشيوعيين وأعجبت به بل وطبعت عدة نسخ منه بالكربون ووزعته على بعض أعضاء تنظيم النجم الأحمر، ولما أفرج عن عدلى جرجس أخذ يحاسبنى ويوجه اللوم لى، ولم أقبل النقد وأصررت على موقفى وتم فصلى، ولم يكن ذلك ليفت فى عضدى أو يؤثر على معنوياتى فكنت واثقاً من مواصلة الكفاح تحت كل الظروف سواء داخل التنظيم أو خارجه .

واشتعلت الحركة الوطنية ضد مفاوضات الوفد مع الإنجليز (مفاوضات صلاح الدين وزير الخارجية) فقامت مظاهرة من الجامعة إلى ميدان قصر النيل يتزعمها عادل فهمى اشتركت فى الإعداد لها. خرج صلاح الدين ليواجه الطلبة من شرفة وزارة الخارجية فقابله الطلبة بالهتاف «خائن خائن يا صلاح». وكان الدفاع المشترك مع تركيا هو محور الرفض للمفاوضات.

وفى هذه الأيام أصدرت جريدة حائط بكلية الهندسة باسم " الوعى" وكانت تعرض أيضا فى كلية العلوم، وكانت تصدر بانتظام مرتين أو ثلاثًا فى الاسبوع، وكان شعارها من أجل التحرر الوطنى والديمقراطية والسلام وحياة أفضل للطلاب، ولقد أثارت الكثير من المناقشات حيث يجتمع الطلبة حولها، وأذكر أنى قابلت فى كلية الهندسة طالبا فرنسياً من اتحاد الطلبة العالمى كان يريد معرفة ما تحويه من موضوعات وسألنى كم عدد التوقيعات التى جمعتموها فى مصر على الدعوة لعقد مؤتمر الدول الخمس الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية، إنجلترا، فرنسا، الصين الوطنية، والاتحاد السوفياتى) وكان معروفاً أن العدد يدور حول خمسة عشر

ألف توقيع. فقال لي: لقد جمعنا في فرنسا خمسة عشر مليون توقيع والأفضل عدم الربط بين الدعوة للسلام وأي أفكار حزبية أخرى، فإذا كان البعض يعادي الاتحاد السوفياتي ويريد أن يسجل ذلك مع توقيعه فلا ترفضوه .

وكتب عبد الرحمن الشرقاوي تعليقاً في المجلة تحت عنوان «مسلمون وأقباط» بمناسبة حرق كنيسة السويس وذلك بناء على طلبي، وكانت مجلة الوعي تخصص باباً تحت عنوان «من أجل تكوين اتحاد عام للطلبة» كما أعادت نشر مقالات أحمد أبو الفتح المناوئة للثورة رداً على تصريحات صلاح سالم وكنت أقوم بحراسة المجلة من اعتداء الحرس الجامعي والإخوان عليها. وقد استمرت المجلة تصدر لمدة سنة دراسية كاملة.

منشور السلام :

قبض على أثناء توزيعي منشوراً للسلام يدعو لاجتماع الدول الخمس الكبرى، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت تعامل الاتحاد السوفياتي بغطرسة وتهدد بإشعال فتيل الحرب العالمية الثالثة معتمدة على امتلاكها للأسلحة الذرية وإحاطتها للاتحاد السوفيتي بشبكة من القواعد العسكرية، ومن جهة أخرى فإن الحكومة المصرية كانت ترفض نشاط أنصار السلام ولكنها لا تجد مسوغاً قانونياً لذلك، وتتهم أنصار السلام بالشيوعية حتى تحصر نطاق الدعوة للسلام في أضيق الحدود وتعزل وترهب كافة المدافعين عن السلام من غير الشيوعيين.

قبض على بواسطة عملاء البوليس فوق كوبرى عباس بالجيزة، وأمام جماهير المارة رفضت الانصياع لطلباتهم والتوجه مباشرة إلى القسم، ووقفت أدافع عن السلام وشرحت أن ليس هناك مبرراً قانونياً لاعتقالي ووزعت المنشور الذى معي على المارة، وأظهر المارة تعاطفاً معي حال دون اعتداء البوليس علي. ولما انتهيت من توزيع المنشور سرت معهم إلى قسم الجيزة بشارع البحر الأعظم ولم يفتح البوليس محضراً للتحقيق وأجرى اتصالات بوزارة الداخلية ثم أفرج عني.

وفي أثناء الحرب الكورية قامت مجلة " الوعي " بالدفاع عن كوريا الشمالية وأبرزت موقف حكومة الوفد في رفض المشاركة في الحرب التي أراد الاستعمار أن يحشد لها القوى المختلفة.

وكنا فى صدام دائم مع الإخوان المسلمين، وكانت تجري المناقشات بحرية أوسع وعقول الطلبة أكثر تفتحاً، وكنت أقول بصوت عال إن الزمن قد تغير ولم يعد الماضى بقادر على حل مشاكل الحاضر وعلينا أن نفكر من جديد. وفى إحدى المناقشات قام أحد الإخوان بالاعتداء على وسال الدم من وجهى ومزق المجلة، فما كان منى إلا أن مزقت مجلتهم .

وكان من بين الشعارات فى هذه المرحلة " الإفراج عن المسجونين السياسيين» إلا أنى لاحظت أن هناك محاولات لتخطى الشيوعيين، فطالبت فى لوحة كبيرة بالإفراج عن المسجونين الشيوعيين : أفرجوا عن كريم الخرادلى، أفرجوا عن محمد سيد أحمد.

وعندما اشتد الصراع فى داخل الكلية استدعانى عميد الكلية الدكتور الدمرداش وهددنى ثم قال "مفيش فايدة فيك ".

وفى إحدى المرات وبينما كنا نطالب بإلغاء الحرس الجامعى تسلل أحد عملاء البوليس من خارج الكلية إلى الداخل للوشاية ضد الطلبة المتزعمين، فقبضنا عليه واعتدى عليه الطلبة وأصررت أن يعود حافياً .

اللجان الوطنية ولجان السلام

كنا ندعو فى الجيزة إلى تكوين لجان وطنية لنحشد فيها المواطنين ولنعبئ القوى ضد الاستعمار والأحلاف والدفاع المشترك، وكانت هذه اللجان تكاد تعتمد على الشيوعيين من كافة التنظيمات وإن كان قد اشترك فيها عدد قليل من الوفديين .

كذلك كنا ندعو لتكوين لجان أنصار السلام للدفاع عن قضايا السلام وضد الحرب إلا أنها قد اختلط فيها الموقف بين السلام والقضايا الوطنية الأخرى وكانت مسرحاً للصراعات السياسية والفكرية مما ساعد على تعزيز الاتهام لها بالشيوعية، كما كانت تضم أغلبية من الشيوعيين وعدداً قليلاً من الطليعة الوفدية .

وكان الوضع فى داخل كلية الهندسة والجامعة قلقاً ومضطرباً ولكن الخطأ الذى وقعنا فيه هو إهمالنا للمحاضرات والدراسة وتجمعنا فى البوفيهات لإجراء المناقشات وأصبحنا كمحترفين سياسيين نريد فى كل يوم مظاهرة أو مؤتمراً لم يكن معداً له الإعداد الكافى، وأحياناً تقتصر هذه التحركات على الشيوعيين من التنظيمات المختلفة وضاع الأمان وضاعت السرية.

كنا نحن الشيوعيين أول المبادرين بالدعوة للكفاح المسلح قبل وبعد إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ إلا أن عجزنا قد ظهر جلياً عندما جاء وقت العمل وأخذ الإخوان زمام المبادرة فأقاموا المعسكرات للتدريب، وأصبحنا معزولين عن الطلبة الذى انصب اهتمامهم على الموقف العملى وحمل السلاح والتدريب والفداء. واستشهد من الاخوان طالبان وازداد السخط على حكومة الوفد لعجزها عن تلبية مطالب الكفاح المسلح واعتداء الإنجليز على البوليس فى الإسماعيلية. وفى يوم ما دعا الإخوان إلى مظاهرة من جامعة القاهرة أعد لها إعداداً كافياً وانضم إليها آخرون من الخارج وهتف الإخوان فى ميدان الأوبرا بسقوط الشيوعية، وكان موقفاً سيئاً للغاية ومحزناً .

حاول بعض الطلبة من أتباع مصر الفتاة "الحزب الاشتراكى" أن يستغلوا الحماس الوطنى الملتهب فى الدعوة للتخريب وشن الحملات على الخمارات والملاهى الليلية بشارع الهرم مما هيأ الأرضية لحريق القاهرة .

وكانت المظاهرات فى ذلك الوقت لا تقتصر على العداء لقوات الاحتلال البريطانى فى القناة بل الهجوم العنيف على السراى لتآمرها مع الاستعمار .

إعلان الأحكام العرفية سنة ١٩٥٢ وفتح معتقل القلعة ثم الهاكستب:

قامت حكومة الوفد إثر حوادث حريق القاهرة بإعلان الأحكام العرفية وتم اعتقال عدد من الشيوعيين والاشتراكيين والوفديين والفدائيين، وكان الهدف من ذلك هو تصفية حركة الفدائيين وضرب القوى المعادية للاستعمار، وتم على إثرها إقالة حكومة الوفد. اعتقلت فى معتقل القلعة مع بعض لصوص الجيش الإنجليزى ممن كانوا يساعدون العمل الفدائى، وبعد بضعة أيام تم ترحيلنا إلى الهاكستب. هناك التقينا مع الأستاذ فتحى رضوان رئيس الحزب الوطنى الجديد والأستاذ إبراهيم شكرى نائب رئيس الحزب الاشتراكى (مصر الفتاة) والأستاذ يوسف حلمى رئيس أنصار السلام والأستاذ على الزير سكرتير فؤاد سراج الدين وعدد كبير من الشيوعيين من بينهم حلمى ياسين وزكى مراد وحسين الغمرى وأحمد طه، وكانت تدور مناقشات مستمرة ومحاضرات قد ينتهى بعضها بالتصادم. وتعاقب فى هذه الفترة العديد من الوزارات، كما اغتيل الضابط عبد القادر طه أخو أحمد طه الزعيم العمالى، وكنت فى هذا المعتقل عضواً بمنظمة طليعة العمال.

يلاحظ أن هذا المعتقل لم يكن يضم أيًا من الإخوان المسلمين الذين تحاشت السراى والإنجليز اعتقالهم أملاً فى كسبهم إلى جانبها فى هذا الصراع، وبالفعل لم يقم الإخوان المسلمون بأى دور اعتراضاً على إعلان الأحكام العرفية فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ أو اعتقال الوطنيين أو تصفية الحركة الفدائية.

تحرك الضباط الأحرار:

وفى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ سمعنا من الإذاعة عن طريق راديو بدائى مهرب عن تحرك الجيش فى مواجهة السراى وانتهزنا هذه الفرصة للتشديد بالمطالبة بالإفراج عن المعتقلين.

وصرنا فى قلق واضطراب وبلبلة، فالموقف من حركة الجيش كان صعباً ولم نكن على بينة من الأمر فالانقلابات العسكرية كانقلاب حسنى الزعيم والشيشكلى فى سوريا والانقلابات العسكرية فى أمريكا اللاتينية تبدو كحركات معادية للشعب تريد فرض الدكتاتورية وفشلت فى حل قضايا الشعب .

لكن تنظيم حدتو كان له رأى أخر يعلنه فى الخفاء معتمداً على أن هناك بعض العناصر ممن ينتمون إليه مشاركين فى تنظيم الضباط الأحرار ثم أفرج عن فتحى رضوان بمفرده وسافر بطائرة خاصة لمقابلة جمال عبد الناصر .

كنا معزولين فى المعتقل وإمكانيات الاتصال محدودة للغاية، والشواهد التى أمامنا سلبية وشعارات الثورة لم تكن تكفى للحكم عليها وإنما أعمالها هى المحك لصدقها. وكنا فى هذه الفترة من التاريخ نحذر من خطورة الاستعمار الجديد "الأمريكى" ذى الشعارات المختلفة والأساليب المختلفة عن أساليب الاستعمار الإنجليزى العجوز، فهو يريد أن يرث الإمبراطورية البريطانية والفرنسية ويدبر المؤامرات لتحقيق أهدافه ويحشد فى سبيل ذلك الأعوان.

وتم الإفراج عن أغلبية المعتقلين السياسيين فيماعدا أربعة عشر معتقلاً ذوى أصول أجنبية تم ترحيلهم خارج مصر .

كانت ثورة ١٩٥٢ تتذبذب فى مسارها ولكنها تعلن بصراحة عداءها للشيوعية والشيوعيين وتلجأ إلى أساليب التراضى مع الاستعمار الأمريكى الجديد وتسعى كى تستغل التناقض بين الأمريكان والإنجليز لصالحها، فتعلن من جانب العداء للإنجليز ومن جانب أخر الرضاء عن الأمريكان .

وهى ترهب الطبقة العاملة ومن ورائها الشيوعيين بإعدام خميس والبقرى.

وهى تلغى الأحزاب ما عدا حزب الإخوان المسلمين الذى طالما بشر بهذا الشعار على أنه يتفق مع الإسلام، والإخوان المسلمون يحاولون احتواء الثورة مؤيدين فرض القيود على حرية خصومهم السياسيين.

أخذت الثورة تلعب دوراً فى تفتيت الخصوم فى الداخل واللعب على التناقض فى الخارج وعزل الشعب عن الممارسة السياسية واستخدام الأساليب البيروقراطية فى إدارة شئون الحكم كى تحظى بإعجاب جماهير الشعب السلبية .

الشيوعيون تدفعهم هذه الأحداث إلى إعلان العداء للثورة واتهامها بأبشع الاتهامات: الديكتاتورية العسكرية والفاشية والعمالة للأمريكان .

الشيوعيون يفشلون فى خلق تحالف معاد للثورة يكبح جماحها ويتعرضون للتنكيل والتعذيب والاعتقال والمطاردة .

الشيوعيون يغيرون من موقفهم عند أول بادرة لسياسة إيجابية من قبل الثورة ويطرحون استعدادهم للتعاون .

الثورة تقابلهم بحذر وريبة وتضع فى اعتبارها أنهم خصوم سياسيون واعون يمثلون خطراً عليها ولا يؤمن جانبهم، وعليها أن تعمل دائماً على عزلهم عن الجماهير مع تسخير قدراتهم الكبيرة فى الدعاية والثقافة لخدمتها .

الاتحاد السوفياتى والمعسكر الاشتراكى يلعبان دوراً بارزاً على المستوى العالمى لجذب القوى الثورية وللحد من التصادم بين عناصر قوى الثورة (باندونج صفقة الأسلحة التشيكية).

الثورة تنجح فى تأميم قناة السويس ورد العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ بمساعدة الاتحاد السوفياتى.

الثورة تفشل فى أن تستميل قوى الاستعمار الأمريكى لخدمة أغراضها بينما نجحت فى البداية فى اتفاقية الجلاء والسودان.

الاتحاد السوفياتى يغالى فى دور الثورة المصرية ويقدم لها المساعدات بما يرهق كاهله.

الثورة تقوم ببعض الإجراءات الثورية المتطرفة دون الإعداد الكافى لنجاحها وذلك لسحب البساط من تحت أرجل الشيوعيين على النطاق العربى (تأميمات يوليو ١٩٦١، الإصلاح الزراعى، الوحدة المصرية السورية) .

الثورة تفشل فى الوحدة المصرية السورية نتيجة لتآمرها على القوى الشعبية فى كلا البلدين وصراعها مع العراق.

ونتيجة للفساد فى الجيش والبيروقراطية فى الإدارة تفشل الثورة فى حرب ١٩٦٧ فشلا ذريعاً بل يعتبر ما حدث كارثة وطنية.

الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية تبشر بمفاهيم جديدة على الماركسية "نظرية طريق النمو غير الرأسمالى " التى اندفع الشيوعيون المصريون ليتلقفوها وليفصلوها على حسب الجلباب المصرى ولتتبارى حدتو على أنها من روادها الأوائل "نظرية المجموعة الاشتراكية" وهذا يتناقض مع مفهومها الاستراتيجي بأن الثورة المقبلة هى ثورة وطنية ديمقراطية .

ومن جانب آخر فى المعتقلات والسجون كان للسياسة المتخبطة المرتبطة باليسارية الطفولية نتيجة للعزلة (اتهام الثورة بأنها تمثل مصالح الاحتكار وشبه الاحتكار)، والتى التف حولها كادر ع.ف وهو حزب العمال والفلاحين الذى كان امتداداً لمنظمة طليعة العمال) أثرها فى فقدان الثقة من جهة الكادر الحزبي مما أدى فى النهاية إلى حل الحزب الشيوعى وتصفية كوادره .

وفى النهاية تفشل سياسة الثورة المصرية ويدور الصراع بين مراكز القوى يساراً ويميناً؛ يساراً ليس أهلاً لقيادة اليسار، ويميناً متآمراً بقيادة السادات للارتداد بالثورة إلى الوراء .

ولقد شوهت السياسة البيروقراطية كثيراً من الإجراءات الثورية فى أذهان الشعب، فالمجالس المحلية المنتخبة أصبحت مأوى الانتهازيين والنفعيين والمعادين للديمقراطية. ولم تكن هناك قوى أو تنظيمات شعبية للدفاع عن التأميم والوقوف ضد الاتجاه الجديد للتخصيص وأصبح الشيوعيون من الضعف والانعزال عن الجماهير مما أضعف تأثيرهم الشعبى والسياسى وزاد الطين بلة انهيار الاتحاد السوفياتى كنموذج للاشتراكية، كما ساعد فشل المشروع القومى الناصرى على بروز التيار الإسلامى مما أشاع اليأس والابتعاد عن العقلانية في المنهج والتفكير.

والملاحظ أن الديمقراطية كانت محور الخلاف طوال فترة حكم الثورة بين كافة التنظيمات الشيوعية والثورة، ما عدا حدتو التى كانت ترى أن المطالبين بالديمقراطية أعداء للثورة تحت شعار "لا حرية لأعداء الحرية" .

معتقل الفنية العسكرية :

على إثر انتخابات اتحاد الطلبة فى كلية الحقوق جامعة القاهرة وسقوط حسن دوح ممثل الإخوان المسلمين ونجاح أحمد الخطيب مرشح الوفديين والشيوعيين حدث تصادم بين الطرفين فحضر أنور السادات إلى الجامعة وأغلقت وفتح معتقل الفنية العسكرية للشيوعيين والوفديين دون الإخوان. وكان فى إمكان الإخوان المسلمين أن ينجحوا فى هذه الانتخابات لو أنهم قبلوا التعاون مع اتحاد الصعايدة إلا أن تعنتهم وحبهم للسيطرة وضيق أفقهم حال دون ذلك.

استطعت فى هذا المعتقل أن أهرب واختفيت، وفتش بيتى مراراً وكان رجال البوليس يرابطون بجوار منزلى بالعمرانية – الجيزة ويراقبونه لساعات طويلة وأشاعوا أني مطلوب القبض على لمشاركتى فى اغتيال طالب بالجامعة .

وفى هذه الأيام توفى الزعيم ستالين فحزنت كثيراً وتجرأت ودخلت السفارة السوفيتية بالزمالك لأدون تعزيتى فى وفاة هذا القائد باعتباره زعيماً عالمياً خدم الإنسانية. ولم يتنبه البوليس إلي وجودى واصلت الغياب عن المنزل .

وعندما أوشك معتقل الفنية العسكرية على التصفية طلب منى بعض الطلبة من المنيا شراء بعض الكتب الديمقراطية الواردة من بيروت (قدرى قلعجى – حنا مينا) فتوجهت إلى مكتبة الخانكى بشارع عبد العزيز بالقاهرة وطلبت عدداً من هذه الكتب ولم أكن أدرى أن ضابط المباحث العامة (عشوب) موجوداً بداخلها لمصادرة هذه الكتب، وهو رجل ضخم الجثة قوي البنيان سرعان ما تدخل وسألنى عن اسمى ولماذا لا أبيت فى المنزل ؟ وكنت لا أعرفه من قبل وأدركت أنه أحد رجال المباحث العامة، وقلت لا بالعكس أنا أبيت فى منزلى، فقال هل كنت بالأمس بالمنزل فقلت نعم، فنظر إلى وسألنى هل معك شيئاً ؟ فقلت لا فقال أخرج ما فى جيوبك بالحسنى، وبدأ يستعد لاستلام الأوراق التى فى جيبى فأخرجت بعضاً منها على مهل وشغلته ببعض الأوراق ليتصفحها ثم سحبت بسرعة ورقة ووضعتها فى فمى فهجم على ضاغطاً أصابعه بين فكى محاولاً أن ينتزع الورقة إلا أنى ارتميت على الأرض تحت المكاتب وأخذت ألوك الورقة بأسنانى وكان لعابى جافاً فلم يساعدنى على ابتلاعها وتدحرجت على الأرض بين الدواليب وكان جسمه الضخم يحول دون مجاراتى فى الحركة. وأخيراً عندما تمكنت من ابتلاعها خرجت من تحت الدواليب فما كان منه إلا أن صفعنى على وجهى صفعةً شديدة كدت أن أفقد وعيى بسببها، ثم وضعنى فى سيارة فخمة سوداء كانت تنتظره أمام

المكتبة وتوجهنا تواً إلى وزارة الداخلية حيث تركني في صالة كبيرة أمام غرف ضباط المباحث العامة، ودخل غرفته وأغلق الباب على نفسه فوجدت منضدة في الصالة خالية فما كان مني إلا أن تمددت فوقها وقلت لنفسي فلتسترح ما أمكن حتى يمكنك أن تواجه الجديد من الإيذاء. وبعد عدة ساعات أطلق سراحي وعدت إلى المنزل .

بعد تصفية معتقل الفنية العسكرية كان التضييق على الحريات شديداً داخل الجامعة، فتوقفت جريدة الوعي عن الصدور فقمت بالكتابة على سبورة المدرجات في الفترة بين المحاضرات .

وأذكر أننا تجمعنا في الأزهر من أجل القيام بمظاهرة خاطفة أي تعتمد على الحركة السريعة حتى لا يلحقنا البوليس، وفي هذه المظاهرة وأثناء عدوي فقدت حذائي ورجعت إلى المنزل بالهرم بعد أن استعرت حذاء آخر من أحمد صالح وكان يسكن بالروضة .

معتقلات ١٩٥٤ :

في فبراير ١٩٥٤ قبض علي وأودعت قسم الجيزة مع خطاب تحذير من الأمن العام بتشديد الرقابة على لخطورتي على الأمن العام. أودعت في الحجز الجديد المكون من ٤ غرف وصالة مشتركة ودورة مياة ولكل غرفة باب وهناك باب من الحديد المفرغ للحجز كله. وكانت ثلاث غرف مخصصة للمساجين العاديين والرابعة للنساء. وإزاء التحذير الخاص بي ضمت الإدارة جميع المساجين في غرفتين بدلاً من ثلاث وأفرغت لي غرفة خاصة بمفردي كما تركت لي الباب مفتوحا حتى يسهل عليها مراقبتي، وبعد وقت قصير حضر شاب قوي البنيان مفتول العضلات وتوجه مباشرةً إلى دورة المياة وكان بادياً عليه عدم الاتزان من جراء تعاطي المخدرات وهو معروف بأنه فتوة من حارة رابعة بالجيزة ويدعى ابن سكسكا ومكث بدورة المياة بعض الوقت حتى شممت رائحة كريهة لا تطاق تنبعث من الدورة وحاولت أن أستكشف الأمر فوجدت هذا الشاب عارياً تماما وقد غطى جسمه ووجهه بالبراز الذي جلبه من المرحاض فدخلت غرفتي وواربت الباب وأخذت أنظر من النظارة لأطمئن مخافة أن يقتحم غرفتي المفتوحة، لكنه توجه مباشرة إلى الباب الحديد المفرغ المواجه لغرفة مأمور القسم وغرف الضباط، ويفصل بين هذه الغرف والحجز ممر بعرض ٤ أمتار ثم أخذ يصيح ويسب المأمور بأقذع الشتائم بينما يمر الأهالي أصحاب الشكاوي والمتعاملون مع القسم فيسمعون هذه

الشتائم وأصبح الموقف محرجاً للإدارة ومهدراً لهيبتها .

أمر المامور بحشد عدد من الجنود يحمل كل منهم فى يديه بطانية واتجهوا إلى باب الحجز وفتحوه وحاولوا أن يحيطوا بالرجل ليكتفوه لكن نظراً لقوته كان ينزع البطاطين من أياديهم ليلوثهم بالبراز مما اضطرهم إلى الانسحاب وإغلاق الباب ثم تابعوا هذه المحاولة بمحاولة أخرى فكلموه بالحسنى وأحضروا له كوباً من الشاى وطلبوا منه أن يغتسل وأخيراً امتثل لأوامرهم ثم نقلوه إلى مكان آخر .

رحلت إلى قسم روض الفرج وكان به عدد من المعتقلين من مختلف الاتجاهات وكان من بينهم الدكتور منير الطويل وكنا بالدور الثانى، وطرأت فى ذهني فكرة الهروب إلا أن الأمور لم تمهلنى فقد رحلت مرة ثانية إلى معتقل القلعة فى أثناء هبة مارس سنة ١٩٥٤ وكان يعج بالمعتقلين الوطنيين والشيوعيين والإخوان المسلمين فكان به عدد من الشخصيات المعروفة : عبد الرحمن الخميسى وعمرو محيى الدين والصحفى إسماعيل الحبروك ...... وغيرهم.

ترحيلى إلى سجن بنى سويف والإفراج عن جميع الطلبة ما عداى:

حضر اللواء أحمد فؤاد مندوباً عن هيئة التحرير إلى معتقل القلعة واجتمع بجميع الطلبة المعتقلين ووعدهم بالإفراج، وفعلاً تم الإفراج عن جميع الطلبة فيما عداى إذ رحلت إلى سجن بني سويف، وصفى معتقل القلعة من جميع المعتقلين ذوى الاتجاهات المختلفة.

فى معتقل سجن بنى سويف كان هناك من زملاء طليعة العمال أحمد سالم، على العدل، عوض الباز، وإبراهيم على الخضرى وغيرهم .. وكان من حدتو إبراهيم عبد الحليم، جمال غالى محمد عباس فهمى، شحاتة عبد الحليم، فؤاد حداد ..... وغيرهم .

وفى سجن بنى سويف كانت المناقشات السياسية تدور، ولم تكن حدتو تعلن فى رأيها عن أى دعم للثورة وكنا فى كل مناسبة نتهمها بالخيانة للشيوعية ونرفض أى دعوة منها للوحدة .

ثم رحلنا جميعاً إلى أوردى ليمان أبى زعبل كما رحل المعتقلون فى سجن أسيوط كذلك، وفى داخل هذا المعتقل قسمت العنابر بمعرفتنا بين طليعة العمال وحدتو والحزب المصرى (الراية)، والمجموعة الأخيرة التى كان يتزعمها سعد زهران وكان متشدداً ومتصلباً ويريد أن يحكم تنظيمه بالإرهاب وتأليه الزعيم خالد واتهام الجميع بالخيانه والانتهازية ولا شيوعية

خارج حزبه (كان تنظيم النواة يقيم مع طليعة العمال فى عنبر واحد).

وإنضم إلينا من طليعة العمال ريمون دويك، فؤاد عبد المنعم شحتو، حسن صدقى، عدلى عزيز، السطوحى .... وغيرهم .

ولعب ريمون دويك دوراً بارزاً فى تعبئة المعتقلين لتأييد الثورة ولأول مرة بعد العداء الطويل مع الدولة فأيدنا مؤتمر باندونج وسياسة الحياد وصفقة الأسلحة .

وفى معتقل أبى زعبل رفضت طليعة العمال مشاركة حدتو فى الدعوة للإضراب عن الطعام وفشل الإضراب وجردنا من المزايا التى كنا نستمتع بها ومنها الكتب والجرائد، وانتهزت الإدارة برئاسة الضابط حسن منير الفرصة لمعاقبة العناصر التى تعتبرها مشاغبة وجرت عمليات جلد لى ولفكرى تادرس .... وأخرين. وكنت أثناء هذه الواقعة مندوباً للجنة العامة للمعتقلين ثم حدث الإفراج عنا جميعا.

وخرجنا من المعتقل لنعود للالتحاق بالجامعة من جديد ولنؤيد الثورة بقوة لتأميمها قناة السويس ونساند الثورة فى مواقفها الوطنية. وعندما قام العدوان الثلاثى من انجلترا وفرنسا وإسرائيل تطوعت فى كتيبة الجامعة دفاعاً عن الوطن ووزع علينا السلاح وعسكرنا فى مناطق عزبة النخل وحول مطار ألماظة .

وشاركنا فى كتيبة الجامعة زميل من الطلبة الفلسطينين وحدث مرة إذ كنا سويا نمر فى شوارع عزبة النخل مرتدين الزى العسكرى وحاملين السلاح أن شك الأهالى فى أمرنا وظنوا أننا من الأعداء الذين يسقطون بالمظلات كما سبق أن حدث فى بورسعيد وتجمعوا حولنا لمهاجمتنا إلا أننا بادرناهم بالتحية فاطمأنوا وهدأت النفوس.

وأود أن أشير هنا إلى أننا نحن الطلبة لم يكن مصرحًا لنا بدخول الكتب إلى المعتقل وقد يسمح لنا تحت الإلحاح بدخول الامتحانات، ولم نكن مستعدين لذلك فكنا نستغل صفحات كراسة الإجابة ونحولها إلى منشور سياسى معاد للدولة كما كنا طوال رحلتنا من السجن إلى مقر الامتحان نهتف بشعارات معادية للدولة.

وحدة الشوعيين فى ٨ يناير ١٩٥٨

استطاعت حدتو أن تلعب دوراً رئيسيًا فى دفع كافة التنظيمات الشيوعية إلى الوحدة معها، واقتنع الكادر بأهميتها نتيجة لضخامة وخطورة المسئوليات الملقاة على عاتقه مما أدى

إلى أن تتم بأسلوب عاطفى ومتعجل وضغطت القاعدة على القيادة من أجل الاسراع بها كما حدث فى ع.ف وخلالها تم استبعاد الزملاء من أصل يهودى .

هناك ثلاثة عوامل كان لا بد من توافرها لمواجهة مشكلة الانقسام الأخير وهى : الصراع الفكرى والعمل المشترك وممارسة الديمقراطية الداخلية، وهذه العوامل لم تتوفر نظراً للعجلة التى تمت بها الوحدة، وكان الأمل أن تتم بعد الوحدة إلا أن حدتو بادرت بإشاعة الانقسام وقطعت الطريق على استمرار الوحدة، وكان هناك قصور فى الموضوعات التى بحثت قبل الوحدة ، فثورة ١٩٥٢ كان يجب أن تكون محوراً أساسياً من محاور النقاش قبل الوحدة لا أن يكون الالتقاء حول موقف محدود منها كافياً لإتمام الوحدة، ويمكن القول إن حدتو كانت عاقدة العزم على السيطرة على الحزب الجديد وتقديم هذا الحزب هديةً لعبد الناصر، وإما الانقسام لتقديم أنفسهم ويكون الانقسام هنا عربون الولاء لعبد الناصر .

وكان من المفروض أن يقوى الحزب بالوحدة إلا أن ما تم عكس ذلك فصار مهلهلاً وبددت طاقاته فى المناقشات الداخلية والمناورات والابتعاد عن العمل وسط الجماهير وكشفت الأسرار الحزبية وانعدمت السرية، ثم جاءت الصفعة الكبرى فى اعتقالات ١٩٥٩ واختلفت هذه الضربة عن الضربات السابقة التى كانت توجه إلى تنظيمات منفردة ومنقسمة والتى من الممكن أن تؤدى إلى تصفية منظمة ما، أما الآن فهى تؤدى إلى تصفية التنظيمات مجتمعة فى حزبها الجديد.

كنت عضواً بمنطقة الجيزة فى الحزب الجديد وأدنت الانقسام واعترضت على موقف ع.ف والراية سنة ١٩٥٨ وكان نصيبى الفصل الذى استمر طوال فترة اعتقالى إلى أن تم الحل. والآن أشعر شعوراً راسخاً أن الوحدة التى تمت كان لا بد أن تؤدى إلى التصفية وحل الحزب.

وأحب أن أقدم هنا نقداً ذاتياً لأنى كنت من الداعين للإسراع بالوحدة.

الوحدة المصرية السورية :

كان مطلبنا هو أن تتم الوحدة على أساس اتحاد فيدرالى بين مصر وسوريا لكن عبد الناصر كان يصر بتأييد من حزب البعث على الوحدة الشاملة، ولم يمهلنا للتفاهم معه بل

أسرع بالهجوم والادعاء بأننا أعداء الوحدة .

وكانت دعوانا تقوم على أسباب موضوعية : أننا بلدان عشنا فترة طويلة منفصلين والتطور الاقتصادى فيهما متفاوت فالرأسمالية المصرية أكثر نضجاً ونمواً ويجب الحذر من أن نتهم بالسعى إلى استغلال سوريا أو استعمارها، وهذا ما حدث فعلاً .

وبدأ عبد الكريم قاسم حاكم العراق ومن ورائه الحزب الشيوعى السورى والعراقى يعملون معاً فى مواجهة عبد الناصر ومشروعه الوحدوى، وتأزمت الأوضاع وتدخل الاتحاد السوفياتى مناصراً لعبد الكريم قاسم وازداد الانقسام بين القوى الوطنية واستعرت الحملات الكلامية المتبادلة بأفظع الاتهامات واتسعت الاعتقالات وشاع التعذيب على أوسع نطاق وقتل من قتل وعذب من عذب. وكان من نصيبنا فى مصر معتقل الفيوم وأبو زعبل والوادى الجديد فتبددت الطاقات الوطنية فى مصر وسوريا والعراق كثيراً. ثم فشلت الوحدة المصرية السورية وصار الانفصال وزال حكم عبد الكريم قاسم وفقدنا فى مصر شهداء أعزاء .

وفى وسط جو العزلة والتعذيب عدنا مرة ثانية إلى مسلسل العداء والاتهامات المبالغ فيها بدلاً من سياسة الوحدة والصراع الصحية، كما أظهرت تلك الفترة خطورة العدوان على الحرية والديمقراطية والاعتماد على البيروقراطية.

اعتقالات ١٩٥٩ :

فى أول يناير سنة ١٩٥٩ قامت أجهزة الدولة البوليسية فى عهد عبد الناصر بأكبر حملة اعتقال للشيوعيين واليساريين.

كان قد صدر قرار باعتقالى فى ٢٨ مارس ١٩٥٩ ففى الصباح وأثناء دخولى باب كلية الهندسة جامعة القاهرة كان البوليس يترقبنى وكنت مسرع الخطى فطلب منى رجل البوليس الانتظار وأحاط ذراعه بذراعى محاولاً عرقلتى عن مواصلة السير فنزعت فى التو ذراعى بقوة ودخلت الكلية وخشي رجل البوليس أن أثير الطلبة ضده فى داخل الكلية فتراجع، وبعد أن كنت متجهاً إلى قسم الكهرباء غيرت اتجاهى إلى سور حديقة الحيوان الملاصق للكلية وقفزت من على السور عند حمام السباحة واتجهت مباشرة إلى بوابة شارع مراد، وكان الموظفون قد بدأوا فى الحضور فكان موقفى حرجاً للغاية ويدعو للريبة فى أمرى إلا أنه لم يحدث شئ واستطعت أن أقفز فى أول أتوبيس قادم وتمكنت من الهرب، لكن للأسف لم تطل فترة هروبى

إلا ما يقرب من اسبوع. وقمت فى خلال هذه الفترة القصيرة بالاشتراك مع بعض الزملاء من الطلبة بالكتابة على حوائط شارع الجامعة بالمطالبة بالإفراج عن المعتقلين مثل "أفرجوا عن الدكتور فايق فريد الأستاذ بكلية الهندسة، أفرجوا عن جمال البراد الطالب بكلية الهندسة". وبعد القبض على رحلت إلى معتقل الفيوم وإلى عنبر كان يقيم به عدد من طلبة المعهد الدينى بدمياط وكان به أيضا الشاعر النوبى محمود شندى، وكان طلبة المعهد الدينى بحكم صغر سنهم وقلة خبرتهم ميالين إلى التصادم مع الإدارة وكذلك الإضراب عن الطعام، ولعبت دوراً فى تهدئة مشاعرهم وتجنب الخسائر. وأقمت بهذا المعتقل بضعة أشهر وكانت قوات من الهجانة تقوم بأعمال الحراسة مستخدمة الكرابيج السودانية . وحرمنا من أى وسائل اتصال (خطابات – جرائد – زيارات – كتب) وكانت إدارة المعتقل تطالبنا بإجراءات غريبة كمنع الكلام مع بعضنا البعض وتقوم بالتنصت علينا ومعاقبتنا بسبب ذلك، وكان هذا أمراً مستحيلاً، كما كانت قوات الأمن بمساعدة العناصر المنهارة والضعيفة تقوم بتقديم التقارير لرجال المباحث العامة من أجل اجتذاب بعض المعتقلين بالإغراء والتهديد .

وفى يوم ما حضر مأمور المعتقل واستعرضنا أمام العنبر وأخذ يتفحص وجوهنا وكانت ذقنى طويلة وهى عادة لا تنمو إلا أسفل الفك، وتعرضت بسبب ذلك لعلقة ساخنة بحجة أننى أتشبه بلينين .

وفى يوم مشهود تم حشد بعض المعتقلين وأنا منهم فى حوش المعتقل، وحضر إلى باب المعتقل السفاح اللواء إسماعيل همت ومعه عدد كبير من الضباط والعسكر، وكذلك عدد كبير من السيارات وألقوا بنا فى داخل هذه السيارات مقيدة أيدينا بالسلاسل الحديدية وضربونا ضرباً مبرحاً، وسار رتل السيارات ليلاً فى شوارع مظلمة وتكاد تكون خالية من المارة وكان المنظر رهيباً ولا نعرف إلى أين نتجه. وفى الصباح الباكر وصلنا إلى أوردى ليمان أبى زعبل الذى سبق أن اعتقلنا فيه سنة ١٩٥٥-١٩٥٦ ولكن الحال لم يكن كالحال السابق بل أفظع وأخطر، والمنطقة التى دخلناها منطقة محظورة تابعة لليمان وكان المنظر وبشاعته يعيد إلى الأذهان ما قرأناه عن معتقلات النازى حيث لا قيمة لحياة الإنسان، إنها التصفية الجسدية بعينها. وطالبونا بخلع ملابسنا كما ولدتنا أمهاتنا والعسكر مدججة بالسلاح يحيطون بنا من كل جانب شاهرين سلاحهم نحونا وجزء آخر يحملون العصى الغليظة "الشوم" وواقفين فى صفين من حولنا وطلبوا منا التوجه إلى العنابر ولا يعرف الواحد منا إلى أى عنبر سيتجه

فيحدث ارتباك ويتم الضرب بالشوم على أى جزء من أجسادنا العارية والعسكر لا يعرفون شيئاً عن قضيتنا سوى أنهم لقنوهم أننا أناس كفرة فكانت قلوبهم قاسية غليظة لا تعرف الرحمة لها سبيلاً، أما الضباط فكانوا أكثر حظاً من المعرفة ولكن حد المعرفة هو أننا أعداء الوحدة المصرية السورية وعملاء للسوفييت فضلاً عن أننا لسنا بشراً بل شياطين ومتعلمين تعليماً عالياً يصعب عليهم مجاراته، وفينا عدد كبير من الحاصلين على الدكتوراة ويحظر الاختلاط بنا أو الاستماع إلينا.

هذه الطوابير الطويلة الممتدة من البوابة إلى العنابر يشرف عليها الضباط عبد اللطيف رشدى ويونس مرعى ومرجان ويرأسهم حسن منير والكل تحت قيادة اللواء السفاح إسماعيل همت، وكلهم شخصيات غير سوية معقدة سادية تتباهى بالغلظة والقسوة. وسحبوا ملابسنا التى خلعناها وسلمونا ملابس أخرى هى ملابس السجن المهلهلة والممزقة وتركونا لنمشى بدون أحذية حفاة الأقدام فوق الأرض المرشوقة بالبازلت المجروش المدبب الحاد وكان علينا أن نجرى فوقه لتجنب ضربات الشوم التى إن تلافيت إحداها لا تستطيع أن تفلت من الأخرى والتى من الممكن أن تصيبك فى أى جزء حساس من جسمك العارى.

وكان بيننا فى هذا الفوج الدكتور لويس عوض والدكتور عبد الرازق حسن والدكتور حسين كمال الدين والدكتور فوزى منصور والدكتور عبد العظيم أنيس والدكتور فؤاد مرسى والدكتور إسماعيل صبرى عبدالله والأستاذ محمود أمين العالم والأستاذ ألفريد فرج والفنان حسن فؤاد والكاتب محمد سيد أحمد وأحمد طه والقائد النقابى العمالى محمود العسكرى ومحمد على عامر والدكتور رفعت السعيد والشاعر الفلسطينى معين بسيسو مع مجموعة من شيوعيى غزة .... وآخرين .

وفى هذا المعتقل تم اغتيال عدد من الزملاء نتيجة للتعذيب منهم شهدى عطية الشافعى والدكتور فريد حداد ولويس إسحاق وغيرهم، كما تسبب الإهمال فى العلاج وسوء المعاملة فى وفاة المهندس رشدى خليل والعامل سيد أمين وعلى الديب وشعبان حافظ .... وآخرين.

وفى صباح كل يوم داخل ليمان أبى زعبل يواجه المعتقلون فى داخل العنابر بطابور اللف للتفتيش، وهو أن يوجه المعتقل وجهه نحو الحائط ثم يبدأ بالدوران حول نفسه وفى أثناء ذلك يقوم الجلادون بضربه بالشوم ثم يتجمع المعتقلون خارج العنبر ليقوموا بالسير على طريق البازلت وهم فى وضع القرفصاء ويصاحب ذلك عمليات ضرب وشتائم وإهانات قاسية .

وأذكر أن الضابط حسن منير قد لاحظني في الطابور وكان يعرفني من قبل سنة ١٩٥٥-١٩٥٦ فأشار على الزبانية بأن يضربوني، وهكذا في الشتاء البارد تلقيت ضربات مؤلمة على أطراف قدمي الحافية. كما كنا نخرج إلى الجبل لتكسير البازلت وتجميعه، ومن يقصر في أداء طريحته ينال إيذاء قاسياً عند العودة. وكثيراً ما كانت تصيبنا شظايا البازلت في عيوننا ثم نعود من الجبل إلى العنبر لنتسلم غذاءنا الذي لا تعرف له طعماً والملوث بالذباب والمضطر لأن تأكله رغم أنفك محافظة منك على حياتك. وأذكر في هذه الفترة أن قد تمت محاولات بوليسية كثيرة لكسر شموخ الإنسان بأن يعلن عداءه للشيوعية واستنكاره لها، كما أذكر رداً على ذلك في قول محمود أمين العالم قبل الإفراج (فلننس آلامنا الذاتية في سبيل مصالح الوطن العليا) .

حل الحزب :

في سنة ١٩٦٤ مع اعتقال معظم كوادر الحزب لسنوات طويلة والانعزال عن الواقع حدث أن نبتت أفكار سياسية مغامرة مثل احتكار وشبه احتكار ورأسمالية الدولة الاحتكارية... هذا في الداخل، ومن جانب آخر وردت أفكار من الخارج تدعو إلى طريق النمو الغير رأسمالي، طريق بناء الاشتراكية بواسطة البرجوازية. كان من نتيجة ذلك أن شاعت البلبلة والانهيار في صفوف الأعضاء ومع إصرار الدولة وزيادة ضغطها لحل الحزب وفقد الكادر ثقته في تحقيق الاشتراكية عن طريق الحزب الشيوعي المصري أصبح الأمل معقوداً على عبد الناصر والاتحاد الاشتراكي. وتم حل الحزب سلمياً عن طريق قيادته واكتفى آخرون بالانسحاب من الحياة السياسية ولو مؤقتاً وأنا كنت من هؤلاء، واعتقلت بسبب ذلك سنة ١٩٦٦-١٩٦٧ للاشتباه في موقفي، واتجه نفر قليل ليس لهم الخبرة والقدرة إلى محاولة بناء تنظيمات ترفض الحل وتصر على مواصلة الكفاح لكنها سرعان ما انهارت وتم القضاء عليها من الداخل.

الانقسامية في الحركة الشيوعية :

إذا لم يعمل الحزب باستمرار على سد الفجوات الفكرية بأسلوب ديمقراطي واتسعت هذه الفجوات فحتماً سيحدث الانقسام، والتاريخ يعلمنا أنه منذ انهيار الاتحاد السوفياتي شاعت البلبلة واتجه الشيوعيون اتجاهات شتى وأصبح من المتعذر الالتئام فانقسمت تقريباً كل

الأحزاب الشيوعية حتى الحزب الشيوعى السوفييتى، وقد يساعد على الانقسام وجود العناصر البرجوازية الصغيرة والمتوسطة القلقة.

والحركة الشيوعية المصرية عانت من الانقسامية بل ومن الغريب أنها كانت تنقسم لتطالب بالوحدة مرة أخرى مثل تنظيم وحدة الشيوعيين .

وأعتقد أنه إذا ما تم الانقسام فلن تجدى محاولات العودة إلى الوحدة التنظيمية بل يتجه الشعار إلى وحدة العمل وقد يكون فيه العلاج إلى الوحدة السياسية والفكرية .

خطر الانقسامية يتبدى بالذات فى مراحل التحول والانعطاف السياسى، والمحافظة على الحزب هى الشرط الأهم للتقدم، وتخريب الحزب هو الهدف الرئيسى لأعدائه الطبقيين، والصبر على الصراع من أهم الصفات الثورية التى يجب أن يتحلى بها الكادر وخاصة فى مواجهة قضايا لم تحسم بعد.

موقفى من العمل الجماهيرى والعمل التنظيمى :

كنت أشعر أننا نواجه خطر الانعزال والانكباب على ذاتنا فى المناقشات والصراعات مما يبعث على الشكوك والاتهامات وإضعاف الوحدة والتفكك، كل هذا تحت اسم الصراع الفكرى فاتجهت بكل طاقاتى إلى الاهتمام بالدعاية لأفكارنا وأهدافنا فى وسط الجماهير فكنت أقوم بتوزيع ما يقرب من ٣٠ نسخة من المجلة الحزبية السرية العامة باليد، وانغمست فى ذلك كلياً ولم أكن أهتم بالصراع الداخلى فى الحزب سواء بالاشتراك فى المستويات القيادية أو المؤتمرات والكونفرنسات إلا إذا طلب منى ذلك. فكنت فى النجم الأحمر فى مستوى قاعدى، وكنت فى ع.ف فى مستوى عضو قسم الطلبة، وفى الحزب فى مستوى عضو منطقة .

عندما فقد تنظيم النجم الأحمر جهازه الفنى قمت بمبادرة منى بشراء آلة كاتبة من مكتبة «ستاندرد ستيشنرى» وجمعت ثمنها من العاطفين حولى، وكان فى ذلك مخاطرة، لأن البوليس كان يراقب ويستفسر عن المشترين لهذه الأجهزة وكنت معروفاً للبوليس، وسلمت هذا الجهاز إلى النجم الأحمر دون أن يكون ذلك من مسئولياتى الحزبية .

منذ ارتباطى بالشيوعية لم ينجح البوليس فى القبض على متهماً فى قضية شيوعية ولكنه نجح بدرجة كبيرة فى القبض على معتقلاً طوال جميع فترات الاعتقال ما عدا فترة الفنية العسكرية.

وكنت أعتمد على مبادرتى الذاتية فى خلق مجالات العمل والنشاط ولم أشعر برقابة جادة من التنظيم على نشاطى العملى.

الحركة الشيوعية والعمل الجماهيرى :

اتبعت ع.ف فى بداية نشأتها سياسة الانغلاق تنظيمياً والانفتاح جماهيرياً والتسلل من داخل الوفد لممارسة أنشطتها الجماهيرية، وكانت محل انتقاد شديد بسبب ذلك من التنظيمات الأخرى، ووقفت ضد التعاون مع الاشتراكيين أو الاخوان وكانت تسعى لأن يكون نشاطها الجماهيرى معتمداً على قواعد طبيعية ثابتة من داخل المجال ولم تكن تسعى إلى طبل أجوف فكانت راسخة من حيث الوضع التنظيمى الحزبى كما كانت راسخة من حيث الارتباط بعناصر جماهيرية وخاصة العمال، إلا أنها كانت بطيئة الحركة تهمل الدعاية كالمجلات الحزبية والمنشورات، وكانت منشوراتها فى كثير من الأحيان بلا توقيع كما كانت مطبوعاتها لا تقرأ وأحياناً كثيرة لا تصل الأعضاء، وتعاونت بنجاح كبير مع تنظيم الطليعة الوفدية وكانت لها فيه تأثير يذكر. كان صراعها مع حدتو عنيفاً داخل حركة أنصار السلام، ولقد أكد النشاط الجماهيرى للحركة الشيوعية المصرية أن التعاون مع الوفد كان هو التعاون الوحيد المثمر (اللجنة الوطنية للطلبة والعمال - اتحادات الطلبة فى الكليات حتى انتخابات كلية الحقوق الشهيرة بعد حركة الضباط سنة ١٩٥٢ والتى نجح فيها المرشح الوفدى أحمد الخطيب مندوباً عن الجبهة فى مواجهة حسن دوح مرشح الإخوان المسلمين).

وتتحمل ع.ف مع المصرى الراية فى ٨ يناير ١٩٥٨ مسئولية فشل الوحدة، هذا بالرغم من إصرار حدتو على الانقسام.

وكان لموقفها المتباطئ من إعلان الوحدة مع التنظيمات الأخرى بعد نظر صائب فقد أدت الوحدة إلى التصفية وكان لا بد أن تؤدى إلى ذلك لأن الموقف من الثورة وللآن غير محسوم بل متخبط، مما ساعد فيما بعد على حل الحزب وتصفيته. هذا بينما كانت انتصارات الثورة لها بريق وإبهار فى الاندفاع نحو الوحدة ولكن ذلك لم يكن إلا خداعاً. فقد فشلت الثورة بلا شك وصارت رماداً.

وبشكل عام اشتركت كافة التنظيمات الشيوعية فى دعاية مبالغ فيها عن قوتها ربما لرفع الروح المعنوية بين أعضائها ولتأكيد ذاتيتها. ثانياً أن كافة التنظيمات الشيوعية كان يقتصر

عملها على السطح دون الوصول إلى عمق الشعب .

أما حدتو فحاولت أن تخلق تنظيمات جماهيرية مثل اتحاد عام للعمال من فوق وغير مدعم جماهيرياً، فى الوقت الذى حاولت أن يكون مسنوداً عالمياً ففشلت، وحاولت أن تخلق جمعية لأنصار السلام تحت سيطرتها الحزبية فغلب عليها الطابع الشيوعى ودخلت فى صراعات هى صراعات الحركة الشيوعية وبعدت عن أن تكون حركة جماهيرية. وكان لها نشاط محدود بل ووحيد - بالنسبة إلى الحركة الشيوعية - فى وسط الفلاحين وحاولت التعاون مع الجميع الإخوان والاشتراكيين (مصر الفتاة) والوفديين ولم تنجح إلا فى المحاولة مع الوفد.

أما الحزب المصرى (الراية) فاتجه إلى البرجوازية الصغيرة والطلبة، وكان يكثر من المطبوعات والمنشورات والمجلات وتميز بالحس الأكاديمى المنعزل عن الواقع فأخطأ كثيراً واعتمد على التعامل مع الاشتراكيين وارتكب خطأ كبيراً عندما دعا إلى التنظيمات الجماهيرية السرية (النقابة السرية - أنصار السلام السرية .....) وذلك تمشياً مع تحليله لحركة الضباط بأنها حركة فاشية والذى أدى به إلى طلب التعاون مع الإخوان بل ومع سيد قطب .

هناك فرق كبير بين حزب تتربع على قيادته قوى أو طبقات رجعية كإقطاعيين وبرجوازية كبيرة ويضم فى صفوفه جماهير واسعة من الطبقات الشعبية كحزب الوفد، وبين حزب آخر يتربع على قيادته قوى رجعية ولا يتمتع بتأييد شعبى فالأول يعانى ضغطاً من القوى الشعبية فى الاتجاه الديمقراطى والاجتماعى، والثانى تحظى فيه القوى الرجعية بحرية واسعة فى اتخاذ القرار المعادى للشعب .

والحزب الجماهيرى فى هذه الحالة يجب أن تتبع معه أسلوب الوحدة والصراع بمعنى أنه يجب ألا تؤدى حركة القوى الشعبية الداخلية فى الحزب الجماهيرى إلى التمرد الذى يضيف إلى قوة الأعداء ولكن إلى التمرد الذى يؤدي إلى زيادة القوى الثورية .

قضية المحترفين :

بقدر اتساع جماهيرية الحزب بقدر زيادة عدد المحترفين، فلابد للمحترفين من مجالات عمل طبيعية يعملون من خلالها .

ولا بد للمحترف من صفات شخصية تؤهله للقيام بدوره الهام وذلك بأن يتمتع بالخبرة

الكافية فى التعامل مع المجال المنوط به القيام بدور فيه وأن يكون ذا ثقافة تؤهله لحل مشاكل النشاط الذى يمارسه وأن يتمتع بالقدرة على المبادرة الذاتية وأن يكون مناضلاً صلباً يقبل الانسلاخ من مجتمعه الطبيعى وقادراً على مواجهة ظروف الكفاح وذكياً فى مواجهة ما ينصب له من شراك، والاحتراف ليس هواية وليس ارتزاقاً وزيادة العدد قد تخلق نوعاً من البيروقراطية.

وألاحظ أن أغلب المحترفين الذين عملوا فى الحركة الشيوعية كانوا يقومون بعمل سرى، والاحتراف فى العمل العلنى قد يدعو للشبهة بسبب مصدر الدخل، ومن الأمثلة الناجحة فى الحركة الشيوعية المصرية احتراف أبو سيف يوسف وحلمى ياسين.

شروط العضوية :

لقد كنت ضد التوسع فى عضوية الحزب بتبسيط الشروط اللازمة للعضوية وإذا كان ذلك يصلح فى الدول الأوروبية التى تتمتع الشعوب فيها بضمانات واسعة لحقوق الإنسان، إلا أنه فى الدول النامية وبخاصة فى مصر فنحن أبعد ما نكون عن ذلك، وما لحق الشيوعيون والإخوان من اضطهادات بالغة القسوة فى ظل حكومة وطنية دليل ساطع على ذلك.

ويجب الحذر من أن العضو الضعيف والشريف معاً قد يتحول ويلعب دور عميل البوليس فيخسر نفسه ويخسر من جرائه الحزب كثيراً، بل قد يركز البوليس عليه فى الحصول على أسرار الحزب.

ويجب ألا يدفع الحزب بالعاطفين حوله إلى داخل الحزب بل إلى داخل التنظيمات الجماهيرية المحيطة به من نقابة أو اتحاد أو هيئة أو ناد أو جمعية ذوات أهداف مختلفة إلا أنها كلها تصب تحت باب التنظيمات المدنية وهى تعلم الشعب أسلوب العمل الجماعى والنضال، وعن طريق ذلك يستطيع الحزب الحصول على العضوية.

النشاط الطلابى

نجح الطلبة الشيوعيون بالتعاون مع الوفديين فى الحصول على نسبة عالية فى انتخابات اتحادات الطلبة بالجامعة سنة ١٩٤٦ وتزايدت أعداد الطلبة الشيوعيين وتميزوا بالتفوق الدراسى فى هذه الفترة مما جعلهم موضع تقدير الطلبة وثقتهم كما تبوأوا مراكز هامة داخل الحركة الشيوعية.

فالفكر الجديد الوافد لم يكن من المستطاع الاطلاع عليه إلا لذوى الثقافة العالية والمحتكين بالأجـانب وكـان بعض هؤلاء من ميسـورى الحـال الذين تنقـصـهم الصـلابة والدافع للكفـاح السياسى والطبقى.

وكون الطلبة من حيث وضعهم الاجتماعى لا يتحملون مسئولية اجتماعية يجعلهم على استعداد للمغامرة كالإرهاب أو الانقسام .

والعمل السياسى فى وسط الطلبة صار موسمياً فهو يكاد يتوقف في فترات الامتحانات أو الإجازات الصيفية كما انتشرت من جـانب آخر نظرة يسارية (أن الثورة على الأبواب فأهملوا الدراسة كما لعب الاضطهاد السياسى والاعتقال دوراً كبيراً فى تعثر البعض وأنا منهم وبالفعل قامت ثورة ١٩٥٢ ولكنها لم تكن ثورة العمال والفلاحين).

والسعى لوجود اتحاد عام مهمة أساسية للطلبة ويقابله صعوبة تدخل الدولة وفرض اتحاد عام مشوه تفرض عن طريقه قيوداً على حركة الطلبة وممارساتهم وهذا يتطلب قبوله من حيث الشرعية والعلانية والكفاح من داخله وتعميق جذوره الجماهيرية حتى يصبح ديمقراطياً.

وفى الماضى كان ينقص النشاط الطلابى الخدمات الاجتماعية والرياضية والثقافية فاقتصر على العمل السياسى أو الدعوة لتكوين الاتحاد .. ويعتبر ذلك نقيصة .

سياسة الاتحاد السوفياتى :

أولاً أود أن أحيى مواقف الاتحاد السوفياتى المعادية للإمبريالية والمدافعة عن السلام والمناصرة لحركات التحرر الوطنى .

ثانياً إن الحركة الشيوعية المصرية هى المسئولة عن السياسة المصرية ولا مبرر مطلقاً للتنصل من ذلك وإلقاء العبء على الاتحاد السوفياتى، وإذا كان قد تم نوع من الخضوع الاختيارى فهو ناتج عن الشعور بالدونية فالصين ويوغسلافيا قاومتا التدخل السوفياتى فى شئونهما.

ثالثاً أن سياسة الاتحاد السوفياتى الخاطئة التى فضلت التعاون مع الحكومات وأهملت دور الشعوب شجعت على إهمال هذه الحكومات لدور شعوبها وسلكت مسلكاً بيروقراطياً واندفعت فى المغامرات كحرب ١٩٦٧ كما أرهقت كاهل الاتحاد السوفياتى بتبعة هذه المغامرات .

وأحب أن أوضح مثلاً عاصرته أثناء عملي بالسد العالي، فبعد أن انتهى العمل في بناء السد أراد المهندسون المصريون الصغار الاستغناء عن الخبراء السوفييت وأبرزوا استعدادهم لتحمل المسئولية، إلا أن المديرين ووكلاء الوزارات رفضوا هذا المطلب وطالبوا بإطالة أمد الخبراء السوفييت لا تعاطفاً معهم ولكن لتحميلهم المسئولية عند الأخطار، فهذا النوع من المديرين لم يكن في استطاعتهم مجاراة التطور التكنولوجي وتحمل المسئولية وكان أسلوبهم: عندما يحدث تقدم في العمل ينسبونه لأنفسهم ويحصلون على المكافآت، وعندما تحدث مشاكل يتبرأون منها ويحملون السوفييت المسئولية، وهذه هي البيروقراطية، وكل الحكام في دول العالم الثالث كانوا مستعدين أن يلعنوا السوفييت دائماً ويتمسكوا بهم دائماً.

وأعتقد أننا لم نكن مؤهلين للحكم على سياسة الاتحاد السوفياتي في بناء الاشتراكية، ولقد حقق الاتحاد السوفياتي انتصارات باهرة في عهد ستالين بينما صارت الأمور عكس ذلك في عهود الحكومات التي أعقبته وتباطأت معدلات النمو الإقتصادي بدرجات كبيرة وتفشت البيروقراطية والفساد. أما موقف التنظيم وموقفي فكان مؤيداً للوضع الرسمي وإن كان لتنظيم ع.ف مواقف تعارضت مع موقف الاتحاد السوفياتي إلا أنها سرعان ما تراجعت. فقرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٨ عارضته ع.ف ثم تراجعت. وأثناء الصراع السوفياتي الصيني كان الحزب مناصراً بشدة لسياسة الاتحاد السوفياتي مهاجماً بشدة للصين بينما كان موقفي بالعكس مناصراً للصين ومعارضاً للاتحاد السوفياتي.

موقف التنظيم وموقفي من اليهود والأجانب :

أود أن أقول إني أعادي العنصرية والصهيونية ولا أعادي اليهود أو السامية، وأن اليهود والأجانب قد لعبوا دوراً هاماً في نشأة الحركة الشيوعية وبعض اليهود قد تفانوا في خدمتها وبذلوا جهداً لتكييف أنفسهم من أجل الاستمرار في النضال فأسلموا وتعلموا العربية، إلا أن وجودهم في القيادة يسئ إلى الحركة لأنه يتنافى مع مشاعر الشعب المصري، كما أن الشيوعيين المصريين كانوا قد شبوا عن الطوق وتعلموا الدرس وأصبحوا مؤهلين لهذه القيادة فكان من الواجب أن يتنحوا مختارين عن مسئولياتهم .

ومشاعر الشعب يجب أن توضع في الحسبان، وكسب ثقته مهمة أساسية للنجاح، والابتعاد عن كل ما يعقد الموقف واجب هام حتى لو كان الشعب واقعاً تحت تأثير رواسب تاريخية فبدونه ليس هناك أي أمل في تحقيق أي انتصار .

موقف التنظيم وموقفى من
تصادم السلطة مع الإخوان المسلمين :

أولاً : ساهم الإخوان فى تدعيم موقف السلطة إزاء كل اعتداء على الديمقراطية فكانوا أول من بادر بشعار : لا حزبية بعد اليوم .

ثانياً : فى سنة ١٩٥٤ كانوا ينحون إلى الاستيلاء على السلطة بمفردهم وبواسطة جهازهم السـرى الإرهابى تحت قـيـادة يوسف طلعت، فلم يكن اصطدامـهم بالسلطة دفـاعـًا عن الديمقراطية أو التعـاون مع القوى الأخرى بل قطعوا الطريق على تعاون القوى الأخرى أو تضامنها معهم وربما لو كان قد أتيح لهم الوصول إلى السلطة لكان الوضع أسوأ وأمر.

ثالثاً : أن الشيوعيين قد سبقوا الإخوان إلى المعتقلات والسجون ولم يحدث أن دافع الإخوان عنهم بل كانوا دائماً معادين لهم .

لذلك لم يحدث من التنظيم أو منى تعاطف معهم .

ملحوظة

لم أشترك فى أى من تنظيمات الثورة : هيئة التحرير، الاتحاد القومى، الاتحاد الاشتراكى التنظيم الطليعى .

ولم أحصل على عمل نتيجة لتوصية من الدولة ولكن بناء على القرار الخاص بتكليف المهندسين.

شهادة

حمزة البسيوني

البيانات الشخصية

الاســــــــــم : حمزة محمد البسيوني

محل وتاريخ الميلاد : ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٤ ببلدة نوسا الغيط مركز أجا- محافظة الدقهلية

بيانات عائلية :

كان الأغنياء في قريتنا مالكين وليسوا إقطاعيين. الغنى كان الذي يملك عشرين أو ثلاثين أو خمسين فدانا في ذلك الوقت. كانت نوسا قرية فيها حركة تجارية نسبياً وحركة زراعية معقولة وبها ملكيات صغيرة وأجراء، لكن ليس فيها الشكل الاقطاعي الذي يمكن أن يقسم البلد .. كانت هناك بعض العائلات ذات الملكية المعقولة، لكن لم يكن هناك انفصام بين الناس، ولا يقهر أحد آخر بشكل عام.

ونوسا تعتبر في هذه المنطقة البلدة الأكثر حيوية. نسبة المتعلمين فيها دائما كبيرة، أكثر من أي بلد آخر. كانت العلاقات موجودة في شكل لن أقول مقهي، كان يوجد شبه منتدى، يسمونه البوفيه على خط السكة الحديد، على المنصورية. كان يجلس فيه المثقفون والناس ذوو الاهتمامات خاصة.

أيضًا البلد كان فيها نوع من النشاط الرياضي وناد رياضي كان يضم فريق كرة كان معروفًا جداً في المنطقة، لدرجة أنها كانت تباري فرقًا معروفة في المنصورة. وكان اليوم الرياضي هذا أو يوم لقاء كرة القدم يومًا حافلاً جداً وكل البلد تفك فيه كل تزمتها، ولقاء وانتصارات أو عدم انتصارات. هذا كله كان يجمع البلد كوحدة واحدة. على النطاق القومي كان هذا الفريق يضم د. مصطفى الجبلي الذي أصبح بعد ذلك وزيراً للزراعة، وكان قد حصل على دراسات في أمريكا وعاد معجبًا جداً بالتجربة الامريكية. وبعد ذلك في تطوره كأستاذ أراض مرموق انتدبته الأمم المتحدة لبلغاريا فيما أظن، وسافر إليها كخبير، ورأى التجربة التي يمكن أن تطبق في مصر. فقد كانت أمريكا بلداً واسعة ومساحات شاسعة وتكنولوجيا متقدمة،

مأخوذة عن حوار اجرته أ. انتصار بدر.

أما فى بلغاريا فرأى بلداً ظروفه مثل ظروف مصر.

عاد د. مصطفى الجبلى من بلغاريا اشتراكيًا، عن طريق تفاعله مع التجربة، ووجد أن مشاكل مصر يمكن حلها هكذا. وكان يكتب مقالات فى هذا الاتجاه. وربما كان فى المجموعة التقدمية مع د. إسماعيل صبرى عبد الله ومع كل الناس الذين كانوا يفكرون لمصر بأسلوب اشتراكي، وعندما أصبح وزيراً للزراعة قام بعمل أشياء مرموقة، وإن كان التاريخ لم يعطه حقه. أقول هذا بمناسبة أنه كان عضواً فى فريق كرة القدم بنوسا الغيط.

نشأنا لنسمع قصص بطولات شعبية، لكن أيضًا بالطريقة الأسطورية. مثلاً شخص فعل شيئًا طيبًا فى التاريخ الوطنى – رغم أنه مازال حيًا– لكن أصبح أسطورة. مثلا كان عندنا شخص اسمه محمد الشربينى. يقولون عنه أنه عندما جاء الإنجليز للبلد، خرج للكوبرى، وكان يمتطى حصانًا حديديًا!! وكلما ضربوه فوق الحصان ينزل تحت الحصان، يضربونه تحت الحصان يصعد فوق الحصان ..

قصص أصبحت تروى بطريقة ما. لكن هذه هى الأسطورة وليست القصة بالضبط. من أمثال صنع الأسطورة أنه بعد سنين كان لنا زميل اسمه حسن– كان معنا فى المعتقل – كتب عن المعتقل، فكتب عني كطبيب فى المعتقل. ووصل إلى أن يقول إن شخصًا أصيب بالزائدة، فالدكتور حمزة لم يسعفه الوقت ليرسله لمستشفى، فأجرى العملية بموسى حلاقة. كتب هكذا فى الكتاب، قلت له : يا حسن ..الأسطورة تصنع بعد فترة، لكن ونحن أحياء نسمع أساطير؟ فهذه الأسطورة هى جزء من تاريخ الناس الذى يستوعبونه والذى يصورون فيه بطلا كما يريدونه هم ويضيفون إليه.

القرية كانت منخرطة فى السياسة وكانت كلها وفدية. كان هناك طبيب وفدى يرشح نفسه لمجلس النواب– فى ذلك الوقت – لكن نوسا الغيط كانت وفدية بطريقة ثورية، بمعنى رغم أنها بلد كبيرة كانوا يجرون انتخابات خارج القرية، أى تعقد فى المركز وخارج البلد. فالناس تمشى على السكة الحديد لتذهب للانتخابات .. فى أيام صدقى ومحمد محمود والأيام التى شهدت ضغطًا وتزويراً، كانت كل مشكلتهم أن نوسا لا تصل لصندوق الانتخابات. هم يعرفون ماذا سيفعل أهل نوسا. وحدثت معارك وسقط قتلى وجرحى أثناء المعارك الانتخابية.

كل هذا كنا نعيش فيه منذ صغرنا. ونشعر أن البلد فعلاً تتكلم فى السياسة و.... بهذا المفهوم كنت أشعر ببلدى.

عندما ذهبت للمنصورة كانت بدأت تحدث مظاهرات المنصورة الثانوية، تخرج أولاً مدرسة الصنايع ثم تخرج المنصورة الثانوية. وكنت أنخرط فى هذا المظاهرات كمواطن عادى لا دور لى سوى أشتراكى فى هذه المظاهرات. وأتذكر مرة حاصرونا فى ملعب بجوار مدرسة الصنايع، وضربت علقة تاريخية بخيزران رفيع من العساكر المصريين الذين يفرقون المظاهرات.

فى المدرسة الثانوية لم أنخرط الانخراط الكافى فى السياسة. أبى كان يملك وابور طحين ولا يملك أرضًا. وابور الطحين كان يدر نقوداً يومًا بيوم. كنا أسرة مستورة وليست لنا علاقات بأرض، كنا أسرة من عشرة، ست بنات وأربعة أولاد. البنات طبعًا تعلمن القراءة، والكتابة وتزوجن أبناء عمومتنا. أما الأولاد فالأخ الأكبر كان موجوداً مع والدى. وأخ حصل على بكالوريوس تجارة وترقى إلى أن أصبح رئيس مجلس إدارة شركة نسيج بالقاهرة، وأيضًا كانت لديه اتجاهات تقدمية فى إدارته. وأخ ثالث اكتفى بشهادة متوسطة وعمل بالاسكندرية. وأنا ذهبت للاسكندرية لأن أختى تزوجت ابن خالى الذى كان يعمل هناك.

وكان مرتب زوج أختى فى هذا الوقت اثنى عشر أو ثلاثة عشر جنيهًا. وعشنا حياة بسيطة جداً فى الاسكندرية وقد عشت معهم حتى تخرجى.

طبعًا فى أثناء هذا كله سوف أحبس عشر سنوات. وكانت أختى وزوجها مسئولين عنى فى هذا الوقت. منذ سجن الحضرة وحتى الواحات. ولم أشعر أبداً فى أى مرحلة برفض الأسرة النشاط السياسى.

ولعل ما ساعد على استمرارى فى التعليم رغم ظروف أسرتى المادية أن بلدنا عمومًا كان اتجاهها للتعليم قويًا. وكانت القرية تقف وراء الذى يتعلم، والقرية كلها تقرأ أرقام الجلوس وتنتظر من نجح ليصفقوا له فقد كانوا يعيشون فى مجتمع مفتوح على بعضه والناس كلها تحب بعضها وكلهم لهم اتجاهات عامة. ولم أشعر أبداً فى أى مرحلة بأن الأسرة قد تكون عقبة فى طريقى.

سافرت للاسكندرية فى الأربعينيات حوالى سنة ١٩٤٥. وكانت الحرب العالمية فى أواخرها. وكانت الاسكندرية مازالت تشهد بعض الغارات، وجو التهجير، ثم بدأت الحركة الوطنية والمظاهرات وشعارات الجلاء وتطورت بعد ذلك ضد الملكية، وكنت أنا وزميل لى اسمه عبد الغفار – أيضًا من نوسا الغيط– نسير نبحث عن المظاهرات.. ظللت بهذا الشكل.. إلى أن

بدأت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال في القاهرة وبدأنا نكون لها أشكالا في الاسكندرية، رغم أننا لم نكن منخرطين في العمل السياسي أو اليساري إلا بهذا القدر.

كان أشهر يوم في هذه الاثناء يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦، الذي أصبح بعد ذلك يوم الطلبة. في ٢١ فبراير ١٩٤٦ قامت مظاهرات عارمة في كل مصر وفي القاهرة في ميدان الاسماعيلية- ميدان التحرير بعد ذلك - مرت عربات مصفحة انجليزية وقتل عدد كبير من الناس.

قالوا نجعل ٤ مارس للاحتفال بشهداء ٢١ فبراير.. في هذا الوقت تكونت لجنة كانت تضم الاخوان المسلمين ومصر الفتاة أساسا وتنظيم تابع للحكومة، وقالوا أن ٤ مارس هذا يوم احتفال ولكنه احتفال حداد - أي لا نذهب لعملنا - وليس إضراباً .. ولاتكون هناك أية مظاهر إلا الحداد، ونتجنب الخروج للشارع و...

بالنسبة للاسكندرية في هذا اليوم أيضًا خرجنا نبحث عن مظاهرات، وكنت أقيم في الحضرة أنا وعبد الغفار. ومررنا على شركة اسمها (النيل) وبدأنا الهتاف وقت خروج العمال. وبدأنا نزحف تجاه محطة الرمل. في هذا الوقت، كان حزب مصر الفتاة في الأسنكدرية يرفض قرار اللجنة الوطنية التي شكلت.

وكان أعضاء حزب مصر الفتاة في الاسكندرية قد ظلوا طوال الليل يتناقشون. وفي الصباح خرجوا بمظاهرة - أي رفضوا قرار القيادة في القاهرة بمجرد الحداد. كل هؤلاء التقوا في محطة الرمل، سارت هذه الجحافل في الشوارع المتفرعة من محطة الرمل.

كان هناك شارع اسمه سعيد - الغرفة التجارية الآن- كان به أحد جنود البحرية يسكن في عمارة من هذه العمارات، وحدث إطلاق رصاص على المظاهرة. ولا أعتقد أن أحداً حدث له شئ. لكن وقع نوع من الشغب. المظاهرات اتجهت نحو هذه العمارة، وبدأت في إشعال النار فيها. وأتت المطافي، فأخذ المتظاهرون يقطعون خراطيم المطافي، والمظاهرة كانت معقولة وتحت السيطرة عن طريق مجموعة من الجامعة.

لم تكن هنا قيادة محددة في الإسكندرية في هذه المرحلة. كانت هناك بالطبع اللجنة الوطنية للطلبة والعمال بالقاهرة. وطبعاً سمعنا عنها، رغم أننا لم نكن جزءاً منها لأننا لم نكن يساريين حتى هذا الوقت، لكن كنا متأثرين بها ونستجيب لنداءاتها، ومن بينها أن هذا اليوم لابد أن يكون يوماً مشهوداً.

المظاهرة سارت عادية، وأخيراً تدخل البوليس و.. عادت لنفس الشارع - الغرفة التجارية

الآن – الذى هو شـارع سـعـيد، عند تمثال سـعد زغلول. وكان هناك كشك. بريطانى. لأن الانجليز فى هذا الوقت كانوا فى الاسكندرية وغيرها. كانوا موجودين فى كوم الدكة. مررنا على هذا الكشك ولم نتنبه إليه وعندما عدنا بالمظاهرة، اكتشفنا هذا الكشك. لم يكن كبيراً، وكان مكتوباً عليه بالانجليزية بما يعني أنه مكان لهم.

دخلت المظاهرة على هذا الكشك لتكسره. تخيلت شيئًا واحداً فى هذا الوقت. كان حلم أى واحد فينا هو مسدس يقتل به الانجليز. قلت ربما أجد فى هذا الكشك مسدساً. فكنت مع أول فرقة مقتحمة لهذا الكشك. كان الكشك عبارة عن غرفة كبيرة وعلى اليمين فتحة لباب وبداخله غرفة أخرى. لم تكن هناك اضاءة، فلم نر شيئًا إلا الاضاءة، القادمة من هذه الغرفة الكبيرة. أنا سمعت أصواتًا لا أقول طلقات رصاص... لأنى متعود على رصاص البوليس طاخ، طيخ .. شديد.. فتصورت أن الذين دخلوا بدأوا يحرقون وأن هناك رصاص يفرقع.. مشاعرى ركزت وركزت أن هناك جنوداً يضربون بمترليوز ويحصرون المتظاهرين ويموت ناس، كان فى هذا الكشك أربعة. طبعًا الناس حوصرت فى هذا المكان. بدأ الناس يُضربون من الشبابيك المواجهة لتمثال سعد زغلول –يضربون بالرشاشات بعد أن طهروا مدخله. بدأ الناس ينتشرون فى كل مكان ولايعرفون ماذا يفعلون؟ ونزل الجيش واحتل مواقع فى المكان ... الجيش المصرى. الناس كانت تجرى فى كل اتجاه. كان هناك أجانب يقطنون فى أماكن مختلفة، أخذوا يطلقون الرصاص فى كل اتجاه .. وكان الافندية وبعدهم أتى عدد كبير من الاطفال كانوا يحضرون كراسى من تريانون ويشعلونها ويلقونها على الكشك – وكان المكان كله عبارة عن دخان. بعد ذلك وجدنا العربات المصفحة المغلقة تمامًا تملأ هذا المكان. والناس فى حالة رهيبة. كان هناك فندق فوق تريانون. ورأينا الممثل أنور وجدى يقف فى بلكونته ومذعوراً. والناس يصفقون له..

كان هناك قتلى وعشرات الجرحى. ولم ينحسر الوضع إلا بعد أن قتل اثنان أخذهما الجيش. ورأيت جثة أحدهما.

فى اليوم التالى، ذهبت للمستشفى الأميرى. كانت الجثث زادت، فوضعوها فى غرفة كبيرة وكانت بملابسها – شباب وأطفال فى أعمار مختلفة وأفندية وعمال و.. ما يشبه الجبهة الوطنية هذه مصر، وكل الطبقات تناضل فعلاً، ويمكن معرفة ذلك من الملابس.

عقد مؤتمر فى الكلية بعد ذلك. كنت منخرطًا فى المظاهرات. وكان عميد الكلية د.على مفيد

حسن وكان متخصصا فى الكيمياء وعالمًا مرموقًا. جاء ليحضر المؤتمر، ثم وقف وتكلم وقال أنا آسف كانت عندى حالة ولادة. كنت مشغولاً لا أعرف أى شئ.

فنادى على، إلى أن وقفت بجواره. وقال لى : واضح أنه لا يعجبك كلامى. قل لهم أنت كيف ستخرج الانجليز؟ أنا خطبت مائة مرة بعد ذلك، ولكنى لم أخطب أبدًا خطبة مثل التى خطبتها فى هذا اليوم. كان محور الخطبة القوة، لا توجد وسيلة لمواجهة الانجليز سوى القوة. حتى القوة غير المنظمة هذه استطاعت أن تنتصر نسبيًا فى هذا المكان واستطاعت أن تجلوهم عن هذا المكان وتقتل اثنين، وهى قوة غير مسلحة. فتخيل إذا سلحنا هذا الشعب. تكلمت فى اتجاه أن القوة والقوة المسلحة هى الوسيلة الوحيدة للتحرر. لا توجد وسيلة أخرى.

الأستاذ الجليل د. محمد طلعت - كان أستاذ الفسيولوجى - صعد وكتب على السبورة برقة (العلم = القوة)، وصفق له الطلبة. فكتبت بالطباشير بجوار كلمة «العلم» (فى بلد مستقل) صفق الطلبة.

انتهى هذا المؤتمر بأن طلب مدير الجامعة مقابلة مندوبين من الكليات . فطبعًا اختارونى وشخصا آخر مندوبين عن كلية الطب.

كانت هذه أول مرة أخطب فى حياتى، ولم أكن زعيمًا أو قائدًا . كنت إنسانًا عاديًا وسط الناس فى أى مكان يذهبون إليه، وكنت وقتها فى سنة أولى كلية طب. ذهبنا كمندوبين وناقشنا وكان لدينا ما نناقشه.

أيضًا من الأيام المشهودة - لا أريد أن أربطها بتواريخ سياسية لأن المناسبة ربما كانت تصريحًا يقال من جهة انجليزية مثلاً، أو مفاوضات متعثرة. كل شئ كنا مترصدين له جداً حتى نعبر عن شعورنا بكل شئ وكل الناس وراءنا. إلى أن كان يوم خاص جداً فى جامعة الاسكندرية. كان مبنى مدرسة العباسية فى محرم بك على هضبة عالية.

تجمعنا للقيام بمظاهرات، وحوصرت الجامعة بحيث إن أى طالب يخرج يتم القبض عليه، وفى هذا اليوم جهزنا هتافات و... وأثناء هذا الحصار، أطلق النار من داخل الجامعة على ضابط وقتل. وفى هذا اليوم قضينا ليلنا فى الجامعة، وبدأت المفاوضات حتى نخرج. وخرجنا، فأغلقت الجامعات فى هذا الوقت لأجل غير مسمى. وفى هذا الوقت فصلوا عدداً كبيراً من الطلبة، وكان أكثر أعداد المفصولين من كلية الحقوق وفصل اثنان من كلية الطب.

مرة كنت أجلس فى مقهى، فقابلت شخصًا متحمسًا مثلى هو د. أحمد لطفى الصاوى،

الذى سينخرط معى فى كل شئ. ونكون ثنائى حمزة والصاوى كما كانوا يقولون.

بعد ذلك فتحت الجامعة بالتدريج . أولاً كلية الطب وكلية الآداب . كلية الآداب لم يكن بها طالب مفصول، بينما طلبة كلية الطب أضربوا وقاموا بمظاهرة داخل الكلية.. وفى اليوم التالى أضربت كلية الآداب أيضاً وظل الوضع متوتراً بهذا الشكل. فأعادوا جميع المفصولين للكليات.

بعد ذلك اتصل بى الشيوعيون. كانت هناك جمعية دراسات اشتراكية فى الاسكندرية. بدأنا نرتاد هذه الأماكن. اتصل بى شخص وبدأ يجندنى – كان اسمه سعيد شعراوى– وكان فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى. ونصحنى نصيحة غريبة جداً. قال لى أنت ممتاز.. منذ الأن افعل أى شئ لكن لا تظهر نفسك. طبعًا رفضت هذا رفضًا باتًا. وبدأنا الدراسة والكتيبات. انخرطت فى هذا، وبعد ذلك وجدت نفسى فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

وقد قبلت الارتباط بالحركة الماركسية لأن أى إنسان صادق مع نفسه لابد أن يبحث عن ارتباط ما. طبعًا الوفد فى هذا الوقت كان الحزب الشعبى وكان فيه أفراد متحمسون جداً، لكن كحزب لا تشعر بدوره. مصر الفتاة أيضًا لم تكن تتجاوب فهى ترفع شعارات حماسية جداً ومفرغة. بدأت أسمع قضايا أخرى، القضايا الاجتماعية بجانب القضايا السياسية، قضايا التحرر، قضايا الجوع والقضايا الاقتصادية.

زادت قوة الشيوعيين فى هذه المرحلة بطريقة رهيبة جداً، وكان من الممكن أن يكونوا أكبر من ذلك، لكن الانقسامات أضعفتهم. وهذا يحتاج دراسة لأن كل هذا لم يكن مصادفة.

كان اسمى الحركى فتحى. وهو اسم أحد الزملاء السودانيين وكنت معجبًا به. وعبد المنعم الغزالى كان اسمه الحركى حمزة وكان مسئول الشباب.

أخذنا تكليفًا من الحركة الديمقراطية سنة ١٩٤٧ أو ١٩٤٨، بأن نذهب لشركة الغزل الأهلية وكانت أكبر شركة فى هذا الوقت. كانت تضم حوالى عشرين ألف عامل– الآن فى ظل الأوضاع القائمة آخر رقم سمعته أنها تضم سبعة آلاف – وأن نخرج العمال بمظاهرة. طبعًا هذا لو نحلله الآن لم يكن موقفًا صحيحاً. ونحن كمجموعة طلبة فعلاً كنا متحمسين جداً لأى شئ.

تصور مجموعة طلبة تذهب إلى مصنع كبير جداً وقت خروج ودخول الوردية، بدون أى إعداد وبدون أى شئ أبداً. وبدأنا نرمى منشورات ونهتف هتافات، وطبعًا العمال تجاوبوا، إنما قبض علينا. كنا فى هذا الوقت ثلاثة : سعد غريب طالب فى كلية العلوم ومجدى حبيب طالب

فى كلية الحقوق وأنا. وقبض علينا. المهم دخلنا فى قضية بتهمة مظاهرات ولأول مرة فى تاريخ حركة الطلبة تصدر أحكام. وانتهت بالحكم على سعد غريب ستة شهور سجن ومجدى وأنا براءة.

فى هذا الوقت، دخلت المستشفى، وأنا فى المستشفى واسمى مقيد فيها، قمنا بمظاهرة مهيبة جداً .. لأنه كان شيئاً مستفزاً أن يحكم على طالب بستة شهور. وقلبنا عربات ترام و.. وأنا فى المستشفى، دخلت فى قضية جديدة أنا وأحمد لطفى الصاوى الذى ذكرته من قبل. اتهمنا القائمقام عمر بك حسن تحديداً. وأنا كنت على رأس المظاهرة. وقانون الاجتماعات والتظاهر ينص على أنه إذا اجتمع أكثر من خمسة وأمروا بالتفرق ولم يتفرقوا ففى ذلك جريمة.

وصلنا للمحكمة. شهد عمر بك حسن هذه الشهادة. خطر على بالى أن أقول للمحامين.. دعوه يتعرف علينا، لأنه بالفعل لم يرنا. كان أحمد لطفى الصاوى بعين واحده، فأخرجه.

سئل : أين حمزة، فأجاب : غير موجود يا فندم .. وكنت فى القفص. كان هناك وكيل نيابة اسمه مصطفى سليم قال : حمزة لم يكن يطلق شاربه، أطلقه فى السجن. قلت له : لا.. طول عمرى أطلق شاربى. قال : هذا هو حمزة البسيونى. رغم هذه الشهادة الوحيدة التى كانت مكسورة حكم علينا بستة شهور مع إيقاف التنفيذ.

فى أثناء نظر القضية الأصلية لسعد غريب - ذهبنا للاستئناف. كان هناك هناك محام اسمه رياض شمس، كان وفدياً ومعروفاً، وقد قدم طعناً غريباً جداً فى الاستئناف. قال : هذه المظاهرة تجمهر وتظاهر وتوزيع منشورات تتهم الحكومة بالخيانة.. فإذا تعددت التهم تكون العقوبة والاتهام على أساس التهمة الأشد. فالتهمة الأشد هى منشورات تتهم الحكومة بالخيانة، وهذه المنشورات من باب النشر. والنشر جريمة تنظرها محكمة الجنايات. ليظل هناك أمان بدلاً من حكم قاض واحد يكون ثلاث قضاة جنايات، فيكون الموضوع أكثر جدية ولا يكونون خاضعين للسلطة. فطلب إلغاء الحكم وتحويل القضية لمحكمة الجنايات، لأنها قضية نشر. كان دفعاً غريباً جداً. المهم- قُبل هذا الدفع وحولنا لمحكمة الجنايات عن القضيتين، قضية العمال وقضية التظاهر.

عندما جاء موعد الحكم فى القضية، حدث فى الاسكندرية إضراب البوليس - كان البوليس قد أضرب بشكل عام وبشكل خاص فى الاسكندرية سنة ١٩٤٨- وعندما أضرب البوليس

استعانوا بالجيش. فى هذا الوقت كنت فى المستشفى الأميرى معتقلا على ذمة القضية الأخرى. ورأيت الناس قادمين، وكان هناك أستاذ تشيكوسلوفاكى اسمه فيرنر – أستاذ بالكلية – كان يأتى لتشريح الجثث ويحدد وجود الطلقات هنا وهنا. وفى آخر اليوم هذا الاستاذ نفسه أحضرته عربة الاسعاف مقتولاً. فى هذا الوقت ساد الاضطراب فى المدينة وبدأت الناس تهاجم المحلات وتنهب .بدأت الفوضى المطلقة . فنزل الجيش واعتقل عشرات الناس.

فى الوقت الذى تحولنا لمحكمة الجنايات بدفع المحامى، كانوا قد بدأوا يحاكمون الناس فى مظاهرات البوليس، وكان القفص مملوءا وكان يأتى ضابط يقول نعم هؤلاء كانوا فى المظاهرات. فيكون الحكم عشر سنوات، خمس عشرة سنة، سبع سنوات، ثمانى سنوات، كان عرفًا هكذا ولم تكن محكمة حقيقية. وجدنا أنفسنا الذين قمنا بمظاهرات وقبضوا علينا بالواحد وأمام شركة، ستنظر قضيتنا فى وسط هذه الظروف وسوف يحكمون علينا.

انتهت القضية بالبراءة. لم يثبت شئ. قال المحامى : هل هؤلاء الناس كانوا متجمهرين؟ لا. بدليل كذا. كان تظاهرًا؟ لا بدليل كذا. هل كانت منشورات؟ لكن إذا كنتم تريدون أن أثبت لكم أن الحكومة خائنة سوف أثبت لكم.

حكموا ببراءتنا. وفى سنة ١٩٤٨ فتحوا المعتقلات من أجل حرب فلسطين. ودخلنا أول دفعة معتقلات للشيوعيين فى هذا الوقت.

المهم اعتقلنا فى ١٩٤٨. كل ذلك وأنا طالب فى كلية الطب. ظللنا لأواخر سنة ١٩٤٩ اعتقلونا فى معتقل اسمه أبو قير فى معسكرات قديمة. جاءت بعد ذلك حكومة الوفد.

فى هذا الوقت ، بدأ الإخوان يقومون بنشاط. قتل عبد الهادى والنقراشى وقتل حسن البنا. وبدأ الاخوان سنة ١٩٤٨ يدخلون فى مواجهة الحكومة. فاعتقلوهم معنا أيضًا. كان وقتها يوجد جهاز سرى للإخوان، وكان هناك هاربون.

وفي معتقل أبو قير كان معنا أيضًا يهود. وكان منهم بعض الكبار وبعض الشباب. كان للشباب اليهودى تنظيمات النوادى وكان لهم أناشيد الهاجاناه. كان الشعور أنهم قادمون من تنظيمات صهيونية كانت موجودة فى البلد وكانوا فى نواد مفتوحة ولهم نشاطهم. وكان فيهم مجموعة كنا نسميها (البانكيرة) أى الأغنياء منهم. كانوا يخرجون ويعودون عن طريق علاقات بمأمور المعتقل.

بعد ذلك خرجت، ومن الناحية الشخصية بدأنا نمتحن ونحن فى المعتقلات، وأذكر أننى

نجحت لأنى كنت أشعر بمسئولية كبيرة تجاه أسرتى وأنه يجب أن أنتهى من الدراسة.

خرجنا فى أواخر ١٩٤٩، وبدأنا ننخرط فى العمل السرى والعلنى. وبدأت الحركة الوطنية تتبنى هدف الغاء معاهدة ١٩٣٦. بما فى ذلك من انخراط فى الكفاح المسلح والتدريبات العسكرية. وفى الجامعة رتبنا فرقًا ورتبنا تدريبات عسكرية وانخرطنا من خلال الأحياء السكنية ومن خلال الجامعة فى أشكال من الاستعداد للكفاح المسلح .. وفى كلية الطب أقمنا معسكر تدريب وكنا ندخل فى حوارات حول الكفاح المسلح.

فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ طبعًا كان حريق القاهرة سببه الاستعداد والوضع فى القناة ٢٥ يناير بالتحديد كان اليوم الذى اصطدمت فيه قوات البوليس فى الاسماعيلية بالجيش الانجليزى.

وطبعًا سيحكم التاريخ على حريق القاهرة، فمن الذى استفاد من حريق القاهرة؟ القوى التى استفادت من حريق القاهرة هى التى كان لها مصلحة فى حرق القاهرة. ربما شاركت فى هذا بعض قوى وطنية مندفعة، إنما هى أساسًا مؤامرة استعمارية لاحباط وإنهاء الكفاح المسلح فى القناة والقبض على كل الناس المنخرطين فى هذا.

فى يوم ٢٦ يناير هذا كانت الاسكندرية صامتة جداً والناس فى الشوارع مذهولة لا أعرف لماذا والمحلات كانت مغلقة، وكنت أسير أنا ولطفى الصاوى فى شارع سعد زغلول، فتقدم منا أحد رجال المباحث اسمه البشبيشى وأخذنا وقال لاشئ: مجرد تحفظ بسبب الذى يحدث فى البلد. فأخذنا، ونحن فى القسم.. قال حظكم سيئ: حكومة الوفد أعلنت الأحكام العرفية. وبعد ذلك بيوم أو اثنين. أقيلت حكومة الوفد. ودخلنا فى معتقلات ١٩٥٢. كان المعتقل فى النزهة. كنت خرجت فى نوفمبر ١٩٤٩ ثم عدت فى ٢٦ يناير ١٩٥٢.

أعلنت الأحكام العرفية وبدأوا يقبضون على كل الناس المندرجين فى الكفاح المسلح واليساريين بداية من فتحى رضوان ويوسف حلمى حتى الحركة اليسارية كلها والحركة الشيوعية، وكنا فى معتقل النزهة وقد كان أصلا جراجًا لطائرات المطار البحرى. هذا المعتقل انتهى وضعه بطريقة غريبة. قررنا – وكنا حوالى ثلاثمائة من اليساريين – التمرد وقلنا لعائلاتنا ذلك فى يوم زيارة، فجاءوا خارج المعتقل. والخطة كانت أن نعتقل الحارس الذى على الباب– وكانت الزيارة فى غرفة المأمور– ونخرج وبالفعل أمسكنا بالحارس الذى على الباب وذهبنا لغرفة المأمور. كان هناك ضابط مباحث يحضر الزيارة فى هذا الوقت هو سيد فهمى – الذى أصبح وزيراً للداخلية فيما بعد وأقيل بعد أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ .

إعتقلنا المأمور وضابط المباحث وبدأنا نجرى اتصالات بالصحف. جاءت قوات وحاصرت المعتقل فـأخرجنا كل الأسرة للخارج وهجمنا على الباب بقصد الهروب. طبعًا نحن لم نتخذ قرارًا بالهروب عنوة. نحن نريد إحداث قلق شديد جدًا. وطبعًا كانت الظروف تسمح بهذا. الدولة والحكومة مهزوزة جدًا. فبدأنا نحاول الخروج ويمنعوننا، وبدأوا يحاصروننا حصارًا كاملا ويعملون نوبتجية ليلية.. وجاء ضباط ليسوا من الاسكندرية لا يعرفون شيئًا. وفى المعتقل أتذكر عبد المنعم ابراهيم لأنه كان عاملاً مثقفًا ولطيفًا كان يقول : لماذا نحن هنا؟ أليس لأننا ندافع عن كذا وكذا والفلاحين. والعساكر الذين فى الخارج هم أبناء الفلاحين والناس الغلابة. إذا حاولنا نخرج هل سيمنعوننا؟ ماذا ننتظر؟

وفى يوم وجدنا الميدان الذى أمام المعتقل مليئًا بكل قوات بوليس الاسكندرية. وقالوا هناك قرار بنقلنا للهايكستب.. طبعًا كان من البلاهة فى هذا الوقت أن نقاوم. حتى الضباط الذين أصبحوا أصدقاءنا دهشوا. قالوا نحن كنا مشفقين عليكم. كنا حتى هذه اللحظة بلا خسائر.. القيادة اجتمعت وقالت نقبل قرار النقل. كان لدى فى هذا الوقت، امتحان بكلية الطب بعد أسابيع. كنت أنا والمرحوم زميلى سمير بديع. نقلوهم جميعًا، وتم ترحيلى أنا وسمير لسجن الأجانب لنكون قريبين من الامتحانات.

أثناء الامتحانات، سمعنا الطائرات وقالوا: هناك انقلاب. عدنا مرة أخرى لسجن الأجانب، وبعد يومين أتى لنا زهران رشدى وسمير درويش- حضرا كمعتقلين.

فى ٢٣ يوليو تم الافراج عن جميع المعتقلين، ماعدا أربعة عشر شخصًا وكنت من بينهم ربما لتوضيح أن مبدأ الاعتقال موجود.

أتذكر الآن شيئًا مهمًا. كانت قد بدأت فى الخمسينيات حركة السلام العالمى. وبدأت بما يدعى نداء ستوكهولم. كان النداء يدعو لعدم استخدام القنبلة الذرية. نداء بسيط جدًا ومفيد لتجميع ناس، بدأنا نناقش الناس. من يقول لا؟ عندما نقول كلنا لا يكون لها قيمة، عندما ننظم لا هذه تكون لها قيمة أكبر. فحول نداء ستوكهولم خلقت حركة السلام العالمى.

طبعًا حركة السلام المصرية كان سكرتيرها يوسف حلمى المحامى. ونتذكر فى هذا الوقت كمال عبد الحليم بكل ماله وما عليه فقد أنشأ حركة السلام وكان وراءها ولم يدخل فيها وأنشأ مجموعات الأدباء والفنانين.

فى هذا الوقت تكونت حركة السلام المصرية، كان سكرتيرها يوسف حلمى المحامى .

وكانت تضم البندارى باشا – محمد كامل البندارى – وحفنى محمود باشا وآخرين. البندارى كان سفيراً لمصر فى موسكو وعاد، وكان يسمى الباشا الأحمر.

من نداء ستوكهولم، تأسست حركة السلام المصرية وأعلنت اللجنة التحضيرية لحركة السلام المصرية. فى هذا الوقت كنت مسئول حركة السلام فى الاسكندرية، وانشأنا مكتباً فى شارع سعد زغلول وبدأنا المحاضرات والندوات والتحركات والاشتراك فى المظاهرات، وكان يحضر ناس كثيرون، وكنا نقوم بأعمال كثيرة.

مثلاً يوم مظاهرة المطالبة بالغاء معاهدة ١٩٣٦، سمحت الدولة بالمظاهرات، لكن لم يسمح لحركة السلام، وكنا جهزنا مجموعة لافتات ضخمة جداً. أولا لافتة رئيسية (الكفاح المسلح هو طريق التحرر والسلام) لأننا بالطبع كنا نريد أن نحارب الانجليز ثم لافتات ولافتات.

فى هذه الليلة، تم تفتيش بيوتنا جميعاً. يومها دخلوا بيتنا وصعدت للصندرة حتى رحلوا. كل هذه اللافتات كنا نخفيها فى بيت نواب كلية الطب. ففوجئوا بها وهى تنزل فى المظاهرة. طبعاً كان جزء المظاهرة الخاص بنا أكثر أجزاء المظاهرة تنظيماً، الناس كلها شدت على أيدينا.

وفى مرة قلنا نحتفل بالعيد. فقلنا نذهب للنزهة بأولادنا وعائلاتنا. طبعاً كنا لا نقوم بحركة سرية. حركتنا معروفة. فذهبنا فى أتوبيس واحد. فأخذنا البوليس لقسم على بعد حوالى اثنين كيلو. نحن مشينا والخيول حولنا وكنا نهتف بشعاراتنا ودخلنا بهذا الوضع للقسم، لدرجة أن عم مبروك ذهب إلى النزهة ولم يجدنا، فقيل له أنه تم اقتيادنا للقسم فجاء وزوجته وأولاده وقال لهم: أنا وأولادى وزوجتى فى حركة السلام خذونا معهم .

هذه المظاهرة إنتهت طبعاً بتحقيقات نيابة. فى هذا الوقت كنا نوعى رجال النيابة. كنا فى العشرينيات كلنا أو أقل أو أكثر. وكان يقود الحركة الشيوعية كلها شباب عمرهم أقل من ثلاثين سنة.

إكتشفنا فى هذا الوقت أننا مفروض أن نوعى وكيل النيابة. يتهموننا فنقول : أولاً نحن لم نتجمهر أو شئ. نحن كنا فى حديقة.. ومن حقنا أن نتواجد فيها . قبضوا علينا، فجئنا معهم. ثم نحن نقول أننا حركة سلام، التى أعلنت لجنتها التحضيرية، التى تضم فلاناً وفلاناً وهذا الكلام نقوله لوكيل النيابة.. نوعية ما الحكاية؟ يوجد بيان رسمى وليس ممنوعاً. وهذه حركة تنادى بالسلام. لا نريد القنبلة الذرية ما الذى اخطأنا فيه؟ أنتم منعتمونا أن نحن نحتفل

بالعيد فى الحديقة. كنا نشعر أنه واجب علينا وجزء من دورنا إن نوعى رجال النيابة.. وأفرج عنا جميعًا بدون ضمان.

كنا نقوم بجمع التوقيعات وكانت حملة جميع التوقيعات نفسها هى التى أوجدت حركة السلام. عندما ننظم أنفسنا نكون قوة وأذكر أنه كان معنا أول فنان سينمائى مصرى – محمد بيومى وقد أنتج عنه فيلم تسجيلى لمحمد القليوبى وقد سجل معى عن هذا الفنان .

تحت راية حركة السلام تمت تحركات كثيرة، وكل هذا كان يصب فى الغاء معاهدة ١٩٣٦. وتثقف كثيرين من خلال حركة السلام. لأننا استظللنا هذه العملية ولنا مكتب ولنا محاضرات وندوات، بينما سرية الحركة الشيوعية كانت تقيدنا.

فى الفترة من اواخر نوفمبر ١٩٤٩ إلى ٢٦ يناير ١٩٥٢ واعتقالنا كانت مسئوليتى الأساسية حركة السلام فى الاسكندرية. وأعتقد أن الحركة لعبت دوراً كبيراً فى انخراط ناس فى تيار اليسار.

فى ١٩٥٢. أفرج عن كل الناس ماعدا أربعة عشر شخصًا. وكنت من بينهم. كان الباقون فى هايكستب. سواء كانوا موجودين أصلا أو انتقلوا هناك. هؤلاء رحلوا لمعتقل الطور.

إنتهيت من امتحانات كلية الطب، ورحلونى فى أوائل حركة الجيش. وفى هذا الوقت بدأت مظاهرات الطلبة. أيضًا من أجل التحرر الوطنى أيام محمد نجيب. الجامعة أضربت وكان يوجد نضال وطنى أيضًا. اعتقلوا طلبة فى معسكر جيش بالقاهرة. فى هذا الوقت رحلت وحدى من الاسكندرية للقاهرة لأكمل الأربعة عشر زميلاً فى معتقل الطور.

ثم تم ترحيلى لمعتقل الطلبة. وكانت هناك مجموعات من الطلبة الذين لم يكونوا معتقلين وكانوا قد انتهوا من الدراسة – أتذكر منهم عادل حسين صديقى العزيز الذى لا أعرف ما الذى حدث له – كان طوال الوقت لديه مسألة بروزه كزعيم. هذه ممكن تكون إيجابية. وأعتقد أنها وراء تغيره رغم احترامى له كمفكر اقتصادى. فى المعتقلات كان يقدم دراسات وطبعًا كتبه معروفه. إنما مسألة الزعامة هذه شعرنا بها جميعاً.

ومعتقل الطلبة الذى رحلت إليه كانوا يعتبرونه لوكاندة محمد نجيب الذى كان يقول فى ذلك الوقت : أبنائى الطلبة ضيوف عندى. وهذه ديماجوجية كانت موجودة حتى وهم يعتقلون الناس، كان الطعام الذى يقدم جيداً وعندما كان يتم الافراج عن دفعة كان يتم النشر عنها وتؤخذ صور للمفرج عنهم. وأنا فى معتقل الطلبة امتحنت باقى الامتحانات وعدت للمعتقل،

ونجحت وحصلت على بكالوريوس طب وجراحة سنة ١٩٥٢.

خرجت فى ١٩٥٣ وكانت الأمور بدأت تضيق علينا.. تخرجت طبيباً وتخرج معى أيضاً أحمد لطفي الصاوى. وتم تعيينى طبيب امتياز فى سوهاج. ولطفى الصاوى تم تعيينه فى أبو تيج، سافرنا فى قطار واحد أيضاً. وأنا أسأل عن التعيين، تحدثت تليفونياً مع البيت- فقالوا لى : المباحث فتشت. ثم عرفت بعد ذلك أنهم عملوا قضية لمجموعة فى ١٩٥٣ وأن هناك اعترافات. وكان السؤال بينى وبين لطفى الصاوى - ماذا نفعل؟ نحن الآن سنكون أطباء. .. ثم عرفنا أننا سنذهب لسوهاج. نذهب أم لا؟ سؤال بالنسبة لى على الأقل - ذهبوا لاعتقالى وفتشوا ولم يجدوا شيئاً كالعادة.

سافرنا فعلاً فى ١٩٥٣ وعملت مع مجموعة من الأطباء مازالت لى علاقة بهم حتى الآن. كنا نتثقف ونقرأ.

إنتهيت من الامتياز بعد سنة، وكانت الأحوال فى الاسكندرية متوترة جداً، ظللت فى سوهاج ستة شهور. ثم تم تعيينى فى مبرة المنيا لمدة أربعة أيام، ثم اعتقلت. كانت قد بدأت حملة ١٩٥٤ التى ذهبت فيها لمعتقل أبو زعبل. كان معنا مجموعة أدباء منهم يوسف ادريس وابراهيم عبد الحليم وفتحى خليل وزهدى.. مجموعة كلها معروفة.

كنا ندخل معارك داخل السجن كأطباء من أجل الحالة الصحية. وفى يوم من الأيام بدأوا يفرجون عن ناس. نادوا دفعة إفراج .. كان من بينها يوسف إدريس وأنا، وخرجنا مع هذه الدفعة، وهم ذهبوا للمباحث لاجراءات الافراج ونحن ذهبنا لسجن مصر أنا ويوسف إدريس. ودخلنا عنبر من أوله لآخره إخوان ووضعونا فى زنزانة واحدة، وهذا ممنوع فى لوائح السجون. وتعايشنا مع الإخوان المسلمين. كان أهاليهم يأتون لزيارتهم ويسألونهم عن أحوالهم فيقولون لهم نحن بخير واطمئنوا علينا، كان عندهم عدوى أمراض جرب وسل.. قلت لهم قولوا لأهاليكم : نحن مرضى واذهبوا للحكومة. ووقتها أتت حملة للفحص الطبى ونقلوا كثيرين منهم.

ظللت فى سجن مصر، إلى أن طلبوا مرة يوسف ادريس. وكانوا قرروا أن يفرجوا عن مجموعة الأدباء والفنانين ليذهبوا للسودان ويتصلوا بالحزب الشيوعى السودانى لإصلاح الأوضاع. وظللت وحدى. كانت الحكومة دخلت فى مشكلة السودان وتريد عقد لقاء مع أية قوة سياسية موجودة، فأفرجوا عن مجموعة الادباء ليقابلوا السودانيين ويتناقشوا فى الأوضاع.

والذي حدث أنهم لم يذهبوا، لكن أفرج عنهم.

في هذا الوقت كنا نحكي أنا ويوسف ادريس كل شيء.. وبعـد أن أفـرج عنه وأنا لازلت موجوداً بالسجن، صدرت له (قصة حب) وكان البطل فيها حمزة، وهي التي تحولت بعد ذلك لفيلم «لا وقت للحب» طبعاً كان شرف كبير أن يجعلني رمزاً لمرحلة.

خرجنا في أوائل سنة ١٩٥٦، وانخرطنا في النضالات اليومية، كنت أصبحت طبيبًا وأعمل بالطب وكانت هناك حركة نقابية للأطباء ونظمنا إضرابًا للأطباء لبعض مطالب.

دخلت انتخابات مجلس الأمة سنة ١٩٥٧ – كان عمري في هذا الوقت ثلاثة وثلاثين عامًا– وكنت مرشحًا في بلدنا. وكان يوجد حوالي ثمانية مرشحين في الدقهلية، وكانت الراية الحمراء مرفوعة. وكنا مكتسحين لدرجة لا يتخيلها أحد. أولاً بلدنا قيد فيها – كان أول مرة المرأة تقيد في جدول الانتخابات– قيد في بلدنا نوسا الغيط من السيدات أكثر من اللائي قيدن في مدينة الاسكندرية كلها .. كان ذلك من أجلي. كنت عندما أخرج من المعتقل يطبلن ويزغردن، بلدنا كما قلت متفتحة. فأصبحت نوسا الغيط قاعدتي التي أتحرك منها في كل مكان. وكنا نذهب للقرى الأخرى نأخذ معنا مدرسين أو أحداً يعرف أهل البلد. في منية سمنود بلد رأفت سيف لم نكن نعرف أحداً إلا فراشًا في مدرسة يعرف مدرساً، فأتى بالمدرس الذي ظل يناقشنا. قال نحن كوننا لجنة هنا تحدد من الذي سننتخبه.. قال : كل شخص يأتي لنا يقول نحن سنعمل كذا وكذا ثم لا يفعل شيئًا، الذي سيفعل لنا شيئًا مقدماً هو الذي سننتخبه. كان معنا مدير بنك تجاري وأخو كمال عبد النبي الذي كان سفيراً لمصر في فرنسا.

ذهبت للمقاهي وأول شيء قلته – أنا لن أفعل لكم شيئًا لأن نائب مجلس الأمة هو نائب عن الشعب وليس عن دائرة، ولن تحل مشاكلكم على حساب أي مكان اخر، نحن دورنا أن ندرس مشاكلنا فعلاً ونقدمها، وما يمكن عمله فعلاً نفعله وما يمكن للدولة أن تفعله– إنما من خلال الأوضاع والخطة العامة– أي كنت أفهمهم ماذا يعني دورنا في مجلس الأمة. فوقف رجل وقال والله والله والله، الذي يقول لن أفعل لكم شيئًا هو الذي سيفعل لنا كل شيء. وأمسك يدي بقوة وقال هذا هو مرشحنا، الذي جاء راكبًا الاوتوبيس، الذي يقول لن أفعل. خرجت من منية سمنود هذه وصوتي مبحوح لكن معي كل البلد. وهي من أكبر البلاد الموجوده في الدائرة. ذهبت لمركز أجا لأخطب في مسجد ولكن البعض احتكوا بي والناس انقسمت قسمين ناس معي وناس ضدي. وجدت الأولاد في مدارس ثانوي قرروا القيام بمظاهره من أجلي. وطلبوني

وكل الشعارات كانت ضد الاستعمار وأسلوب جديد تماما اتصلوا بى من أجا - المركز الذى به المدارس - وقالوا الطلبة سيخرجون بمظاهرة من أجلك وتعال اليوم. وفى اليوم صدر القرار أن الذين سبق اعتقالهم يرفع اسمهم من الترشيح للانتخابات .

فقامت مظاهرات فى البلد. بعد ذلك رفع اسمى فعلاً. فى هذا الوقت كان محمد كامل البندارى باشا مرشحًا فى الاسكندرية وكانت عيادتى فى باكوس - وفيها حديقة- جعلناها مركزًا للانتخابات. وكان أيامها راديو لندن وصوت أفريقيا يقولون عنه الباشا الأحمر كنوع من الابتزاز. وكان فى العيادة يثقف الناس بالاشتراكية وتجربته فى الاتحاد السوفيتى. لأنه كان سفيراً وهو كان أصلا وكيل الديوان الملكى وباشا فذهب بهذا التكوين صادقًا فآمن بالاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى. وعاد داعية للاشتراكية. كان يكتب فى «الملايين» وكانت محاضراته أعظم محاضرات فى الاشتراكية قيلت فى هذه الأيام فى فترة الانتخابات.

وبالنسبة لوضعى التنظيمى. كنت عضو لجنة منطقة الاسكندرية وكنت مسئول حركة السلام فى تنظيم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

الحركة الديمقراطية كان لها خط جماهيرى أساسى متماسك، موجود فى صحفها (الجماهير) و(الملايين) و(الكاتب) التى كنا نوزعها فى كل مكان. وكتيار كان هو الغالب جماهيريا. لدرجة أن الزملاء فى «الراية» عندما بدأوا يظهرون .. الحزب الشيوعى المصرى .. بدأوا يرسلون بطريقتهم المغلقة منشورات للناس الظاهرين فى الحركة السياسية وكان من بينهم بعض أساتذة كلية الطب. وكان أولئك الاساتذة يقولون أكيد المباحث هى التى ترسل ذلك.

طبعا الخط الجماهيرى للحركة الديمقراطية كان خطًا عارمًا بالفعل. وبالنسبة لموضوع الانقسامات والاتفاقات فلم تكن هذه المسألة واضحة فى الاسكندرية، وقد ظللت فى الحركة الديمقراطية حتى تمت الوحدة فى ١٩٥٨.

كنا بشكل عام فى الاسكندرية أعضاء فى الحركة الديمقراطية أساسًا. ثانيًا : لم ننخرط كأفراد فى أى انقسامات. وقد كانت نضالاتنا وحركتنا كثيرة، حتى أن ذاكرتى لاتذكر أية تفاصيل للمناورات والانقسامات لقد كنت فى الحركة الديمقراطية وظللت كذلك، حتى الحزب الموحد الذى انضممت له إلى أن اعتقلت فى ١٩٥٩. وأنا استمريت فى الحركة الديمقراطية حتى حل الحزب وذهاب كل واحد إلى حاله، وذلك الحل يسأل بخصوصه المسئولون عنه.

منذ عام ١٩٥٢ كان التاريخ تاريخ نضال وطني عام تمسكه الثورة بيدها وتقوده هي، وكنا نحن وسط الناس نقوم بعمل ودعاية، كان لنا وجود لكن لا أتذكر أنه كانت هناك معارك أساسية. في سنة ١٩٥٦ المقاومة أساساً كانت في القناة. وكنا منخرطين كيسار في الأشكال التي تؤسسها الدولة من تدريبات عسكرية و.. وانضممت للجنة المقاومة الشعبية. ومعي كارنيه.

وبمناسبة الكارنيهات، في الأربعينيات ظهر مرض الكوليرا. الحركة الديمقراطية شكلت لجاناً للكوليرا ... هذه اللجان كانت لجان توعية وتنظيم لأخذ المصل ووصلنا لتنظيم الناس في شكل لجان انضباط وعملنا لهم كارنيهات. وجمعنا أناساً كثيرين. ومرة طلبت - المحافظة أو الجهات البلدية - الكارنيهات ليختموها.. فأخذوا كل الناس وأخافوهم منا رغم أننا جمعنا كثيرين في حملة الكوليرا. كان هذا جزءاً من كفاح الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني.

بعد ذلك حدثت مشاكل مع الثورة، وكذلك وقعت مشاكل داخل الحزب حتى اعتقالات أول يناير ١٩٥٩. اعتقلت في الدفعة الأولى وكانت هناك قضيتان. قضية لمجموعة الحركة الديمقراطية وقضية لمجموعة الذين قالوا نحن الحزب. في القضية كانت هناك مضبوطات وتحقيقات، وأنا لم أقدم في قضية، بعد التحقيقات وأرسلنا لمعتقل القلعة، ثم من القلعة للواحات الخارجة، وظل المعتقلون هناك خمس سنوات، وخلقنا حياة هناك. أقمنا مزرعة ممتازة، وملعب سلة وحمام سباحة وبنينا مسرحاً ومدرجات وكنا نمثل أعمالاً لصلاح حافظ والفريد فرج - حلاق بغداد تم تأليفها وتمثيلها مثلاً في المعتقل -وصلاح حافظ ألف مسرحية. طبعاً كانت حياة عارمة في قلب المعتقل.

لكن أتذكر شيئين في المعتقل. فجأة وصل المعتقل من يدعى اسماعيل همت. كان وكيل مصلحة السجون. وكان لديه فرقة اسمها فرقة همت. وكان رأيه أن المعتقلين يقيمون تآلفاً مع الناس في المعتقلات البعيدة. وكان ضد هذا. وجدنا همت وفرقته وصلت المعتقل. لم نتصور أبداً أن فيها خيراً.

بعد ذلك وجدناهم يستدعون ثلاثة أو أربعة فيخرجون ثم نسمع أصوات استغاثة غير آدمية، ناس يكسرون ويموتون وصيحات وصمت رهيب. ما الذي يحدث؟ لا نعرف.

يومها تفلسفت. قلت إما هؤلاء الناس يخرجون فيقتلوهم مثلاً أو سيموتون، إذا لم تمت أكيد ستتذكر هذا اليوم ويمكن تجد أشياء نضحك عليها حدثت. إذا متنا فلا داعي للحزن في الفترة التي سنكملها هنا. فكره غريبة!!

كانوا يأخذون المعتقلين بين صفين من ناس يمسكون شومًا وعصى، ينهالون عليهم بالضرب، إلى أن يقعوا فى مكان معين، يجردونهم من ملابسهم المدنية كلها ويعطونهم ملابس السجن، بدون أحذية ويقصون شعورهم، وينقلون للعنبر الآخر تحت السياط والشوم أيضاً.

يومها كان هناك ضابط .. وكيل السجن - اسمه عبد العال - شعرنا بالذى يحدث. قلت له: ياعبد العال بك الناس الموجودون هنا مرضى، طبعًا كنّا نقيم علاقات بالضباط ونعالج أهلهم. وكان هناك ضابط زميل اسمه محمود المانستيرلى وابن عمه ابراهيم وكم شخصاً أخذهم عبد العال من يدهم وأنا معهم. مررنا من هذه الحكاية لكن خلعنا ملابسنا.

فى هذا اليوم جبست أكثر من زميل كان فخرى لبيب من بينهم.

انتهى اليوم وظللنا نضحك على ما حدث. وفى اليوم التالى فى الصباح وقفنا طابوراً وعدونا على أساس أنه لأول مره سنخرج خارج الأسوار. وطلب من الضابط عبد العال أن يوقع باستلامنا لكنه رفض أن يوقع وخرجنا خارج السجن لأول مرة فى طابور وحولنا العساكر.

خرجنا خارج السجن بملابس السجن وبدون أحذية. خرجنا للصحراء وقالوا سوف تستصلحون الأرض. بدأنا نجمع الرمال من مكان ونضعها فى مكان آخر. والعساكر يضربون وذلك فى وجود اسماعيل همت الذى وقف على رأس القوة القاتلة لشهدى عطية.

فكرت وماذا بعد؟ أخذت قراراً شخصياً أن أناقش اسماعيل همت وكان شكل النازى. قلت ماذا سيحدث؟ إما يقتلنى أو يحدث أى شئ. قلت له: نحن معتقلون منذ كذا وداخل المعتقل. بالنسبة للخروج والعمل لسنا ضد ذلك. ياريت نستصلح هذا المكان. إنما الذى يحدث هذا ليس استصلاحاً هذه سخرة.. ناس تحمل رمال وتلقيها وتضرب. فرد على وقال لى : عندى أوامر ألبسكم ملابس سجن وأشغلكم. وهذه طريقتى فى تنفيذ الأوامر. عندما أدخل بيتنا، أولادى يقفون صفًا بجوار الحائط. هذا أسلوبى وأربى أولادى هكذا.

الناس لم تفهم ما الذى حدث ووجدونى أتكلم مع الرجل، فبدأوا يتكلمون واشتركوا فى الكلام. هو يقول أنتم الشيوعيون لديكم ناس أغنياء. بدأ يتكلم فى السياسة بطريقة عبيطة طبعًا. وبدا بعض الهدوء فى النقاش. الناس يقفون حول اسماعيل همت يتكلمون. فبدأت العساكر تنتظر وتهدأ ومر هذا اليوم بخير.

بعد ذلك خرجنا بعد أن غادرنا، وبدأنا نستصلح ونزرع فعلا ونأكل من زرعنا. كان هذا

يوماً خاصاً جداً.

يوم خاص آخر. كان عندنا مأمور اسمه فريد شنيشن، هذا المأمور كان جسمه ضخمًا وكان يحكيّ عن الذى يفعله ويقهقه. ويقول : وضعته على العروسة وكان دمه ينزف وهاها.. ثم كان يقوم بحملات كثيرة ويكسر و..

فى ليلة وجدنا المعتقل يفتح ويستدعوننى أنا وصلاح حافظ. كنا أحيانًا نعالج الشاويشية ونعالج الضباط . دخلنا فيلا المأمور . كان لديه ولدان ثلاث سنوات وأربع سنوات. كان لديه أقراص درن لونها جميل اسمها (سيتا زيل) الأولاد تناولوها، وكانوا يحتضرون، سهرت أنا وصلاح حافظ وصارعنا موت الأولاد، والمعتقل كله استيقظ. لم يمت الولدان وأنقذا، أعطينا لهما منبهات وغسيل معدة.

فريد شنيشن بعدها تحول إلى إنسان يحكي ويبكي. كل القشرة الفظيعة هذه نزعت وظهر الانسان داخله. مثلا يوم انفصال سوريا، عقدنا مؤتمراً ووجد أننا ناساً وطنيين، فكان يبكى تأثراً بموقفنا وأنهى سنته وصمم أن يعود سنة أخرى ليعطينا شيئًا كإنسان. كان محمود السعدنى يقول لو قابلنى فى الخارج وأنا لا معتقل ولا شئ وهو لامأمور ولاشئ سيضربنى أيضًا.. تحول .. كيف يتحول المرء لإنسان؟ وكانت له علاقة مع الناس فى الخارج. هو مات، وكان على صداقة كبيرة بزملاء.

ايضًا كان زميلنا اسماعيل عبد الحكم مريضًا بالصفراء وهبوط فى الكبد حاد جداً. وهذه الحالات تموت. ما بين الإصابة والغيبوبة فتره قصيرة جداً. غيبوبة كبد. أيضًا صارعنا ضد الموت صراعًا رهيبًا جداً. إلى أن تقرر نقله إلى القاهرة فى طائرة. أخذونى معه فى الطائرة. ووصلنا لمستشفى القصر العينى.

خرجنا من المعتقل سنة ١٩٦٤ وكانت العلاقات المصرية السوفيتية تتحسن. وناس دخلت التنظيم الطليعى و.. ولم أنضم له. وطبعًا تم حل الحزب وانخرطنا فى أشكال الاتحاد الاشتراكى، ودخلت انتخابات الاتحاد الاشتراكى.

شهادة

شحاتة عبد الحليم

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : شحاتة عبد الحليم

محل وتاريخ الميلاد : محافظة البحيرة مركز كفر الدوار - ٩ مايو سنة ١٩٢٦

المـــــؤهـــــلات : الظروف العائلية لم تكن تسمح باستمرار الدراسة.

المـــــهـــــنـــــة : عملت في بعض الأعمال الحرة وأنا صغير وفي الإجازات المدرسية لأساعد الأسرة، ثم في إدارة النقل العام محصلاً من سنة ١٩٤٤ حتى سنة ١٩٤٧ حيث فصلت .

فترة السجن والاعتقال : اعتقلت سنة ١٩٤٨ حتى ٢١ فبراير ١٩٥٠، ثم من منتصف مارس سنة ١٩٥٢ حتى ٣٠ يوليو ١٩٥٢، ثم من ١٨ نوفمبر ١٩٥٢ حتى ابريل ١٩٥٦، ثم من يناير سنة ١٩٥٩ حتى إبريل سنة ١٩٦٤.

بيانات عائلية :(١)

والدي مزارع كان يملك قطعة أرض لما بددها إستأجر غيرها ثم ترك الزراعة وعمل في هيئة النقل العام محصلاً ثم أحيل على المعاش.

فصلت سنة ١٩٤٧ كما ذكرت بسبب توزيع منشور ضد صدقي لمصادرته مجلة الجماهير.

كيف تعرفت على الفكر الماركسي :

أثناء عملي بالترام كنت أتحدث عن مشاكل العمال، وكنت أميل إلى يسار الوفد ممثلا في «صوت الأمة» وكتابات مندور وعادل فهمي والطليعة الوفدية وبعض شعارات مصر الفتاة عن الاشتراكية والعدالة رغم أنهم ليسوا كذلك. وكان يركب معنا الترام من سيدي جابر طالب بكلية التجارة اسمه إيهاب الجزيري لفتُ نظره وكان على علاقة كبيرة بعمال الترام. ناقشني وجندني. وقتها كان هناك «إسكرا» والحركة المصرية ثم اتحدتا وكونتا «حدتو» الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني. وعندما فتح إيهاب مكتبًا في المنشيه أخذني معه وكنا نوزع الجماهير في باكوس ومنطقة الرمل. وحين صودرت الجماهير وأثناء توزيعي لمنشور ضد صدقي بهذا الخصوص على قهوة السور كان هناك ضابط مباحث أمسك بي وكان معي رزمة

---

* أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب عضو لجنة التوثيق

تخلصت منها لكن كان معه نسخة، فى النيابة قلت إن المنشور وزع علىّ وأنا فى القهوة علنا فافرجت عنى النيابة. إتصلت المباحث بالهيئة وكانت الأولى مهيمنة على الأمور وتم فصلى فعملت فى بعض الحرف إلى أن اعتقلت سنة ١٩٤٨، كانت أغلبية المعتقلين من تنظيم حدتو، حدث إنقسام عبد المعبود الجبيلى «التكتل الثورى» بعد ذلك وكان أغلبهم من المثقفين وأساتذه الجامعة. كان وعينا محدوداً وعلاقاتنا بهم طيبة فكان طبيعيًا أن نكون معهم فأصبحت مع «العمالية الثورية». تحركنا بعد خروجنا من المعتقل على هذا الاساس، ثم بدأ أغلب هؤلاء المثقفين يبحثون عن مصالحهم واستكمال دراساتهم للحصول على الدكتوراه، وقدمت لهم حكومة الوفد تسهيلات واغراءات فى هذا السبيل، سافر عبد المعبود الجبيلى وعبد العظيم أنيس وعبد المنعم خريوش وحسين كمال الدين لانجلترا وفرنسا فضعف التنظيم. عقدنا مؤتمراً موسعًا بالقاهرة حضره عبد المعبود الجبيلى وأحمد الرفاعى وأنا وعدلى جرجس وأحمد خضر وسيد عبد الوهاب ندا وأخرون، وساد الاجتماع جو من السخط وعدم الاستعداد فى الاستمرارية. كان أبرز من حضر الاجتماع عدلى جرجس، وعقب الاجتماع حرص عبد المعبود على أن نسير سويا وأخبرنى أن ظروفه العائلية صعبة وأن الاعتقال أثر على والدته وأنه سيسافر للحصول على الدكتوراه، فأجبته بأن أحداً لا يرغمه على شئ هو غير مستعد له، فقط كان يجب أن يصارح الزملاء بهذا الكلام. سافر وقابلته بعد ذلك وهو وزير الله يرحمه.

ظهرت فكرة «النجم الاحمر» لعدلى جرجس، كنت أنا وعبد المنعم شتله وأحمد خضر وسيد عبد الوهاب ندا نفكر فى نفس الاتجاه، أسسنا «النجم الأحمر» وأصدرنا نشرة داخلية توزع على الزملاء والناس باسم «النجم الأحمر» وبعض النشرات. وبرغم فصلى من هيئة النقل العام، استمرت صلتى بعمال الهيئة دفاعا عن مصالحهم وعملنا لقاءات سياسية فى حدود الممكن ووزعنا، منشورات وكتبنا على الجدران، وشاركنا فى المظاهرات وفى اللجان الشعبية لمساندة الأعمال الفدائية فى القناة. وصل عبد المقصود أبو زيد وهو عامل من تنظيم العمال والفلاحين وتعرف بى وكذلك محمد بدر الله يرحمه، وتعاونا فى لجان أنصار السلام. حدث تنسيق بين العمال والفلاحين والنجم الأحمر إلى أن حدث حريق القاهرة فهربت شهراً بعده اعتقلت فى معتقل النزهة. بعد يناير سنة ١٩٥٢ جرت مناقشات بين الزملاء فى حدتو والمعتقلين، كانت مناقشات ناضجة وموضوعية ومنطقية درستها من خلال الوقائع التى عشتها واتفقت معهم على العودة إلى حدتو. رحلنا إلى الهاكستيب وفى ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٢ أفرج عن عدد ضخم من الزملاء لم أكن منهم ولا فؤاد منير ولاجمال غالى وبعض الزملاء.

حضرت إلى المعتقل لجنة للنظر فى أوضاع المعتقلين من فتحى رضوان وسيزا نبراوى ويوسف حلمى الذى كان معتقلا، وقدمت طلبا. قلت لفتحى رضوان كل زملائى من الإسكندرية خرجو إلا أنا. قال ما اسمك؟ قلت شحاتة عبد الحليم، أكمل هو: محمد .. وستخرج بعد يوم أو يومين. وخرجت أنا وجمال غالى يومها من الهاكستيب.

كان موقف حدتو من ثوره سنة ١٩٥٢ هو التأييد، وكان أحمد حمروش يلعب دور الاتصال بين الاسكندرية وقيادة الثورة. تعرفنا على عاطف نصار وعبد الحليم الأعصر شقيق زميلنا عبد المحسن الأعصر، وهو إنسان جيد ونظيف وشريف وكان مندوب قيادة الثورة فى الاسكندرية، وكان يتصل بنا وبهم عبد المنعم الغزالى مسئول الاسكندرية فى ذلك الوقت.

كان كثير من الشركات ليس بها نقابات عمالية، اسمها الآن لجان نقابية، مثل سباهى والعربية وكتان الشرق والطويل والحرير الصناعى. وقلنا مادمنا نؤيد الثوره فلتساعدنا فى تحقيق مطالب العمال. شكلنا لجانًا تحضيرية ونقابات بمساعدة كل الزملاء، عملنا زيارات للشركات وقابلنا العمال ومعنا رجال الثورة. عاد العمال المفصولون وكذلك المفصولون من النقل العام وعرض على العودة، لكن الزملاء رفضوا لأظل متفرغًا، كانت حركتنا فى الإسكندرية أكبر من أى محافظة أخرى، كونا لجنة تحضيرية لاتحاد العمال فى الإسكندرية ولجنة فرعية للجنة القاهرة، وكنا على صله بأحمد طه وبالزملاء فى القاهرة. حاول البوليس السياسى منع عقد اجتماع موسع فى النقابة المهنية للسائقين فاتصلنا بعبد الحليم الأعصر فقال : اعقدوا الاجتماع. وتم الاجتماع تحت حماية قوات الجيش وحضر الاجتماع أحمد طه.

أحداث كفر الدوار :

رغم تأييد كل الناس للجيش كنا كلنا مع مطالب العمال ومشاكلهم. إتجه وفد منا إلى كفر الدوار أنا وعبد المنعم الغزالى وصابر زايد وزملاء لا أذكرهم، نظمنا لقاءات مع مجاميع من العمال فى المساكن العمالية بعد الإضراب، وأثناء المحاكمة عرفنا أن العمال خرجوا لتأييد الثورة والمطالبة بمطالبهم من الشركة فى مسيرة سليمة. عرفنا أن أناسًا ليسوا من الشركة وأشخاصًا مأجورين دخلوا المسيرة وأشعلوا الحرائق فى بعض العربات، وعرفنا أن الشركة لها دور فى هذا الموضوع لتضرب العمال بالجيش. اتصلنا بعاطف نصار وعبد الحليم الأعصر وشرحنا لهما الحقيقة فتبنيا موقفنا وحاولا تصحيح الوضع لكن يبدو أنه كان هناك إصرار على عمل شئ. وحدث ما حدث. استنكرنا الوضع وحدتو استنكرت الوضع فى منشور

ضد المحاكمة على أنها ليست عادلة وأيضاً بعد انتهاء المحاكمة وتنفيذ الحكم .
قيل إننى وعبد المنعم الغزالى ركبنا سيارة كانت تطوف بكفر الدوار وتدعو العمال إلى التهدئة وهذا لم يحدث نهائيًا. كنا نمر على العمال بأقدامنا لنوضح لهم الحقيقة.

لقد وصلنا إلى كفر الدوار بعد القبض على خميس ولم ندع العمال للهدوء لأن العمال كانوا قد هدأوا بالفعل وفى بيوتهم وأوقف العمل والمصنع مغلق ويشهد بذلك عبد الحليم الأعصر.

ولقد أدانت الحركة الديمقراطية الذى حدث فى كفر الدوار. وأعلنا حقيقة الاحداث بدليل اعتقالنا أنا ومجموعة من الزملاء من الإسكندرية ومن القاهرة فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٥٢ أى بعد أحداث كفر الدوار وأرسلنا إلى السجن الحربى بعد مكوثنا يومين فى سجن الأجانب بالعطارين وأقمنا بالسجن الحربى حتى ١٧ يناير سنة ١٩٥٣. لم يكن هناك تعذيب، لكن زنانزين انفرادية ونأكل أكل السجن، ثم رحلنا إلى معتقل الزيتون حيث تجمع كل المعتقلين من جميع المحافظات لمدة ليلة واحدة ثم إلى معتقل الطور. كان المكان أفضل بعض الشئ عن سنة ١٩٤٩، نزلنا فى الدرجة الأولى التى ينزل فيها الحجاج، غرف نظيفه ومطبخ مجهز وكان معنا من الوفد عطية الألفى تاجر الموز المشهور وعباس حليم لذلك وضعونا فى هذا المكان. أقمنا حتى أوائل سنة ١٩٥٤ ثم رحلونا على جميع سجون الوجه القبلى: بنى سويف والمنيا وأسيوط وقنا، وإلى بنى سويف ذهبت أنا ولطفى الخولى وعبد المحسن حمودة ومجموعة من الزملاء من الاسكندرية والقاهرة، نظمنا اعتصاماً فى سجن بنى سويف، أجروا تحقيقًا معنا. حضر مدير مصلحة السجون فواجهناه بشدة، وأنا بالذات كنت فى اللجنة العامة للمعتقل، وأجريت معه مناقشة حادة بعدها، كان معنا إبراهيم عبد الحليم. اختاروا مجموعة من البارزين ورحلونا إلى سجن قنا والبعض للمنيا وأسيوط. فى سجن قنا كنا فى زنانزين انفرادية نأكل طعاماً مدنيًا بالاتفاق مع المتعهد، وكان جمال عبد الناصر قد أطلق تصريحًا يقول فيه أنه ليس لديه معتقلون سياسيون إنما عملاء لدولة أجنبية. يوسف حلمى بشجاعة أرسل تلغرافًا لجمال عبد الناصر، لا أعرف كيف وصل إليه قال فيه: نحن فعلا عملاء، لكن لمصر وهى بالنسبة لك دولة أجنبية. فرحلوه من الزيتون إلى قنا وحده. وحدثت ضجة كبيره فى العالم فأعادوه إلى الزيتون مرة أخرى، بعد فترة أعادوا تجميع كل المعتقلين فى أوردى ليمان أبو زعبل. وفى سنة ١٩٥٥ طلب رجال الثورة من يوسف ادريس وابراهيم عبد الحليم وفتحى خليل السفر إلى السودان ليقنعوا السودان بعدم الاستقلال والانفصال عن مصر لكنهم

اشترطوا الإفراج عن جميع المعتقلين. رفضت الحكومة وقالوا لو أفرجنا عن هؤلاء لن نستطيع جمعهم مرة ثانية. أرسل عبد الناصر للسودان زكريا محيي الدين وكان وزيراً للداخلية. اشتد الصراع بين الحكومة وبين بريطانيا وأمريكا حول التسليح وكان يتم التحضير لباندونج. أعلن دستور ١٩٥٦ وانتخب رئيس الجمهورية وخرجنا من المعتقل في يونيو سنة ١٩٥٦ وحضرنا الاحتفال في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ بتأميم قناة السويس في المنشيه

بدأت تغيرات وتحولات، كنا نعمل في حرية أكثر بين العمال ونصدر منشورات في اتجاه المصالح العليا للوطن والشعب، اتصلنا بالقوى الديمقراطية وبالنقابيين الذين لعبنا دوراً في تكوين نقاباتهم. عندما بدأت انتخابات سنة ١٩٥٧ اتصلنا بمجموعة من العناصر المستقلة وبعض الضباط وبعض المعادين للسلطة لينزلوا في مواجهة العناصر الغير جيدة، رشحنا عبد الحليم الأعصر في الجمرك وآخر في كرموز أو راغب أو في باب شرق وكامل البنداري في باكوس والرمل وأنا في المنتزه. وكان لنا برنامج مشترك، تحركنا كثيراً بين الجماهير واستخدمنا عيادة الدكتور حمزه البسيوني مركزاً لنشاطنا. فوجئنا بغلق بعض الدوائر وبالذات الدوائر التي نحن فيها، أغلقوها على ناس معينين، كتبوا تقريرا يقول أن في الاسكندرية مئات من الشيوعيين، والحقيقة أن العدد لم يكن كذلك إنما النشاط كان واسعاً جداً.

اختلفنا مع الثورة حول الوحدة المصرية السورية، كنا نطالب بوحده ديمقراطية فيدرالية وليست اندماجية، وكانوا يريدون حل الحزب الشيوعي في سوريا لو تمت الوحدة. نشطنا في اتجاه للديمقراطية وعملنا اجتماعات ومنشورات كنا نطبعها عند ولد جريئ أتمنى مقابلته الآن. ثم تمت سنة ١٩٥٨ بين التنظيمات الثلاثة وحدة شاملة، الحزب الشيوعي المصري، ظهرت خلافات بين المصري والعمال والفلاحين من جانب وحدتو من جانب، وبدأت اتصالات تتم على أساس أن الجانب الأول يجهز للاستيلاء على الحزب وطرد زملاء حدتو، وبدأت حدتو تجمع نفسها. في الاسكندرية كانت الأغلبية ضد-موقف حدتو وأنا منهم، كان زملاء حدتو يخرجون على أساس أن الآخرين يتآمرون عليهم، وكانت الأغلبية تقول بالبقاء وكشفت هذه الاشياء أن حب الوحدة متأصل في الناس وكنت من هؤلاء وزملاء آخرون.

وفي ليلة رأس سنة ١٩٥٩ اعتقلنا ورحلونا إلى سجن القلعة ثم سجن مصر وكانت القضية الأولى تنظيم شيوعي : ٦٤ زميلاً، أنا وفؤاد مرسي ود.اسماعيل صبري ونبيل الهلالي والمستكاوي ومحمود العالم وعوض الباز وحلمي يس ويوسف درويش وريمون دويك وآخرون،

حوكمنا فى اسكندرية أمام محكمة عسكرية وصدرت الاحكام وأنا أخذت ٣ سنين.

فى المحاكمة لم أقدم دفاعًا سياسيًا، قدمت دورى فى الحركة النقابية والحركة الجماهيرية والوطنية ضد الاستعمار ومع الحرية. أغلب المحاكمين لم يقدموا دفوعًا سياسية وكانت الأدوار مقسمة، كان على اعتراف من شخص كان يعمل معنا وهو مهندس اسمه حسنى ويصا. اعترف على فؤاد مرسى وكثير من الزملاء ثم تراجع بعد ذلك. تم ترحيلنا إلى أوردى ليمان أبو زعبل. كنا أول دفعة دخلت الأوردى. أخذنا علقة قوية على ضوئها تبينا جو الحبسة. تشكلت لجنة عامة للاتصال بالادارة يشترط فيها القوة والصلابة، وكنت أنا وشبل اسماعيل منها، وكان مناضلاً قويا الله يرحمه، انضم فى النهاية بعد خروجنا لحزب الحكومة وأصبح رئيسًا للمجلس الشعبى في بنى سويف ليتمكن من خدمة بلده، هكذا قال لى وقام بأعمال عظيمة فى خدمة بنى سويف.

تعرضت اللجنة العامة لتعذيب أشد وتحملنا مالا يتحمله بشر ومع ذلك كنا نساعد الزملاء مثل لويس عوض فى تكسير الزلط وفى حمل الزملاء المكسورين. أخذنا قرار بألا نهتف بحياة عبد الناصر، الصفوف الأولى تهتف بحياة مصر. استدعانى الضابط عبد اللطيف رشدى كى أكسر الزلط الكبير انتقامًا منى. أذكر أن سعد الساعى وأمين هشام اسماعيل وكل الزملاء الأقوياء كانوا يساعدون الزملاء الضعفاء. وأذكر مواقف قوية وصلبة للمرحوم سعد الساعى ولعريان نصيف. مدير مصلحة السجون شكك فى وطنيتنا وتصدى له سعد الساعى، استمر التعذيب والضرب وتحملنا حتى أن أعداءنا بدأوا يحسبون لنا ألف حساب ويحسدوننا على صلابتنا.

حدث قتل شهدى عطية وحدثت ضجة فى الخارج من أجله وأجلنا، ووجه عبد الناصر فى البرلمان اليونانى واليوغسلافى فأرسل كما علمنا فيها بعد أمرًا بإيقاف التعذيب.

عندما عرفنا الحقائق الخاصة بما حدث فى اجتماعات اللجنة المركزية واتفاق المصرى مع العمال والفلاحين ضد حدتو ليتخلصوا من كمال عبد الحليم عن طريق التآمر وأعتراف البعض من خلال خلافات الراية مع العمال والفلاحين عدنا إلى الحزب الشيوعى المصرى (حدتو).

صدرت قرارات التأميم وانفصلت سوريا فى سبتمبر سنة ١٩٦١ وتحدث عبد الناصر عن مجموعة اشتراكية تضم كل الاشتراكيين. وبدأت تحليلات وأوضاع جديدة واتصالات تتم بين الداخل والخارج من السياسيين، تقريبًا عن طريق أحمد حمروش وكانت علاقته قوية بعبد

الناصر.

ظهرت فى الداخل فكرة المجموعة الاشتراكية، وكانت حدتو أكثر حماسا لها، وهذا يتسق مع تأييدهم للثوره ووجود خالد محيى الدين ويوسف صديق ومجموعة ضباط لعبوا دوراً أساسيًا فى نجاح الثورة وفى برنامج الثورة، ولأن حدتو كانت أقرب التنظيمات من المطبخ السياسى للثورة ولا ننسى تصفية الإقطاع والتأميم وضرب المصالح الأجنبية .. كل ذلك أدى إلى لقاء سياسى بين السلطة وحدتو فى الأساس.

بدأت تحليلات سياسية داخل المعتقل. أصحاب تحليل الاحتكار، وشبه احتكار السلطة (فوزى منصور وفؤاد مرسى) تراجعوا عنها بعد ذلك وكانت تحليلات حدتو أكثر وضوحًا مستندين لحقائق ووقائع موجودة. جاء خروشوف مصر وقال لا يمكن توجد اشتراكية والشيوعيون معتقلون، كانت المباحث تهاجم الناس الضعفاء، من يكتب استنكاراً تفرج عنه، أما الأقوياء فكانوا يتكلمون معهم باحترام. وفى اسكندرية قلنا لهم أنتم كلاب سلطة، أى سلطة، وفى أيام الملك كنتم كذلك.

- أفرج عنى فى ابريل ١٩٦٤ وعقدنا اجتماعات استمراراً لمناقشات حدثت بالداخل حول المجموعة الاشتراكية وأنه معروض على شيوعيين أن يدخلوا تنظيم الاتحاد الاشتراكى مع مجموعة منتقاة من رجال الثورة، ليس كل الناس بشرط عدم وجود تنظيمات أخرى.

عقد مؤتمر وحضرته، كان فى بيت المرحوم يوسف صديق، ودارت المناقشات حول هذا المفهوم، وقد حضر ذلك المؤتمر أكثر من ستين أو سبعين زميلاً.

دارت مناقشات حول أن عبد الناصر يرى ضروره حل جميع التنظيمات والدخول فى تنظيم واحد هو قائده وزعيمه.

أخذنا قراراً بأننا لا نحل أنفسنا، التنظيم لا يحل وتكون علاقتنا واتصالاتنا مستمرة، لكن ليس على أساس تنظيم مواز للتنظيم الآخر، وطلب منا أن نفوض شخصًا يأخذ القرار النهائى، ففوض كمال عبد الحليم الذى قال إنه ينهى الوضع المستقل، إذن ستحل نفسك!! لكن ينبغى أن نكون على اتصالات ولو حدث تراجع منهم ممكن نعيد النظر، فى هذا الاجتماع وقف اثنان من حدتو ضد هذا القرار، هما المرحوم محمد عباس وطاهر البدرى وأعلنا موقفهما ولكن قالا نحن معكم ونستمر فى اتصالاتنا.

عندما عدت إلى الاسكندرية حافظنا على روابطنا، صابر زايد ومحمد يونس وسيد

البسيوني وسعد الساعي وأحمد مصطفى. كنا نعقد لقاءات منظمة حتى نرى ما الذي سيحدث. كنا قيادة اسكندرية لكن لا نكون تنظيماً، فقط نحافظ على العلاقات.

المستويات التنظيمية التي مررت بها داخل التنظيم:

كنت عضواً عادياً ثم عضو لجنة قيادة اسكندرية حتى النهاية، وفي فترة كنت مسئولاً عن الاسكندرية، وعندما تأسس الحزب الشيوعي المتحد كان المرحوم سعد رحمي مسئولاً عن اسكندرية وأقام فيها.

أحترفت من ١٩٥٢ حتى دخلت المعتقل سنة ١٩٥٩ وكان في الاسكندرية محترف آخر هو سعد رحمي وبعد خروجي ١٩٦٥ وفر لي عبد الحليم الأعصر مقابلة مع حمدى عاشور وكان رئيس مجلس إدارة هيئة النقل، والذي رفض عملي في الحركة بالهيئة، حصلت مناقشة مع المستشار القانوني للهيئة والمدير العام وانتدبوني من محصل قديم وثبتوني موظفاً في الشئون القانونية..

وأود أن أذكر أنه قبل الاعتقال كانت لي علاقة بعمال النسيج، ولعبت دوراً في تكوين النقابات في الحرير الصناعي، الطويل، الشركة العربية، كتان الشرق، شركة الاسكندرية للنسيج. في الحرير الصناعي كانت علاقتي وثيقة بالعمال عن طريق واحد نشط هو أول رئيس للنقابة.

كانت علاقتي بكل الزملاء من كل التنظيمات طيبة وحتى الآن. من الراية د.حمزة البسوني وحسن المناويشي ومحسن ناصر، ومن العمال والفلاحين فتح الله محروس وقبله عبد المقصود أبو زيد، لم يكن انتمائي لحدتو يمنع هذه العلاقات الطيبة. الجميع عندي مناضلون شيوعيون، كنت أومن بوحدة الشيوعيين على أساس وثائق ومؤتمر : برنامج ولائحة ووحدة فكر وسياسة، كانت هذه وجهة نظري .

سبب انقسامية الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥:

السبب مواقف ذاتية أساسا، صراع على القيادة والبقاء بها بصرف النظر عن المبادئ والقيم والأخلاق باستثناء بعض الناس المحترمين.

سبب أزمة الحركة الشيوعية حتى عام ١٩٦٥:

نعم. مسألة الأزمة التى انتهت بانهاء وجودنا، أو حتى قبل إنهاء وجودنا، أننا لم نستطع فعلاً أن نتغلغل ونبنى قواعد حقيقية وسط العمال والفلاحين بحيث يكون هناك ضمان لوجود حزب وتيار اشتراكى وفكر اشتراكى فى وسط الطبقة العاملة والجماهير الشعبية، وتأتى هذه المشكلة من الانقسامات الموجوده والاتهامات المتبادلة بالبوليسية أو العمالة، كيف يثق الناس بالشيوعيين وهم مختلفون ولا يثق البعض فى البعض الآخر، بالإضافة إلى الذاتية المتغلغلة فى القيادات ، بالإضافة إلى عدة جهود متضافرة لضرب الحركة الشيوعية المصرية : الاستعمار ومخابراته ومباحث أمن الدولة والسلطة الموجودة واسرائيل. أنا لا أتهم كل اليهود بأنهم سيئون لكنى لا أرحب أن يكون فى القيادة أجنبى.

وهناك تكرار اعتقال الكوادر والذى لا يعطى فرصة لبناء قواعد، السلطة لم تعطنا الفرصة للتواجد بين الناس، مرض الانقسام موجود حتى الآن والمخابرات الأمريكية وصلت الاتحاد السوفيتى فما بالك بمصر والدول العربية، جميع الدول العربية حالتها سيئة وخاصة مصر فهى مستهدفة من العدو الخارجي نظراً لمكانتها.

وأود أن أشير إلى أنه لم تكن توجد ديمقراطية داخل التنظيمات ولم تكن تعقد مؤتمرات.

وفى الختام أتمنى أن تفيد هذه الشهادات الصريحة فى المساعدة على كتابة تاريخ الشيوعيين وأن نستفيد من تجارب الشعوب الأخرى.. الانقسامات فى إيطاليا وفرنسا وما جرى فى الاتحاد السوفيتى يؤثر فينا.

نحتاج إلى ناس عباقرة ومخلصين سواء كانوا على رأس الناس أم لا، يعملون متجردين. المصريون عانوا من الاضطهاد، من الظروف المعيشية الصعبة، ليت الناس تبحث وثائق وبرامج ولوائح وتقارير لتوضيح هذا الوضع ولكى تستفيد منه الإجيال القادمة.

شهادة

فؤاد مصطفى

البيانات الشخصية

الاســــــــــــم : فؤاد مصطفى ابراهيم حسنين.

محل وتاريخ الميلاد : ٣ نوفمبر ١٩٢٩/ الإسكندرية.

المـــــــؤهـــــلات : بكالوريوس العلوم الزراعية.

المـــــــهـــــــنـــــة : مهندس زراعى بوزارة الزراعة.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : عشرون عاماً.

فترة السجن والاعتقال : ٣ أيام سنة ١٩٥٠ حركة أنصار السلام (اعتقال)

٣ أيام سنة ١٩٥٤ (اعتقال)

خمس سنوات سنة١٩٥٩ (اعتقال)

١٦ يوماً سنة ١٩٨٨(اعتقال)

التعرف على الفكر الماركسي :

تعرفت على الفكر الماركسى بقراءاتى الفردية لبعض الكتب التى أصدرها عام ١٩٤٩ دكتور راشد البراوى : التفسير الاشتراكى للتاريخ، وبعض كتيبات منظمة حدتو عن طريق عضو سابق قديم هو المرحوم عادل صادق رجب.

المواقف السياسية قبل الانضمام إلى الحركة الشيوعية:

قبل الانضمام إلى التنظيمات كنت متعاطفًا مع الإخوان المسلمون، وكنت أحضر بعض ندواتهم بالإسكندرية فى مقرهم بباكوس.

التنظيمات التى ارتطبت بها :

ارتبطت بالحزب الشيوعى المصرى (الراية) ١٩٥٢ ثم بطليعة العمال عام ١٩٥٦.

الارتباط الأول عن طريق تعرفى على المرحوم محسن الأعسر.

وتم الارتباط الآخر عن طريق الزميل متولى مصطفى السلماوى.

مدى ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة :

الحزب الشيوعى المصرى (الراية) لم تكن له ارتباطات عمالية ذات شأن ولم يشارك فى أى معارك أو نضالات نقابية، أما تنظيم طليعة العمال فكانت له ارتباطات عمالية وكان يشارك فى بعض المعارك والنضالات النقابية والاقتصادية فقط.

دور التنظيم وسط الفلاحين :

لم ألاحظ أى دور للتنظيمين وسط الفلاحين.

المجلات والنشرات التنظيمية التى كان يصدرها التنظيم، والكتب والدراسات :

كان الحزب الشيوعى المصرى (الراية) يصدر جريدة «الراية» باللغة العربية وجريدة بالفرنسية تسمى «مصر المناضلة». أما الكتب والدراسات التى أصدرها تنظيم الراية فهى :

صراع الطبقات فى مصر - نحو فن وأدب جديدين - ثورتنا المقبلة.

أما دور كلا التنظيمين فى نشر الثقافة الماركسية فقد كان ضعيفاً للغاية ولم تحدث توعية كافية لأعضائهما وكان اهتمامهما ينصب على المعركة الوطنية ضد الاستعمار دون التوعية بالصراع الطبقى.

محاولات التنظيم لدراسة الواقع المصرى :

لم تكن هناك محاولات جادة ماركسية أو طبقية لدراسة الواقع المصرى فكانت كلها كتابات مكتبية صادرة عن مثقفين منعزلين عن حركة الشارع المصرى.

المستويات التنظيمية التى اشتركت فيها :

بالنسبة لتنظيم الراية كنت فى عام١٩٥٣ عضو لجنة منطقة الإسكندرية، وقد تم تصعيدى دون أن أكون قد مارست أى عمل جماهيرى بين صفوف العمال، وكان الاعتماد على أننى مثقف وقارئ دءوب للماركسية ولم أشعر أننى فعلت شيئاً له قيمة سياسية فى هذا المستوى.

موقف التنظيم من التنظيمات الأخرى :

كانت كافة التنظيمات لاتثق فى التنظيمات الخارجة عنها، وكان موقفى السياسى ملتزمًا برأى التنظيم لعدم خبرتى السياسية، ثم بدأ تغيير هذا الموقف وبدأ التنسيق مع كافة التنظيمات لتكوين حزب واحد وكنت ملتزمًا أيضًا برأى التنظيم.

الموقف من وحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨ :

كان التنظيم موافقًا على وحدة ٨ يناير وكنت ملتزمًا بهذا الموقف. أما موقفى بعد فترة فقد اعتبرت أن هذه الوحدة الشاملة هى مؤامرة مخططة من قبل السلطة الحاكمة حتى يتم وأد كافة التنظيمات كومة واحدة ودفنها للأبد.

الموقف من سلطة يولية :

كان موقف التنظيمين من سلطة يوليو: أنها مؤامرة أمريكية لإقامة فاشية عسكرية (الراية)، ودكتاتورية عسكرية (طليعة العمال). ثم تغير موقفهما بأنها سلطة وطنية منذ عام ١٩٥٥. أما موقفى وقتها وحتى الآن فلازال أنها دكتاتورية عسكرية أقامتها المخابرات الأمريكية لضرب الحركة السياسية للشارع المصرى. وسأوضح وجهة نظرى تفصيلاً بعد قليل.

الموقف من أحداث كفر الدوار عام ١٩٥٢ :

كان موقف التنظيمين من أحداث كفر الدوار أنها تأكيد لرأيهما السياسى بأنها فاشية أو دكتاتورية عسكرية لسحق الحركة العمالية وحركة الشارع المصرى المتصاعدة. وموقفى هو أنها كانت مذبحة بنشواى الجديدة ودليلاً على أن سلطة يوليو جاءت لضرب الحركة الشعبية والعمالية وقطع الطريق أمام أى نشاط سياسى أو نقابى.

الموقف من ضرب السلطة للاخوان عام ١٩٥٤، ومن مؤتمر باندونج وتاميم قناة السويس :

منذ عام ١٩٥٥ بدأ التنظيمان سياسة المهادنة للسلطة والتأييد الواضح لسياستها بالنسبة لضرب الإخوان، وبالنسبة لمؤتمر باندونج، وبالنسبة لصفقة الأسلحة التشيكية، وبالنسبة لتأميم

قناة السويس والعدوان الثلاثي وبالنسبة للأهداف العسكرية. وكان التأييد للسلطة شديداً وواضحًا أما المعارضة فكانت خافتة وعلى خجل. وذلك يوضح موقفي بأنها بدأت في طريق التسليم للسلطة ثم التخلي عن مواقفها المستقلة.

الموقف من قرارات تمصير الشركات والبنوك الأجنبية :

كان موقف التنظيمين هو تأييد قرارات تمصير الشركات والبنوك الأجنبية. أما موقفي فكان أن التمصير يتم لتثبيت وتدعيم رأسمالية الدولة البيروقراطية الدكتاتورية وإحكام قبضتها على حركة الشارع المصري، وهو الأسلوب المتبع في كافة دول العالم الثالث لقطع الطريق أمام نمو الحركة الشعبية الاشتراكية.

الموقف من وحدة مصر وسوريا :

عند إتمام الوحدة المصرية السورية كنت عضواً بحزب ٨ يناير وكان رأى التنظيم هو تأييد الوحدة مع المطالبة بإعطاء حريات سياسية حتى تكون الوحدة على أساس ديمقراطي، وكان التنظيم يؤيد وجهة نظر السلطة حول القومية العربية مع بعض الخلافات البسيطة وليست الجوهرية.

الصراعات السياسية والتنظيمية داخل السجون والمعتقلات :

كانت الصراعات السياسية والتنظيمية داخل المعتقلات والسجون صراعات غير مبدئية ولا طبقية تدور بين مثقفين بورجوازيين لا يؤمنون بالماركسية ولكن يؤمنون بالاشتراكية الطوبوية أو بالاشتراكية الديمقراطية (الإصلاحية).

وبناء عليه فليس هناك أي تراث نظري طبقي ثوري يمكن أن يقدم للأجيال الاشتراكية الوليدة.

وضع المنظمات الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، والانقسامية وحل المنظمات وأزمة الحركة :

لم تكن التنظيمات السابقة في مجملها سوى فرق نقابية أو وطنية برجوازية، ولهذا أعترض بشدة على عنوان هذه الدراسة فهي ليست دراسة عن الحركة الشيوعية المصرية بل عن الحركة

النقابية والوطنية فقط. وللتدليل على أن كافة التنظيمات السابقة لم تكن ماركسية بل كانت فرقًا ذات خط سياسى انتهازى أقول إنها اندثرت تماما وسلمت قواعدها المخلصة إلى السلطة الدكتاتورية. إن الصفة الأساسية للتنظيم الماركسى هى استمراريته حتى فى ظل الفاشية كما حدث فى ألمانيا وإيطاليا وكثير من الدول الدكتاتورية فى أمريكا اللاتينية التى ظلت أحزابها الشيوعية فى تواصلها واستمراريتها.

كانت تلك التنظيمات تتناول قضية الصراع الطبقى تناولاً برجوازيًا انتهازيًا، ولم تقم بتوعية وتثقيف قواعدها تثقيفًا ثوريًا حيث كانت أغلبية الأعضاء قليلى الاطلاع على النظرية، خاصة جوهرها - الصراع الطبقى - وليست لديهم تجارب فى الميدان السياسى والتنظيمى، وليست لديهم عن الماركسية سوى فكرة غامضة مغلوطة استقوها من الكتابات الانتهازية وأدى ذلك إلى هبوط المستوى النظرى والسياسى والتنظيمى وتسرب العقلية الانتهازية، وتفاقم الحيرة الفكرية والانحرافات السياسية والارتباك فى شئون التنظيم، وكان ذلك واضحًا أثناء الصراع السياسى بمعتقل الواحات الذى اتسم بالاسفاف والتهافت والبعد عن قضايا الصراع الطبقى والشارع المصرى.

كانت قيادات هذه الفرق تضلل قواعدها وتطعنها من الخلف وهى تتفاوض سرًا مع السلطة الحاكمة وتبشرها بأنها فى طريقها إلى حل كافة التنظيمات وأنها ستقف ضد من يحاول إحياء أى تنظيم جديد(راجع وثائق الحل المقدمة كهدية إلى السلطة)، ووقف عضو واحد فقط موقفًا مخلصًا لقضية التنظيم هو الرفيق لويس إسحق، وكانت السلطة تعى أن مجرد وجود عضو قيادى واحد غير موافق على الحل سيكون النواة لإحياء التنظيم، واشترطت السلطة الموافقة على الحل بالإجماع. هنا اتخذ عدد قليل جدًا من أفراد القيادة قرارًا للتخلص من هذا الرفيق وتم التآمر مع السلطة حيث جرى اغتياله بواسطة أحد القناصة. وفورًا قررت السلطة الإفراج عن كل أفراد القيادة فخرجت وهى مسلحة بفكرها الانتهازى وهو أن الأبطال وحدهم يصنعون التاريخ فلا حاجة لوجود تنظيمات.

وقامت السلطة بتقديم الرشوة لهؤلاء القادة بالمناصب الكبرى : وزراء - أعضاء فى البرلمان - رؤساء مجالس إدارة .... الخ. هذا فى الوقت الذى كانت تحارب القواعد الشريفة فى وظائفها الصغيرة.

إن هؤلاء المثقفين البرجوازيين يتجلببون بثوب الماركسية لاستخدامها فى إخضاع حركة العمال لصالح المجتمع البرجوازى، لذا يجردون تعاليم ماركس ولينين وستالين من جوهرها

الأساسي، وبدلاً من الدعوة إلى النضال الثوري يدعون إلى تأجيل النضال بحجة إيجاد البديل، وسيظلون قرونا يبحثون عن البديل وهم يتجاهلون أن البديل هو النضال الدائم والدءوب. ويستمر هؤلاء القادة في نقد الماركسية وزعمائها التاريخيين كنوع من الموضة بحجة تجديدها، ولكنهم في الحقيقة يسعون لمحاربتها وتفريغها من مضمونها.

الموقف من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ :

كانت ولازالت وجهة نظر الأغلبية العظمى من الزملاء تمثل نهجًا برجوازيًا صغيراً يبتعد عن التحليل الطبقي والجدلي ويتهرب من تفسير وتسمية هذا النظام الدكتاتوري الحاكم الذي يقود بإصرار وتصميم وتخطيط الأسلوب الوحشي والدموي في التعامل مع قضايا الفكر والعمل السياسي، لتصل في النهاية إلى محاولة إقناع الناس أن هذا النظام وطني وتقدمي يعمل لصالح الفئات الشعبية. هذا هو مرض الطاعون المزمن الذي أصاب كافة الفرق والجماعات التي تدعي اليسارية، وهو مرض المديح والتأييد لبطل القتل والقهر والتعذيب. وكان فكر التنظيمات المختلفة هو الفكر الذي يصيب أجزاء واسعة من المجتمعات لأنه فكر مثالي ميكانيكي مائع مضلل يحمل صفات التردد والتذبذب والفردية والخوف وضيق الأفق، ولا يستطيع الربط بين الأحداث والظواهر لأنه ضد الجدلية.

لقد قامت حكومة عبد الناصر العسكرية بتصفية القوى الوطنية من كافة الاتجاهات ليكبل الشعب في السلاسل والحجلات. يالها من خدمة كبيرة يقدمها «الزعيم» للاستعمار الأمريكي والرأسمالية العالمية. وإذا لم يكن هذا الدكتاتور زعيمًا وطنيًا فماذا كان سيفعل بشعبه أكثر من ذلك ؟!!

إن قضية الحجر على الفكر وتقييد حرية التنظيم والعمل السياسي والنقابي والنشاط الإجتماعي يجب أن أتناولها في جزئيتين : أولا : الاعتقال، ثانيًا : التعذيب.

من المهم أن نبحث هذين الموضوعين كلاً على انفراد، ثم نربط بينهما. إذا سلمنا - كما تدعي تلك التنظيمات - بأن عبد الناصر كان زعيمًا وطنيًا واشتراكيًا فاعتقد - بحسن نية - أن استقلالية وحرية الفكر للأفراد والطبقات والجماعات والأحزاب ستكون عقبة في طريق «وطنيته وتقدميته الشديدة»، إذا سلمنا بصحة ذلك فعليه أن يلجأ إلى قوانين الطوارئ وإلى تطوير وتقوية أجهزة الأمن والمباحث والمخابرات .. الخ ولينشئ ترسانة القوانين التي تجرم الحريات، وليفتح عشرات المعتقلات وليملأها بكل من له صلة بالتفكير الحر. لنتفق على هذا

ولينته الموضوع بعد أن ضمن أنه صار يحكم بمفرده وليس فى طريقه أى معارض، وأصبح الجو هادئًا أمام حكومته .. وهذا يكفى .

فلماذا إذن يلجأ – بعد ذلك – إلى هذه الأساليب الوحشية من القتل والتعذيب النازى بهذا الكم والكيف؟ لماذا يلجأ إلى تعذيب مسجونين وأسرى مقيدين بالحجلات تاركين خلفهم شعبًا خائفًا يخشى أن يفكر؟

نصل هنا إلى قلب القضية التى توضح الدور الذى لعبته حكومة عبد الناصر وأمثاله من العسكريين الفاشيين فى دول ما يسمى «بالعالم الثالث».

عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وبعد هزيمة جزء كبير من الرأسمالية العالمية الممثل فى ألمانيا وإيطاليا واليابان، مع نصر ساحق للنظام الاشتراكى، اجتاحت شعوب العالم حركات التحرر الوطنى والديمقراطى وازداد حماس الشعوب ومساندتها للنظام الاشتراكى العالمى.. وأمام هذا التيار الجارف قررت الرأسمالية العالمية بزعامة الولايات المتحدة وقف أو عرقلة هذا التيار خاصة بعد أن زاد نفوذ الفكر الشيوعى واشتد نضال الطبقة العاملة الذى أخذ يلعب دورًا كبيرًا داخل الحركات الوطنية والديمقراطية والشعبية. وإذا كان الشعب المستعمر يمتلك ولو هامشًا ضيقًا من الحركات السياسية والنقابية فإن هذا هذا الهامش يزداد اتساعًا مع استمرار النضال وازدياد نفوذ الطبقة العاملة والشيوعيين.

هنا يجب على الرأسمالية العالمية أن تحرف هذا النضال باستخدام سلاحين : (١) سلاح الشعارات الديماجوجية (٢) سلاح عزل الشعوب عن الانخراط فى العمل السياسى والتنظيمى والنقابى.. الخ.

بدأت المخابرات الأمريكية ومراكز الرأسمالية العالمية فى استخدام وسيلتها داخل جيوش ما يسمى «بالعالم الثالث» حيث أننا نعلم أن جهاز الجيش هو أكثر أجهزة السلطة البرجوازية تخلفًا لأن وظيفته هى القهر والقمع. وبدأت سلسلة الانقلابات العسكرية داخل دول «العالم الثالث» دون استثناء وساعدت العسكر على استلام السلطة بشكل انقلابى مفاجئ بعيدًا تمامًا عن أى حركة جماهيرية. ويأتى أصحاب الكابات رافعين الشعارات الديماجوجية لذر الرماد فى العيون : محاربة الاستعمار، القضاء على الاستغلال، القضاء على الفساد، بناء حكم ديمقراطى، الاشتراكية، إذابة الفوارق بين الطبقات .. الخ، وفى نفس لحظة رفع هذه الشعارات يدعون أفراد الشعب إلى الهدوء والسكينة وحل تنظيماتهم أو أحزابهم أو أى تجمع لهم والتزام بيوتهم. وعلى وجه السرعة توجه السلطة العسكرية نيرانها إلى الطبقة العاملة

لإرهابها وشل حركتها، وبالحقد الطبقى تقيم لهم مذبحة «دنشواى الجديدة» فى كفر الدوار وتشنق خميس والبقرى.

إن استراتيجية الرأسمالية العالمية والبند الأول فى جدول أعمالها الدائم هو عزل الشعوب عن العمل السياسى والجماهيرى والتنظيمى، ولن يستطيع القيام بهذه الوظيفة بسهولة ونجاح سوى حاكم من أبناء البلد.

وللبرهنة على وجهة النظر هذه أقدم بعض الوقائع على سبيل المثال فقط :

(١) قام السفير الأمريكى فى مصر عام ١٩٥٢ وهو «جيفرسون كافرى» بدور رئيسى مع مجلس قيادة الثورة الذى كان يلازمه دائمًا وكأنه عضو بهذا المجلس، وكان يحبذ ويؤيد قيادة عبد الناصر لهذا المجلس !!!

(٢) أنشأ عبد الناصر فى أواخر الخمسينيات «مكتب مكافحة الشيوعية فى الشرق الأوسط» التابع مباشرة لرئاسة الجمهورية وأسند رئاسته إلى ضابط المباحث المعروف حسن المصيلحى، وكان هذا المكتب يحوز موافقة وإعجاب المخابرات الأمريكية.

(٣) جاء «روانترى» مندوب الولايات المتحدة فى زيارة خاصة لعبد الناصر فى أواخر عام ١٩٥٨ للتفاهم ولترتيب العمل حول عمليات الاعتقال والتعذيب المطلوبة فى كل من مصر وسوريا ولبنان والعراق.

(٤) الانزعاج الشديد الذى أصاب الدكتاتور عبد الناصر عندما شعر بوجود حركة شعبية ديمقراطية فى العراق أثناء حكم عبد الكريم قاسم، فقام عبد الناصر بحملة مسعورة رجعية استعمارية وساند بكل قوته عملاء الاستعمار الأمريكى فى بغداد مثل الشواف وعبد السلام عارف، وعندما قام السفاح على صالح السعدى عميل المخابرات الأمريكية فى العراق بنشر المذابح والمشانق فى شوارع بغداد والموصل وكركوك وقتل مئات الشيوعيين والديمقراطيين، كان عبد الناصر هو الحاكم الوحيد فى المنطقة الذى وقف مع السعدى مقدما له كل عون وتأييد رافعًا شعار «اقتلوهم فى الشوارع .. واقتلوهم فى كل مكان». (يمكن الرجوع إلى خطب عبد الناصر فى الصحف المصرية يناير وفبراير ومارس ١٩٥٩).

ويجب أن أوضح ملاحظة هامة وهى أن عبد الناصر كان يدعى أنه يقف مع حركات التحرر الوطنى كما وقف مع الجزائر فإنه يساعد ويساند الجناح اليمينى العسكرى ليتسلم السلطة ويقيم معسكرات الاعتقال الديمقراطيين واليساريين كما هو الحال فى كل من الجزائر والعراق وسوريا واليمن.

(٥) عندما وصلت الحركة الجماهيرية الشعبية فى سوريا إلى درجة عالية لجأ حاكم سوريا اليميني شكرى القوتلى إلى عبد الناصر مهرولاً طالبًا منه النجدة لضرب الحركة الديمقراطية هناك، فعجل الاثنان بالوحدة المصرية السورية الهزيلة وأوفد عبد الناصر مخابراته ومباحثه وجيشه ليوجه ضرباته للشعب السورى، ففتحت أبواب سجن المزّة لاستقبال الديمقراطيين واليساريين وهرب الكثير من الأحرار من سوريا، وأغلقت كل دور النشر التقدمية التى لعبت دوراً هاماً فى محاربة الاستعمار والرجعية. وامتدت يد عبد الناصر الملطخة بالدم لتخطف المناضل فرج الله الحلو من لبنان لتعذيبه وقتله وإذابته فى الحامض.

(٦) لم ينس سيادته الجامعات المصرية التى لعبت دوراً وطنيًا ضد الاستعمار والملكية فقام بفصل ٥٤ أستاذًا جامعيًا فيما تسمى بمذبحة الجامعات.

(٧) قام عبد الناصر بتصوير فيلم سينمائى لطابور السخرة فى أبو زعبل وذلك لغرضين :

أ – أن يستمتع الدكتاتور بمنظر طابور السخرة الذى يضم شخصيات اجتماعية عديدة إرضاءً لشهوته الدموية.

ب – تقديمه كمستند للأمريكان ليشهدوا بقدرته على قيادة حملات مكافحة الشيوعية فى الشرق الأوسط (أرجو الرجوع إلى كتاب «لعبة الأمم» الذى ألفه أحد رجال المخابرات الأمريكية).

(٨) عندما بدأ الشعب الفلسطينى فى تكوين الكيان الفلسطينى قام عبد الناصر بدوره الرجعى فى خدمة أمريكا واعتقل العديد من أعضائه وأقر الزملاء المعتقلون أنهم تعرضوا لتعذيب عبد الناصر أكثر من تعرضهم لتعذيب حكومة تل أبيب!!!

(٩) استدعى عبد الناصر طبيبًا ألمانيًا نازيًا اشتهر بتخصصه فى التعذيب بعد هروبه من ألمانيا إلى جنوب أفريقيا فجاء إلى السجن الحربى وشاهده بعض الزملاء.

إن طبقة البرجوازية الصغيرة – أوسع طبقات المجتمع – هى الرصيد الدائم والمنبع المستمر لظهور الفاشية العسكرية والفاشية الدينية، فنجد حزب هتلر يضم أعدادا كبيرة منها، كذلك الفاشية الدينية فى مصر، وهذه الطبقة هى التى شكلت كتل الجماهير «الهتيفة» لسلطة عبد الناصر.

الموقف من القومية العربية :

إن شعار القومية العربية الذى رفعته التنظيمات السابقة لم يكن إلا شعارا برجوازيًا رددته خلف عبد الناصر، وهو ينطوى على مفهوم الضم والقهر والكبت للطبقات الشعبية، والدليل على

ذلك هو الفشل الذريع الذى أصاب الوحدة المصرية السورية، وتم دفن شعار الوحدة العربية حتى الآن. وأنا أؤمن بأننا هنا ننتمى إلى القومية المصرية وليست القومية العربية التى غزت مصر عند الفتح العربى لبلادنا.

أما إسرائيل فقد احتلت فى عصر الحكومة الناصرية أراضى ومساحات أوسع مما احتلتها أيام النظام الملكى، وهذا يدلل على أن عبد الناصر كان يجعجع بخطبه اليومية بمحاربة إسرائيل ومحاربة أمريكا لأنه كان يهدم بقوة وإصرار القوة الأساسية التى تستطيع محاربة الاستعمار، وينتهى حكمه بنكسة ١٩٦٧.

ماذا جرى فى الاتحاد السوفيتى :

حاول الانتهازيون وأنصار الرأسمالية العالمية تفسير ما حدث بالمعسكر الاشتراكى تفسيراً يخدم مصالحها ووضعوا أسبابا عدة أهمها :

(١) عدم تجديد الفكر الماركسى، (٢) الستالينية (الدكتاتورية وعبادة الفرد).

إن ما حدث فى الاتحاد السوفيتى هو صراع طبقى عنيف ليس له صلة بالأسباب التى تتبناها الرأسمالية وأبواقها. إن الطبقات وصراعاتها لازالت موجودة، وإن الأحزاب الشيوعية – كلها – تضم عناصر انتهازية مختلفة مهما كان نقاؤها، ويلعب القادة التاريخيون أمثال ماركس وانجلز ولينين وستالين وماو وهو تشى منه وكاسترو وجيفارا .. الخ دوراً بارزا كرموز للفكر الثورى، وما يجعلهم فى تلك المكانة ليست صفاتهم الشخصية العبقرية فقط ولكن لأنهم يتبنون الفكر الماركسى الصحيح فهمًا نقيًا عميقًا. وعند موت هؤلاء الرموز يحدث حراك اجتماعى داخل الأحزاب وتبدأ العناصر الانتهازية داخل الأحزاب بمحاولات فرض خطها المعادى بالتدريج. فقام خروشوف ممثل الانتهازية اليمينية المعادية للحزب بالتحول التدريجى عن الماركسية اللينينية تحت شعار خادع هو مقاومة الستالينية وعبادة الفرد، ثم إلغاء دكتاتورية البروليتاريا وأن الحزب هو حزب كل الشعب وفتح بابه لكافة العناصر الانتهازية والصهيونية والخائنة أمثال جورباتشوف ويلتسين وشفر نادزه.. الخ لأنهم يعلمون أن طريق هدم الاشتراكية هو دخول القلعة (الحزب) لتدميرها. وبعد مضى ثلاثة عقود – طبعًا لم يحدث أى تطهير – على ترسيخ الخط اليمينى وجدنا أن أغلبية الأعضاء من الخونة الذين قاموا بحل الحزب وتحويل البلاد إلى فوضى عارمة. وسوف يعود النظام الاشتراكى بقيادة الحزب الشيوعى البلشفى الحقيقى الذى يكافح سرا وجهراً تحت قيادة الرفيقة أندرييفا تحت راية ماركس وإنجلز ولينين وستالين.

شهادة

متولي السلماوي

البيانات الشخصية

الاســــــــــــم : متولى مصطفى السلماوى

محل وتاريخ الميلاد : ٢٧ مارس ١٩٢٣ – مركز فوه – كفر الشيخ

المـــــؤهــــــلات : ليسانس الحقوق، ليسانس فى الفلسفة، ليسانس فى علم الاجتماع، دبلوم الدراسات العليا فى علم الاجتماع، دبلوم دراسات البحر المتوسط، ماجستير فى علم الاجتماع شعبة التنمية، دكتوراه فى علم الاجتماع (شعبة التنمية)

المـــــهــــنـــة : عملت بالشئون القانونية بوزارة الأوقاف فى دمنهور ثم الإسكندرية ثم عملت بالمحاماة، وحاليًا متفرغ للكتابة.

فترة السجن والاعتقال : اعتقال فى المدة من ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ إلى ٣ مايو سنة ١٩٥٦، واعتقال فى المده من ١/١/ ١٩٥٩ إلى أخر أبريل ١٩٦٤.

بيانات عائلية :

ولدت لأسرة تنتمى إلى كبار ملاك الأرض بفوه بكفر الشيخ، فوالدى من عائلة السلماوى ووالدتى من عائلة رجب، وقد درست المرحلة الابتدائية فى فوه، والمرحلة الثانوية بطنطا ثم انتقلت إلى الإسكندرية للدراسة الجامعية حيث أعيش حتى الآن.

ومنذ صباى الباكر أحببت القراءة، وأغرمت بروايات المنفلوطى، لعل تلك الروايات وما رأيته من عنف وطغيان ملاك الأرض تجاه الفلاحين هو الذى جعلنى أنحاز بمشاعرى ناحية الفلاحين، ثم جاءت قراءاتى لسلامة موسى وخالد محمد خالد لتؤكد انحيازى للفقراء واقترابى من الاشتراكية، وكان لقراءاتى عن الثورة الفرنسية وقراءاتى لأعمال الفيلسوف روسو أثر كبير فى عشقى غير المحدود للحرية، واعتبارها أسمى قيمة فى الحياة، وأذكر أنه كان لمدرس العلوم فى المدرسة الثانوية أثره الهام فى انحيازى لقضية الديمقراطية والحرية.

الارتباط بالحركة الشيوعية المصرية :

فى عام ١٩٥٢ ارتبطت بمنظمة الحزب الشيوعى المصرى «الراية» وفى أثناء إعتقالى الأول فى الفترة من ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ إلى مايو ١٩٥٦، وفى عام ١٩٥٦ تحديداً، ومن خلال مناقشتى لبعض الزملاء فى المعتقل تركت منظمة «الراية» وارتبطت بطليعة العمال، أى أننى

* أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب عضو لجنة التوثيق

خرجت من المعتقل مرتبطًا بمنظمة «طليعة العمال»، والسبب فى ذلك أننى وجدت فى منظمة طليعة العمال ما لم أجده فى منظمة الراية. فمنظمة الراية لم يكن فيها ديمقراطية وأنا بطبيعتى أعشق بل وأعبد قيمة الحرية، وقيمة التواضع، واحترام الناس، والإنصات إليهم، والاهتمام بهم، ووجدت كل ذلك فى منظمة طليعة العمال التى كان يسودها التعاون والتواضع والجانب الإنسانى، والترابط الشديد بين الأعضاء، خاصة وأن معظم الأعضاء كانوا ينتمون إلى الطبقة العاملة والفلاحين.

كان نشاطى يتركز فى الجامعة، وفى بداية دراستى الجامعية أصدرت كتيبًا صغيرًا عن رسالة الجامعة أحدث ضجة كبيرة بين أساتذة كلية الحقوق لأننى طالبت فيه بأن تكون دراسة القانون دراسة علمية بمعنى أن تجيب تلك الدراسة عن السؤال الخاص بمصدر القانون، وأى الطبقات يصدر المشرع القانون لمصلحتها، ولعل صدور ذلك الكتيب كان سبب اعتقالى فى المرة الأولى.

وبالطبع كان المناخ الذى ساد الجامعة منذ يوليه ١٩٥٢ لا يسمح بأعمال جماهيرية، وأذكر أن جمال عبد الناصر زار كلية الحقوق فى زيارته لجامعة الإسكندرية فى الفترة الأولى لسلطة يوليو، ورفعنا نحن الشيوعيين شعارات الديمقراطية وهتفنا من أجل الحرية وضد النقطة الرابعة الأمريكية، واشترك معنا الطلبة الوفديون وطلبة الطليعة الوفدية، ولم يشترك معنا الإخوان المسلمون بل وهاجمونا.

كما ساهمت فى نشاط أنصار السلام بالإسكندرية، وكنت أقوم بتوزيع مجلتهم ونشراتهم على نطاق واسع.

المواقف السياسية قبل الانضمام للحركة الشيوعية :

قبل الثورة كنت أحب الوفد، وكنت ومازلت أحب الزعيم مصطفى النحاس، وأعتبره زعيمًا وطنيًا وديمقراطيًا، وأذكر هنا انتخابات عام ١٩٥٠ التى فاز فيها الوفد باكتساح، وقد أشرت إلى هذه الانتخابات وحبى لمصطفى النحاس فى كتابى «نحو الإنسانية».

الموقف فى أثناء العدوان الثلاثى :

فى عام ١٩٥٦ وعندما وقع العدوان الثلاثى تطوعت فى الحرس الوطنى «كتيبة كلية الحقوق – لواء الجامعة» وقد تطوع كل الشيوعيين الذين كنت أعرفهم بالجامعة، وقد قمنا نحن الشيوعيين بتسجيل أسمائنا وأسماء كل من يرغب من المتطوعين فى الذهاب إلى بورسعيد

للاشتراك فى المعركة هناك، وبالطبع رفض طلبنا، بل وفور وقف إطلاق النار طردنا من المعسكر بطريقة مهينة، وشتمنا وتم الاعتداء على أفراد منا.

الموقف من وحدة مصر وسوريا :

كنا نطالب بوحدة فيدرالية لا وحدة اندماجية، وحدة تقوم على الديمقراطية.

الموقف من وحدة ٨ يناير :

لقد كنت مؤيداً لهذه الوحدة التى ضمت الثلاث منظمات الكبيرة، ولكن تجربتى فى المعتقل أثبتت أن هذه الوحدة كان ينقصها التفاعل بين أعضاء التنظيمات، وفى المعتقلات كان كل تنظيم محتفظاً بأفكاره وأيديولوجيته بعد إتمام الوحدة، وأرى أن السبب فى ذلك أن الحركة الشيوعية كان يسيطر عليها الصفوة التى تجعل الزعماء – وأقلهم فى هذه الصفة منظمة طليعة العمال – يريدون أن يفرضوا زعاماتهم ويتحكموا فى قيادة التنظيمات، فأغلبية القيادات لم يكن لديها الغيرية الكافية.

وأرى أن وحدة أى مجموعات من الناس تختلف فى الأيديولوجية لابد أن تنبع من النشاط العملى بين الجماهير، ووحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨ لم يكن هذا العنصر متوفراً لها.

الموقف من قرارات التأميم :

كان رأيى وما يزال أن التأميم بدون ديمقراطية عبارة عن رأسمالية دولة.

الموقف من اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية :

أنا لا أفرق بين الأديان المختلفة، وأترك هذا الأمر لتقدير الشخص نفسه، ولكن أنا ضد أن يدخل الدين فى السياسة، ولذلك فأنا ضد الصهيونية، كما أننى ضد الإسلام السياسى، ولكننى لست ضد أى دين سواء كان اليهودية أو غيرها، ولذلك أرى أن أى يهودى ينتظم فى الحركات التقدمية ويحتفظ بيهوديته كدين فقط، أى علاقة بينه وبين ربه ولا يحولها إلى علاقة بالتنظيم الذى هو فيه فهو حر، ووجوده فى المنظمات الشيوعية أو التقدمية لا مشكلة فيه. إننى لا أرى أى مانع فى وجود يهود حتى فى قيادة المنظمات الشيوعية طالما التزموا بالفكر

الاشتراكى شأنهم شأن أصحاب الديانات الأخرى.

الموقف من حل الحزب :

لم يأخذ أحد رأيى فى حل الحزب، وأنا كنت ضد الحل، وبعد الإفراج عنا كنت أنا والزميل فؤاد مصطفى والزميل رمسيس لبيب فى مجموعة حزبية برمل الإسكندرية، ووصلنا نحن الثلاثة من خلال الوثيقة السياسية التى صدرت فى ذلك الوقت، ومن خلال التراخى التنظيمى المتعمد، إلى أن قيادة الحزب فى طريقها إلى حله، واتفقنا نحن الثلاثة على أن نعلن إدانتنا للحل باعتباره خيانة للطبقة العاملة وقضية الاشتراكية. وفى الاجتماع، ما كدنا نعبر عن رأينا حتى أبلغنا الزميل المسئول أن الحزب قد حُل بالفعل.

وأنا أعتقد أن حل الحزب حدث لأن القيادة كانت تسعى إلى المناصب فى جهاز الدولة.

أسباب الانقسامية فى الحركة الشيوعية :

لنرجع إلى تاريخ مصر القديمة حين كان الملك إلهاً ثم ننظر إلى تتابع الحكام عبر الحقب المختلفة نجد أنهم كلهم تقريباً لم يكونوا يحترمون الشعب لأنهم جاءوا ليستغلوه وليقهروه، نتيجة لذلك ترسب فى العقل الجمعى لشعبنا الخوف من السلطة، والخوف من السلطة يفرض على كل من يحوزها يوماً الاحتفاظ بها ليفعل بها ما فعله من سبقوه، هذه الرواسب الثقافية عميقة فى نفوس القادة الذين تولوا قيادة الحركة الشيوعية. ولذلك كانوا يتحكمون فى القاعدة، إن روح حب القيادة كان متأصلاً فيهم، ولذلك غابت الديمقراطية، وغاب التفاعل مع القاعدة والإنصات لرأيها، باختصار كان ما ينقص التنظيمات هو الديموقراطية، وكان كل قائد يريد أن يظل قائداً، الأمر الذى يؤدى إلى الانقسام، انقسام الزعامات والقيادات بمن يلتف حولها إذا هُددت بفقدان القيادة أو الزعامة، وعند كل انقسام كانت تطلق الاتهامات المعروفة.

والمعروف أن الروح الفردية أو روح الصفوة والبعد عن روح الجماعة شئ فى تركيب البرجوازية الصغيرة، وقد كانت معظم قيادات الحركة الشيوعية من تلك الطبقة.

هذا هو السبب الأول للانقسامية فى الحركة الشيوعية المصرية، وثمة سبب أخر هو عدم الفهم العميق للاشتراكية العلمية، فالاشتراكية العلمية جوهرها وأساسها الحرية والديموقراطية، ومع غياب هذا الفهم، ومع سيطرة روح الصفوة على القيادة تغيب

الديموقراطية ويغيب الالتفات إلى رأى القواعد والإنصات إليها والتبادل السريع والمستمر فى الفكر بين القيادة والقواعد.

أسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥ :

السبب الرئيسى من وجهه نظرى هو الصفوية،أى سيادة وتحكم الصفوة، والتى أدت إلى شيوع الانقسامية، وغياب الفهم الصحيح للاشتراكية العلمية.

ويلاحظ أنه لم تتم محاولة تمصير الماركسية، أقصد تمصير تطبيقها، كما لم يُدرس الواقع المصرى دراسة حقيقية، والواقع المصرى معقد جداً وذلك لظروف تاريخية معينة ومن ثم فالوضع الطبقى فى مصر على جانب رهيب من التعقيد ويحتاج فى الدراسة إلى جهد هائل ولم يبذل حتى عام ١٩٦٥ ذلك الجهد.

كان ينبغى على الثورة البرجوازية الكبرى عام ١٩١٩ أن تنجز المهمتين الأساسيتين، وهما ضرب الإقطاع ضربًا حاسمًا وترسيخ الديمقراطية وهو ما لم تنجزه تلك الثورة، ومن ثم وقعت هذه المهمة على النضال الاشتراكي وهى مهمة بالغة الضخامة، وأرى أنه كان ينبغى على الحركة الشيوعية المصرية إشاعة الديمقراطية فى صفوفها وفى تعاملها مع الجماهير بما يساهم فى ترسيخ قيم الديمقراطية فى بلادنا.

شهادة

محمد شريف

البيانات الشخصية

الاســـــــم : محمد شريف

محل وتاريخ الميلاد : ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٠، من مواليد تنقالة مركز الدر ببلاد النوبة (الغارقة الآن تحت مياه السد العالى)

المـــؤهـــلات : شهادة اتمام الدراسة من مدرسة اسوان الصناعية (قسم برادة)

المـــهـــنـــة : أول عمل التحقت به هو عامل فنى مدنى بسلاح الطيران المصرى، وبشركة الخطوط الجوية البريطانية، وبعد ذلك كرسام ميكانيكى فى بعض المصانع.

فترة السجن والاعتقال : حكم على بالسجن من ١٩٤٨ حتى ١٩٥٤ والمراقبة لمدة خمس سنوات من سنة ١٩٥٤ حتى ١٩٥٨- والاعتقال من سنة ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤

بيانات عائلية :

كانت أسرتى أحد الأفواج المهاجرة إلى اسوان فى تلك الايام، إثر تعلية خزان أسوان سنة ١٩٣٣، وهى المرة الثالثة التى يهاجر فيها النوبيون. أقامت أسرتى فى أسوان، وأتممت دراستى بمدرسة أسوان الصناعية. وأثناء دراستى، سمعت عن حزب «مصر الفتاة» وحضرت اجتماعًا خطب فيه أحمد حسين، وهاجم الاستعمار البريطانى ونادى بوحدة مصر والسودان، وداومت على قراءة مجلة مصر الفتاة، وكنت متعاطفًا مع هذا الحزب، بجانب أن أحد اقربائى – وهو خليل الآسى – كان عضوا بالحزب فرع أسوان. وفى أحد الأيام وبناء على توجيهات أحمد حسين وتنفيذا لشعاراته، دعانى خليل الآسى أن اشترك مع نفر من الآخرين لكى نقوم بتكسير إحدى حانات الخمور بقذفها بالحجارة، وفعلاً أتممنا هذه المهمة. وفى بداية الاربعينيات حضرت للقاهرة للعمل، وكنت أتردد على النادى النوبى مع بعض الشباب والطلبة ونشارك فى مناقشة بعض مشاكل النوبة، وأسسنا رابطة الطلبة النوبيين فى داخل النادى النوبى والتحق بها فيما بعد محمد خليل قاسم وزكى مراد وغيرهما. وداومت على قراءة مطبوعات مصر الفتاة وخاصة الكتب الشهرية التى كان يصدرها الحزب ويشرف على إصدارها محمد صبيح وفتحى رضوان فى ذلك الوقت، وكان منها كتاب «كفاحى» لهتلر، وكان هناك لأحمد حسين شعار آخر غير تكسير حانات الخمور، وهو شعار «مشروع القرش»

وهى دعوة المصريين للتبرع بقرش، لاقامة مصنع الطرابيش ! المهم فى كل هذا أن أحمد حسين بخطبه ومقالاته وقمصانه الخضراء والتحية النازية مع «مصر فوق الجميع» جعلنى أميل ناحية هتلر وموسولينى، مع أنى لم أكن عضواً فى مصر الفتاة.

لم أستمر كثيراً فى العمل بالطيران المصرى بالماظة، وكانت توجد به بعض طائرات من ذات الجناحين، وأيضاً نفر من الضباط الانجليز، وفوجئنا ذات يوم بنبأ أن عزيز المصرى قد سقطت به الطائرة التى اختطفها مع قائد الطائرة أثناء محاولته الهروب إلى الصحراء الغربية. وكان روميل قائد القوات الألمانية يحرز بعض الانتصارات، وتركت العمل بمطار الماظة وخاصة أن بداية مرتبى عند التعيين كانت ثلاثة جنيهات فى الشهر.

التحقت بشركة الخطوط الجوية البريطانية بمطار هليوبولس بمصر الجديدة والتى أصبحت بعد فترة تحت إشراف سلاح الطيران الحربى البريطانى. وكان أحد جنود السلاح – ويدعى توماس – هو المسئول والمشرف على عملى (إصلاح أجنحة الطائرات المصابة بقذائف). ولأول مرة يشاركنى توماس فى نقاش عن سير الحرب فى الصحراء الغربية وتقدم روميل وانتصاراته هو وهتلر وموسولينى – وأن انجلترا وفرنسا والاتحاد السوفييتى يحاربون النازية والفاشية وأن الاتحاد السوفييتى دولة العمال والفلاحين، بالطبع نقاشنا كان بقليل من الانجليزية وكثير من العربية. لكننى فهمت ما يرمى اليه توماس وما يعنيه من كلامه.

وبعد مرور يومين على هذا النقاش، جاء توماس وهو يحمل لفافة من الكتب ، أعطانى جريدة أولا، قرأت عنوانها «الديلى وركر» وكتباً أخرى عن الماركسية والاتحاد السوفيتى. وكلها بالانجليزية بالطبع. استعنت بصديق نوبى يجيد الانجليزية فى فهم محتوى المواضيع التى فى هذه الكتب ومكثنا معاً لفترة غير قصيرة فى هذه المهمة، وبالمناسبة أصبح هذا الصديق ماركسياً ويقيم بالسودان.

وتوطدت العلاقة بينى وبين توماس، ولكن لم يستمر فى العمل معى لحين انتهاء الحرب بل بعد عدة شهور تم نقله من المطار. ولكن بعد أن دلنى على الطريق وهو أول من عرفنى وأنطقنى بأسماء، ماركس، إنجلز، لينين، ستالين وغير تفكيرى لمسار جديد.

فى هذه الفترة كان نشاط الاخوان المسلمين بدأ يظهر، وكان حسن البنا يعقد اجتماعاً أسبوعياً فى الحلمية كنت أحضره (هذه الاجتماعات الأسبوعية كانت علنية ويحضرها عامة الناس وفى نهاية الاجتماع يدور نقاش بينه وبين الآخرين ومنهم بعض اليساريين)، مع علمى

بأن الاخوان المسلمين يمثلون الفاشية الدينية.

وكان النحاس يعقد اجتماعات أحيانًا فى بيت الأمة يحضرها بعض الشباب الوفديين، كنت أتردد عليها أيضًا، وكان الجناح اليسارى فى الوفد قد بدأ يظهر والذين كانوا معارضين ورافضين أن يكون فؤاد سراج الدين سكرتيرا للوفد، وفى نفس الوقت كانوا متعاونين مع اليساريين ضد هذه الجماعات الفاشية وأحزاب الأقلية.

بالطبع لم يفوتنى حضور اجتماعات اليساريين وندواتهم ومناقشاتهم فى دار الأبحاث، ومن هناك، ومن لقاءاتى فى النادى النوبى، تعرفت على صالح عرابى، وعبده دهب. أثناء ذلك كنت مازلت أعمل بشركة الخطوط الجوية البريطانية، وبعد فترة تعرفت على هنرى كورييل وتمت عدة اجتماعات قليلة من بعض أعضاء فى تنظيم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) بالطبع كان يحضرها هنرى كورييل الذى فضل أن يكون نشاطى مع عمال شبرا.

ابتدأت مع مجموعة من العمال النقابيين المخلصين، كنت أعتقد أنهم مسلحون بالنظرية والعمل الحزبى أكثر منى، أو كأنهم رشحوا لعضوية الحزب لأنهم عمال فقط، ربما لهم عذرهم أو أن يكون التنظيم فى بداية تكوينه وبالتالى التجنيد بين العمال.

هذا ومن ناحية أخرى كان تنظيم حدتو، تنظيم فئات، أى هناك قسم نوبى يضم النوبيين، وقسم سودانى يضم السودانيين، وقسم عمال شبرا..الخ. بالطبع مثل هذه الأقسام المختلفة تخلق نوعًا من الحلقية والشللية والعائلية، فكورييل لم يضمنى إلى القسم النوبى - مع أنى نوبى- بل أشركنى مع عمال شبرا، لأنى أنتمى اليهم بجانب أن عملى مرتبط بالعمال، وهذه الفئات يمكن تصلح لتكوين نواة نقابات مختلفة.

وكانت هناك وحدة قد تمت بين حمتو واسكرا ولكنها تمت من فوق - لأننا فى القاعدة لم نناقش شيئا عنها. وبناء عليه حصل نوع من الدمج فى التنظيم دون النظر إلى خطوط سياسية أو تنظيمية أو مستويات الأعضاء أو ..الخ، ربما ناقشت القيادتان هذه المسائل وغيرها بعيداً عن المستويات الدنيا! وعليه حصل نوع من التغيير فى أعضاء المجموعات، إذ وجدت نفسى عضوا فى مجموعة أغلبها من أعضاء اسكرا غير المنضبطين، وفى هذه الفترة قابلت شوارتز لأول مرة، والظاهر أنه كان يراقب سير عمليات الدمج فى المجموعات، لأن حديثه معى لم يخرج عن هذا.

مما سبق نجد أن تنظيم حدتو حتى بعد الوحدة مع اسكرا كان ارتباطه بالطبقة العاملة

والاشتراك فى المعارك متواضعاً.

ولا يمكننا القول «الارتباط بالطبقة العاملة» ولكن يمكننا القول، فى ذلك الحين كانت تجرى محاولة للتجنيد والاهتمام بالعمال.

كانت «حدتو» قد نظمت حلقة دراسية لمدة ٣ شهور متواصلة لعدد محدود من العمال وذلك لخلق كادر عمالى، وكنت منهم ، وأتذكر من هؤلاء فكرى الخولى من العمال، وعبد المعبود الجبيلى من الاساتذة المدرسين وللأسف، لا تسعفنى الذاكرة لذكر بقية الأسماء، ولاشك أن هذه الدراسة التى تفرغنا لها قد أفادت الجميع.

بجانب أن مكتبة كورييل بميدان مصطفى كامل لعبت دوراً كبيراً فى نشر وعرض مختلف الكتب الماركسية فى ذلك الحين، أذكر منها مجموعة العشرة كتب والتى كانت تباع بمبلغ زهيد.

كان عبده دهب يصدر مجلة «أم درمان» وكذلك تنظيم «د.ش» مجلة «الفجر الجديد»، وقد كنت أقوم بتوزيع نسخ منهما وأعطيها للزملاء لتوزيعها بالمصانع أيضاً.

أما موقفى من التنظيم «حدتو» وقبل دخولى السجن، فهو موقف العضو العادى القاعدى، أنفذ توجيهات وقرارات المستوى الأعلى، سواء توزيع منشورات أو الاشتراك فى مظاهرات جماهيرية للدفاع عن مصالح الجماهير، وأقوم بتوعية نفسى وزملائى مع الحفاظ على الأمان والسرية .. الخ.

وفى سنة ١٩٤٨ كانت حرب فلسطين ونشطت القوى الرجعية وخاصة جماعة الأخوان المسلمين، وحدثت اعتداءات على بعض المحلات والافراد اليهود وتصاعد الهجوم على اليسار، بجانب أن حكومة صدقى كانت تحاول ابرام معاهدة منذ سنة ١٩٤٦ مع حكومة انجلترا «معاهدة صدقى بيفن» والتى كشفها وأسقطها اليسار بعد ذلك مع جموع الوطنيين.

وألقى القبض علىّ سنة ١٩٤٨، وكنت أسكن فى غرفة بإحدى الأزقة بالوايلى فى ذلك الوقت. وعثر البوليس عندى على كتب ماركسية ومنشورات وآلة كاتبة وجهازى استقبال غير صالحين للاستعمال (قيل إنهما يخصان التنظيم، قيل أيضا إنهما يخصان كورييل). وكان المشرف على هذه العملية هو«حجازى» أحد كبار ضباط البوليس السياسى فى ذلك الوقت، ورئيس النيابة الذى حقق معى فى القضية شخص يدعى كامل القاويشى والذى وعد أمامى رجال البوليس بأنه سيكون عند حسن ظنهم وأنه سيخرج كل مافى جعبته لاستخراج كل الإدانات، أما القاضى الذى حكم على فيدعى «طنطاوى» وأثبت هو الآخر أنه لا يقل عنهم

شهامة: ويوم الحكم، كان حجازى يجلس على مكتبه، فطلب استدعائى اليه، فذهبت اليه وقال «شد حيلك، سيكون الحكم شديداً عليك».

وطلب من الحرس إدخالى إلى غرفة المحاكمة، وبعد محاكمتى قانونى إلى الخارج مرة أخرى فى انتظار النطق بالحكم. وبعد فترة أدخلت مرة أخرى إلى غرفة المحاكمة، ووجدت أمامى كل من محمد حسن جاد «برق» وزميله بشرى المتهم معه فى القضية يقفان على يمين منضدة طنطاوى وأنا أقف على يسار المنضدة، ووجه القاضى طنطاوى حديثه لبشرى قائلاً : أنت طالب جامعى ولازم تجتهد وتتخرج وتشوف مستقبلك وأنا رأفت بحالك وحديلك حكم ضعيف .. وأخيراً نطق بالحكم : بشرى ٣ سنوات، محمد حسن جاد ٧ سنوات، والتفت إلىّ وحكم بـ٧ سنوات سجن سنة سجن للأجهزة ٥ سنوات مراقبة. ولم تستغرق المحاكمة اكثرمن ١٥ دقيقة. ولم تتم فى قاعة محكمة. وبذلك طبق قانون صدقى - قانون مكافحة الشيوعية - لأول مرة، هذا القانون الذى صدر فى غيبة البرلمان.

ومنذ عام سنة ١٩٤٨ توالت القضايا الشيوعية، وامتلأ السجن على مر الشهور بمختلف التنظيمات والاتجاهات - حدتو - د.ش. - النجم - مشمش .. والخ.. وأصبح الزملاء يناقشون الموقف مع تنظيماتهم وأيضًا الموقف من التنظيمات الأخرى، حتى أصبحت المناقشات شبه علنية ومعروفة مثل : الانتهازية - البوليسية - الخيانة - المقاطعة - خط منحرف يمينى - خط يسارى .. الخ.

وكان بعض الزملاء - وكنت منهم - قد ناقشنا الموقف من تنظيم «حدتو» مثل التقسيم الفئوى والخط السياسى اليمينى والبوليسية المتفشية داخل التنظيم . وعلى إثر هذه المناقشات تركت تنظيم حدتو، وبعد مدة جندت فى تنظيم «د.ش». كنت اسمع عن هذا التنظيم منذ منتصف الاربعينيات على ما أتذكر، فلم يكن اسم المدرك، ومحمود العسكرى غريبًا علىّ، بل كنت أسمع بكفاحهم بين عمال شبرا الخيمة وكنت أقوم بتوزيع «مجلة الفجر الجديد» وأنا فى تنظيم حدتو ولم أجد حرجًا أو حساسية فى ذلك طالما هى مجلة تدافع عن مصالح الطبقة العاملة والشعب. وأيضًا دون التنظيمات الأخرى وهذا ما وجدته داخل السجن فهم يحترمون قواعد التنظيم والسرية فى عملهم بجانب أن عمال هذا التنظيم أغلبهم من المكافحين والذين لعبوا دوراً فى توعية وتنظيم نضالات زملائهم.

المهم قلت فى حديثى سابقًا بأننى جندت فى «د.ش» أى مرشح، أى تحت الاختبار ولم

يمنحنى أحد العضوية إلا بعد مدة طويلة.

وفى سنة ١٩٥١ أمر فؤاد سراج الدين - وكان وزيراً للداخلية فى حكومة الوفد- بتوزيع وتشتيت المسجونين من الشيوعيين من سجن مصر على سجون مصر، وبالتالى نُقلت إلى سجن اسيوط ولحق بى فيما بعد محمد خليل قاسم «حدتو» - صديقى منذ أن كنا فى اسوان - وأيضاً طالب سودانى واسمه سيد - على ما أتذكر - من تنظيم «مشمش» وسكنا فى زنزانة صغيرة تسع ثلاثتنا، ولكن «سيد» هذا كان مقاطعاً لى ولقاسم طوال فترة إقامته معنا إلى يوم ترحيله للافراج عنه (محكوم عليه بـ٣ سنوات سجن) فلم يحادثنا ولم يشترك فى طعام معنا قط، لأن تنظيم «مشمش» يعتبر كل التنظيمات الأخرى تنظيمات خائنة وبوليسية وبالتالى يجب مقاطعتها.

أفرج أيضاً عن محمد خليل قاسم وتم ترحيله من سجن أسيوط بعد أن أنهى مدة سجنه (٥ سنوات) وبقيت بمفردى لفترة، ولجأت إلى الاضراب عن الطعام لمدة أسبوع لطلب نقلى لسجن مصر، وفى هذه الأثناء سمعت عن ثورة يوليو وكان قد أخبرنى بها أحد الضباط، مضيفاً بأنه سيتم الإفراج عن المسجونين السياسيين!. ولكنى لم أقتنع بما قاله الضابط بخصوص الإفراج واستبعدت هذه الفكرة تماما عن ذهنى. لماذا؟

١ - إن الاستعمار الامريكى والذى يحاول أن يحل محل الاستعمار البريطانى خاصة فى الشرق الأوسط كان نشطا فى ذلك الوقت وكان يدبر الانقلابات، كالانقلاب الذى تم ضد حكومة«مصدق» زعيم ايران الوطنى وأطاح به وبحكومته فى مجزرة بشعة.

٢ - بعدها بفترة دبر الاستعمار الامريكى انقلابا فى سوريا وأتى بعميل على ما اتذكر اسمه «الشيشكلى».

وبعد انتهاء اضرابى عن الطعام واستجابة ادارة السجن لنقلى إلى القاهرة بسجن مصر سمعت وأنا، مازلت بسجن اسيوط أن رجال ثورة يوليو أفرجوا عن الاخوان المسلمين وهم رجال الفاشية الدينية، وبرروا عدم الافراج عن الشيوعيون بأنهم ليسوا مسجونين سياسيين، وأفتوا بأن الاخوان هم المسجونون السياسيون لا الشيوعيون. بجانب أنهم أصدروا قرارات بحل جميع الاحزاب السياسية التى كانت موجوده فى مصر وفى المقدمة حزب الوفد.

وتمت اجراءات ترحيلى إلى سجن مصر بعد ذلك. وصلت سجن مصر ووجدت أن أغلب الزملاء ومن كافة التنظيمات لم يسبق لى التعرف عليهم. وكان عبد الناصر قد ألقى القبض

على كثير من أعضاء التنظيمات الشيوعية، وخاصة تنظيم «حدتو» الذى أيد الثورة منذ بدايتها ولكن تنظيم «حدتو» كان مكشوفًا لأن الأمان والسرية ليست بالدرجة المطلوبة، فكانوا أكثر عددًا بجانب خطهم السياسى اليمينى والتنظيمى.

هذا وقد أدانت التنظيمات فى السجن هذا الانقلاب الذى دشن حركته بمقتل خميس والبقرى، وهو ما أدانته أغلب التنظيمات اليسارية والحركة العمالية فى مصر والعالم.

خرجت من السجن سنة ١٩٥٤ ومن بداية اليوم الأول من خروجى تم تنفيذ المراقبة المحكوم على بها لمدة خمس سنوات. (والمراقبة تعنى عدم مغادرة مكان الاقامة من غروب الشمس حتى شروقها) بالطبع هذه الفترة كانت بالنسبة لى عدم استقرار تقريبًا. ولفترة التحقت بمعرض لبيع الادوات الكهربائية .

وأخيرًا عندما أنشئت المؤسسة القومية للنشر والتوزيع سنة ١٩٥٦ وكان يديرها حسين توفيق وريمون دويك ويشرف على مكتبتها صلاح خطاب، تم تعيينى بها كمشرف على قسم التوزيع. وكان العمل بهذه المؤسسة كنوع من التطوع لأنها كانت فى بداية تأسيسها.

ولم تمهلنا الديكتاتورية وجاءت ضربة سنة ١٩٥٨ اليسار كله، واعتقلت سنة ١٩٥٩ إثر الحملات المتتالية التى كان يقوم بها عبد الناصر ضد الشيوعيين » وبالتالى أغلقت المؤسسة.

دور الأجانب واليهود فى الحركة الشيوعية :

لم ألمس عندما كنت فى تنظيم «حدتو» أو فى تنظيم «د.ش» أى موقف عدائى ضد اليهود ولم يفاتحنى أى عضو بكلمة فيها مساس بهم. وقد تعرفت على كورييل وصادق سعد وريمون دويك وغيرهم، وقد عمل كورييل على نشر الكتب الماركسية عن طريق مكتبته التى كانت فى ميدان مصطفى كامل فى أوائل الاربعينيات، ولاشك أنه استفاد منها كثير من اليساريين، وأيضًا ريمون دويك كان يشرف على إدارة المؤسسة القومية للنشر مع حسين توفيق التى كانت تقوم بنشر وتوزيع الكتب الواردة من الاتحاد السوفيتى والصين والمانيا الديمقراطية. وهؤلاء لعبوا دورًا هامًا فى نشر الثقافة الماركسية ، ولاأنسى يوسف درويش والذى ناصر ودافع عن القضايا العمالية. أما موقفهم داخل تنظيماتهم، فهم أعضاء قياديون.

انقسامية الحركة الشيوعية المصرية وحل التنظيمات :

أما انقسام الحركة الشيوعية المصرية وعدم تواصل حلقاتها، وحل التنظيمات لنفسها فكلها موضوع واحد، لأن هذه التنظيمات أو الحلقات :

١ – لم تكن مرتبطة على نطاق مصر بمشاكل الجماهير وتعبر عن نبضها لتحركها .

٢ – لم تخلق من العمال والفلاحين وهم طليعة الكادحين، الكوادر القيادية المسلحة بالوعى الطبقى ولكى يكون لها دور فى قيادتها.

٣ – أغلب أعضاء هذه التنظيمات يصلحون كعاطفين على اليسار خارج التنظيمات لا داخلها كأعضاء، لأن التجنيد واختيار عضو الحزب يتم على أساس كفاحى ونضالى من مجال العمل وبعد فترة اختبار.

٤ – دخل كثير من المثقفين ساحة التنظيمات اليسارية لكى يدرسوا ويتبنوا الافكار الماركسية العلمية والتى سادت وحطمت كثيراً من الافكار الرجعية التى كانت – ومازالت – سائدة، لا ليشتركوا فى نضالات الطبقة العاملة والفلاحين والكادحين ويتحملوا أعباء هذا الكفاح، بل ليثرثروا ويزايدوا بهذه الافكار ويتبوأوا المراتب القيادية سواء داخل تنظيماتهم، أو داخل جهاز الدولة إن أمكن كأصحاب فكر ورؤى جديدة للعالم، والآن يشككون فى النظرية الاشتراكية وكفاح العمال والكادحين ليخلو العالم للاستعمار الأمريكى الشرس.

الموقف من الاتحاد السوفييتى :

الاتحاد السوفييتى كان قائما كدولة عظمى اشتراكية عندما اعتنقنا الماركسية فى بداية الأربعينيات، وكدولة للعمال والفلاحين وكل الكادحين، ونقيضا للنظام الرأسمالى، والاتحاد السوفييتى قام بمفرده فى عالم رأسمالى غادر ومتربص ببناء الاشتراكية بقيادة لينين ومن بعده ستالين. وقد واجه ستالين كقائد للحزب الشيوعى أصعب المراحل والفترات للحفاظ على الدولة الاشتراكية خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، ورأينا تضحيات الشعب السوفييتى وكيف دمر جحافل النازية حتى هزيمتها فى عقر دارها بقياده زوكوف.

والاتحاد السوفييتى هو الذى حرر كل أوربا الشرقية، وهو الذى وقف بجانب كل حركات التحرر، لنيل هذه الشعوب حريتها واستقلالها بالوقوف بجانبها ومساعدتها اقتصادياً أو سياسياً أو عسكرياً سواء فى قارة آسيا مثل الصين أو دول العالم الثالث مثل مصر وغيرها مثل دول افريقيا. وفى فترة قيادة ستالين للحزب، كان يوجد «الكومنفورم»، وهو الجهاز الذى

كان يضم كافة الأحزاب الشيوعية فى العالم، لمناقشة قضايا الشعوب وما يتعرض له المجتمع العالمى من مشاكل ومحاولة ايجاد الحلول لها. ولكنه كان خطأ كبيراً التنازل عن هذا الجهاز وعدم استمراره وذلك لإرضاء وكسب ثقة بعض زعماء العالم الثالث مثل نهرو وعبد الناصر، فى الوقت الذى لم تتنازل الدول الاستعمارية عن مشاريعها وأحلافها العسكرية وغيرها، بعد الحرب العالمية الثانية وإلى يومنا هذا. وفى ظل الكومنفورم وستالين، ظهر القادة الحقيقيون للأحزاب الاشتراكية، مثل ماوتسى تونج وشو إن لاى فى الصين، وتوريز فى فرنسا، وتولياتى فى ايطاليا، وخالد بكداش فى سوريا، وفرج الحلو فى لبنان، وغيرهم ممن قادوا شعوبهم للتحرر وبناء الاشتراكية، وكانت أغلب الشعوب بقيادة أحزابها الاشتراكية تحتفل بثورة أكتوبر وبعيد العمال فى أول مايو وينشدون كل بلغته نشيد الأممية.

ولكن بعد موت ستالين بفترة، ظهر أمثال خروشوف فى قيادة الحزب السوفييتى وابتدأ بشعار عدم عبادة الفرد، ولذا يجب حرق جثمان ستالين لأنه مجرم، وبذر بعض البذور السامة فى الفكر الاشتراكى، مثل أن البرجوازية يمكن أن تبنى الاشتراكية، وبالمناسبة كان تنظيم «حدتو» يذيع وينشر أخبار وتصريحات خروشوف فى سجن الواحات للتدليل على سلامة خطه المنحرف وأن عبد الناصر فى طريقه لبناء الاشتراكية.

بالطبع تصدى الحزب الشيوعى الصينى لأفكار خروشوف، وكشف انحرافه وعارض الهجوم على ستالين. ولاشك أن أفكار خروشوف تركت بلبلة وتحليلات مختلفة داخل الاحزاب الشيوعية مما أدى فى نهاية الأمر إلى ظهور ممثلين جدد مثل جورباتشوف ويلتسن فى قيادة الحزب بالاتحاد السوفييتى. ولم يكن الاستعمار العالمى غافلا عن تحطيم الاتحاد السوفييتى منذ نشأته، وابتدأ جورباتشوف بإبعاد أغلب الحرس القديم من القيادة، ونادى بتجديد الفكر الماركسى – وهو يقصد تخريبه، وانتهى الأمر فى النهاية كما تعلمون جميعاً، بانهيار الاتحاد السوفيتى الذى بناه لينين وستالين.

شهادة

معروف عبد الحميد

البيانات الشخصية

الاســـــــــــم : معروف عبد الحميد ابراهيم

محل وتاريخ الميلاد : ١٩٢٨/٤/٢٢ بكفر هلال - مركز بركة السبع - المنوفية

المـــــهـــنـــة : عامل نسيج يدوى

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ٢٢ سنة .

فترة السجن والاعتقال : اعتقال فى المدة من ٢٨ مارس ١٩٥٩ إلى ١٩٦٤/٤/٢

بيانات عائلية :

أنا من أسرة متوسطة الحال، وجئت إلى القاهرة سنة ١٩٤١، ومنذ سنة ١٩٤٢ وأنا أعمل بالنسيج، عملت بمصنع محسن كرم للنسيج اليدوى بالظاهر، وفى سنة ١٩٤١ كنت أمشى فى شارع عماد الدين، وكلنا نعلم أن جنود الانجليز كانوا يتواجدون فى معظم شوارع القاهرة فى ذلك الوقت، وضربنى جندى بريطانى بالشلوت فأحسست بالمهانة، فكيف يضربنى أجنبى فى بلدي؟.. وأحسست بالحقد على الاحتلال، وبدأت أبحث عن أى عمل أشترك فيه للتخلص من الإنجليز ولجأت إلى الإخوان المسلمين، وانضممت إلى شعبة برجوان بالشعرانى الجوانى بباب الشعرية، وكان ذلك عن طريق أنور العزب حسين رئيس شعبة العباسية فى ذلك الوقت، ولم أجد عند الإخوان المسلمين ما يشبع رغبتى فى طرد الإنجليز من بلادنا. وفى عام ١٩٤٩ قرأت منشوراً شيوعيًا أعطاه لى الزميل طه محمد مصطفى وشهرته الشيخ طه مصطفى، وترددت على بيت ذلك الزميل، وعنده تقابلت مع الزميل عادل فهمى الذى اهتم بى وبدأ يعطينى جزءاً من وقته ثم ضمنى إلى منظمة «طليعة العمال» ووجدت فى تنظيم طليعة العمال إجابة عن الأسئلة التى تدور فى ذهنى، وأعجبت بالزميل عادل فهمى لأنه هو الذى أفهمنى كيف يكون العمل السياسى. وبعد ذلك رشحت نفسى فى نقابة عمال النسيج اليدوى، وأصبحت عضواً بمجلس إدارة النقابة، وسعيت مع الزميل السيد محمود الشهير بجزر والزميل طه محمد مصطفى لضم نقابة النسيج اليدوى إلى النسيج الميكانيكى، وإلى النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج وملحقاتها بالقاهرة وضواحيها التى كانت توجد برقم ٢٢ بميدان الظاهر. وفى سنة ١٩٥٦ أصبحت عضواً بمجلس الادارة حتى تم اعتقالى يوم السبت الموافق ٢٨ مارس ١٩٥٩

* أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب عضو لجنة التوثيق

الموافق ١٩ رمضان، ومكثت فى المعتقل حتى يوم ١٩٦٤/٤/٢ أى خمسة أعوام وخمسة أيام.

وبعد الإفراج عنى، ونتيجة محاربة المباحث العامة لى، ظللت بلا عمل مثل أغلب المفرج عنهم من العمال والموظفين، وكانت تلك أصعب فترة فى حياتى وحياة الزملاء الذين كانوا مشردين فى شوارع القاهرة بدون عمل، وبعد شهور بدأنا فى الالتحاق بأعمال.

العمل السياسى قبل الانضمام للحركة الشيوعية :

كنت كما ذكرت قد انضممت إلى الإخوان المسلمين، ولم أجد عندهم إجابة عن الأسئلة التى كانت فى رأسى، وكنت أقوم بالتحرك فى وسط عمال النسيج بدافع المطالبة بحقوق العمال بالمصانع، كان هذا تحركًا تلقائيًا حتى جندت فى تنظيم طليعة العمال، وهذا التنظيم لم يحدث فيه أى انقسام أبدًا.

ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة :

كان تنظيم طليعة العمال دائم الكفاح من أجل رفع مستوى العمال ماديًا واجتماعيًا، وكان للتنظيم دور وسط عمال منطقة الدراسة وهى منطقة صناعة كنت مرتبطًا بها. وأعرف أن تنظيم طليعة العمال كان له نشاط بشبرا الخيمة والقاهرة وسط العمال.

دور التنظيم فى صفوف الفلاحين :

على ما أعتقد فإن جميع التنظيمات لم تكن بالمستوى المطلوب بالنسبة للعمل بين الفلاحين، وذلك بدون استثناء.

المستوى التنظيمى الذى عملت به :

أنا كنت عضو قسم بالدراسة، وطبعًا دورى ودور الزملاء كان يتحدد طبقًا لظروف المعركة.

وبالمناسبة أذكر أنه كانت توجد مكتبة أسسها التنظيم كان يشرف عليها حسن صدقى، وأنه صدرت عن التنظيم عدة كتب لدراسة الواقع المصرى، كما كان يصدر مجلة الفجر.

دور المحترفين فى التنظيم :

كان يوجد فى التنظيم محترفون مثل الزميل محمود العسكرى وآخرون، وأنا أرى أن وجود المحترفين فى التنظيم شئ ضرورى للعمل الجماهيرى بشرط توفر الكفاءة والخبرة اللازمة.

الموقف من التنظيمات الأخرى :

أنا كنت مع توحد الشيوعيين فى تنظيم واحد، وعندما تمت وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ كنت متحمساً لها.

دور اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية :

ما أعلمه أن اليهود بمصر كان لهم دور كبير فى الحركة الشيوعية بمصر، وبالذات من الناحية الثقافية.

موقف التنظيم من النضال ضد الاحتلال الإنجليزى :

كان موقف التنظيم وموقفى هو الوقوف ضد الاحتلال الإنجليزى، والمعروف أن كل التنظيمات كان لها دور فى المعركة عام ١٩٤٦ «اللجنة الوطنية للعمال والطلبة».

الموقف من سلطة يولية ١٩٥٢ :

أعتقد أن رجال سلطة يولية كانوا يمثلون خليطًا من الفكر بدليل أنه بعد الثورة وقع الخلاف بينهم وخرج رشاد مهنا وبعده الاستاذ خالد محيى الدين وتوالت الخلافات وخرج الواحد بعد الآخر ثم خرج الجميع تقريباً بدليل أنه لا يوجد أحد من ضباط الثورة اليوم فى السلطة.

الموقف من أحداث كفر الدوار عام ١٩٥٢ :

كنا ضد إعدام العمال، وأنا أطالب بإعادة المحاكمة لأن أحداث كفر الدوار هى نفسها أحداث شيكاغو.

الموقف من هبة مارس ١٩٥٤ :

كنا نطالب بعودة الجيش إلى ثكناته، وأنا شاركت فى الإضرابات المضادة لمظاهرات الصاوى المؤيدة لعبد الناصر.

الموقف من مؤتمر باندونج وصفقة الأسلحة التشيكية :

كنا نؤيد موقف عبد الناصر من مؤتمر باندونج وصفقة الاسلحة التشيكية لأن ذلك كان تحولاً فى صالح الوطن.

الموقف من تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي :

كنا نؤيد تأميم القناة تأييداً مطلقاً، وندعو للدفاع عن الوطن ضد العدوان.

الموقف من انتخابات مجلس الأمة سنة ١٩٥٧ :

اعترضنا على تصرفات الحكومة، خاصة بالنسبة لعدم نزاهة الانتخابات، وكنت مؤيداً لعبد العظيم أنيس فى دائرة الوايلى، وكنت عضو لجنة الدعاية الانتخابية فى عرب المحمدى أنا وسلامة عبد الواحد والدكتور محمد أنيس.

الموقف من الأحلاف العسكرية :

كنا ضد أى حلف مع الغرب مهما كان.

الموقف من قرارات تمصير الشركات والبنوك الأجنبية :

كان موقفنا تأييد الحكومة لأن ذلك عمل وطنى.

الموقف من وحدة مصر وسوريا :

كنا ضد الوحدة الاندماجية لعدم التكافؤ بين البلدين، وطالبنا بوحدة فيدرالية على أساس ديمقراطى.

الموقف من قرارات التأميم :

كنا نؤيد التأميم لأنه مكسب للشعب على المدى البعيد.

الموقف من سياسات الاتحاد السوفيتى :

كنا نؤيد مواقف الاتحاد السوفيتى فى بناء الاشتراكية وكل مواقفه الدولية تأييداً تاماً.

الموقف من الصراعات داخل المعتقل :

أنا كان موقفى الحفاظ على التنظيم بكل الطرق.

الموقف من حل التنظيمات :

أنا كنت ضد الحل مهما كانت المبررات لأن أحداً لا يملك ذلك.

وأنا كنت بعد الإفراج عنا في مجموعة حزبية وكان معي منصور زكي ورجائي طنطاوي والزميل محمد بركات، وجاء الزميل حلمي يس وعرض موضوع الحل، ورفضنا جميعاً، أقصد كل اعضاء المجموعة، ولم أحضر بعد ذلك مؤتمراً أو كونفرنس لمناقشة هذا الموضوع.

أسباب الانقسامات في الحركة الشيوعية :

الانقسام في الحركة الشيوعية هو سبب تأخر اليسار في مصر وسيظل كذلك، وأرى أن الانقسام سببه خلافات العناصر القيادية وسعيها للزعامة.

أسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى سنة ١٩٦٥ :

السبب هو الصراع اللامبدئي، وأريد أن أذكر في هذه المناسبة أن عبد الناصر كان يعرف بما يجرى للشيوعيين في المعتقلات منذ عام ١٩٥٩، ويؤكد ذلك أنه كان في الأربعينيات صديقا لمحسن كرم الذى كنت أعمل في مصنعه وللزميل على القربى قبل أن يصبح شيوعياً. ولما قبض على الزميل على القربى اتصل محسن كرم بعبد الناصر فطلب عبد الناصر أن يكتب على القربى تعهداً بعدم ممارسة أى نشاط سياسي، ولما رفض على القربى ذلك رحل إلى معتقل الفيوم. وأحب أن أذكر بعض الرفاق الراحلين الذين أدوا أدوارهم، وهم محمد المدرك الذى عملت معه، ومحمود العسكرى ومحمد عبد الغفار ولويس اسحق وشهدى عطيه وفريد حداد وشعبان حافظ.

كما أحب أن أذكر الزملاء الذين استشهدوا في السجون والمعتقلات مثل على متولى الديب، وسيد أمين، وعبد القادر مفتاح، ولويس إسحق، وشعبان حافظ، وهلال عبد العزيز، وفريد حداد، وشهدى عطية الشافعي، ورشدى خليل، وحسب الله على مرسي. وأرى أخذ شهادات الأستاذ طه سعد، والزملاء سيد عبد الوهاب ندا، ونجاتي عبد المجيد ، ومحمد عبد الجواد القطان والزميل أحمد على خضر.

شهادة

نبيل قرنفلي

البيانات الشخصية

الاســــــــم : نبيل باسيل قرنفلي المعروف بنبيل قرنفلي

محل وتاريخ الميلاد : مواليد مصر الجديدة في ٣٠ نوفمبر ١٩٢٨

المـــؤهــــلات : بكالوريوس هندسة (ميكانيكا)، جامعة القاهرة عام ١٩٥٢، شهادة عليا في الترجمة (عربي، فرنسي، انجليزي)، جامعة باريس ٨ (ESIT) عام ١٩٨٢.

فترة السجن والاعتقال : اعتقلت سنة ١٩٤٨ حتى ٢١ فبراير ١٩٥٠، ثم من منتصف مارس سنة ١٩٥٢ حتى ٣٠ يوليو ١٩٥٢، ثم من ١٨ نوفمبر ١٩٥٢ حتى ابريل ١٩٥٦، ثم من يناير سنة ١٩٥٩ حتى إبريل سنة ١٩٦٤.

بيانات عائلية :

ولدت من أب مصري من أصل سوري، هاجرت أسرته من موطنها حمص بسوريا إلى القاهرة وكان عمره ٤ سنوات. وتعلم في مدرسة تابعة للجالية السورية في القاهرة ثم درس التجارة لمدة عامين في الجامعة الامريكية في بيروت. واحتفظ والدي بلكنة سورية طوال حياته. وكان مصري الجنسية. أما والدتي فكانت أيضًا سورية ولدت في بيروت وجاءت أسرتها إلى القاهرة وكان عمرها حينذاك ٣ سنوات، تعلمت في مدرسة السنية وأرسلت مع عدد من زميلاتها إلى لندن لإكمال دراستها. وعندما عادت إلى القاهرة عملت مدرسة ثم مفتشة في وزارة المعارف حتى زواجها من أبي إذ تركت العمل وأصبحت ربة أسرة. وظلت والدتي تتحدث طوال حياتها بفخر عن فترة الدراسة وعن عملها كمدرسة ثم كمفتشة في سن مبكرة في وزارة المعارف دون أن تشكو إطلاقًا - بوعي أو دون وعي - من مصيرها كامرأة مثلها مثل الغالبية الساحقة من النساء العربيات في ذلك العصر. ومع ذلك ودون أي شك شجعت والدتي في مخيلتي منذ سن مبكرة احترامي للمرأة كشريك للرجل في المجتمع وليس فقط كأم أو كربة أسرة في إطار المنزل، وأحسست أيضا بالظلم الواقع عليها في المجتمع عامة وبصفة خاصة في مجتمعنا المصري والعربي، وارتبط ذلك في وجداني منذ الصغر بالتخلف الحضاري الذي يصيب مجتمعاتنا إلى اليوم. أما والدي فكان يعمل تاجراً في الاقمشة وكان مثقفًا يقرأ الكتب العربية وجريدتي الأهرام والمقطم يوميًا، ولكني لا أنكر أنني سمعته يتحدث مرة واحدة في

السياسة أو يبدى رأياً فى القضية الوطنية فيما عدا الحادث التالى. فى الأيام الأولى للعدوان الثلاثى بينما كانت الجيوش الفرنسية والانجليزية تحتل بورسعيد والمعتدين الصهاينة يتقدمون فى سيناء ويوما واحدا قبل إنذار بولجانين (الإنذار الروسى الشهير) سألنى أبى (وكان يعلم أننى شيوعى) بانفعال شديد – «الروس بتوعك فين؟» وكانت هذه هى المرة الأولى التى أبدى فيها أبى أمامى شعوراً وطنياً.

الطفولة :

بدأت الدراسة فى مدرسة الفرير بمصر الجديدة وانتقلت بعدها إلى مدرسة الفرير بحى الخرنفش لإتمام الدراسة الثانوية. كانت غالبية التلاميذ من الجالية «الشامية» أى من أصل سورى أو لبنانى، أما المصريون من أصل مصرى فكانوا أقلية صغيرة، كما كانت غالبية التلاميذ من المسيحيين وأقلية صغيرة من المسلمين وأقل منهم من اليهود. وكان المدرسون من نفس هذه الأصول بنفس هذه النسب. أوضح كل هذه التفاصيل كى أبين أن التأثير المدرسى الاجتماعى لم يكن مختلفًا عن الجو الاجتماعى لأسرتى واصدقائها. لم ينم فى وجدانى أى شعور وطنى بالنسبة لبلدى مصر فلم يكن هذا الأمر موضع اهتمامنا أو حديثنا سواء فى المنزل أو فى المدرسة. ولكننى من ناحية أخرى كنت شغوفًا بالقراءة منذ سن مبكرة وغرس ذلك فى مخيلتى حب الديمقراطية والعدل والمساواة. ومنذ سن الثانية عشرة بدأت فى شراء صحيفة يومية اسمها Journal d'Egypte لمتابعة اخبار الحرب وكنت بالطبع ميالا لمعسكر الحلفاء وأذكر أننى كتبت شعرا لتمجيد التحالف الثلاثى (انجلترا وأمريكا والاتحاد السوفيتى) الديمقراطى ضد البلدان الدكتاتورية الفاشية. ولكن مصر، بلدى، لم تكن اطلاقًا فى الصورة!

سن الرشد :

انتهت الحرب فى ١٩٤٥ وبعدها بأشهر قليلة بدأت الدراسة فى كلية الهندسة ولأول مرة فى حياتى اندمجت فعلاً فى قطاع من المجتمع المصرى يتشكل غالبيته من شباب مصرى غالبيتهم منشأهم مصرى من أرض مصر منذ أجيال. وكان ذلك بعد فترة وجيزة بمثابة نور ساطع يلون مجتمع مصر الذى أعيش فى وسطه وعلى أرضه منذ نشأتى بلون جديد لم أعه من قبل، لون الوطن . العدل والمساواة والحرية اصبحت تعنى منذ ذلك الحين أن البلد الذى

أعيش فيه، مصر، من حقه المطلق مثل جميع البلاد أن يكون حراً ومستقلاً لا يخضع لإرادة أحد إلا شعبه. ونهاية الحرب كانت إيذانا باندلاع التحركات الوطنية الجديدة. وأذكر أن أول عمل وطني قمت به مع بعض الزملاء من الجامعة هو المرور على المحال التجارية فى حى مصر الجديدة لمطالبتها بإزالة اللافتات المكتوبة فى غالبيتها باللغة الفرنسية واستبدالها باللغة العربية! وفى السنة الثانية بعد دخولى الجامعة دعانى أحد الأصدقاء إلى حضور حفل عند أصدقاء له وتحول الحفل بعد سماع عزف موسيقى لمدة قصيرة إلى جلسة نقاش سياسى كان موضوعه : من يريد إشعال الحرب، أهى أمريكا أم الاتحاد السوفيتى؟ وبالطبع اعتماداً على معلوماتى السياسية القليلة المستقاة فى غالبيتها من جريدة Journal d'Egypte التى كنت لا أزال أقرأها ومن الأهرام، كان رأيى أن الاتحاد السوفيتى بصفته بلد «جوعان» هو الذى يريد الحرب بينما البلاد الغربية، أمريكا وانجلترا وفرنسا، شبعى بالمستعمرات ولا تحتاج الحرب!! وكان رأى الجميع عكس رأيى ولكننى بالطبع لم أقتنع. هذه كانت المرة الأولى التى أقابل فيها شيوعيين أو أعلم أن فى مصر شيوعيين وداخل نفس المجتمع الطلابى الذى أعيش فى وسطه. كنت شديد السذاجة! وعلمت فيما بعد أن هذه المجموعة الأولى من الشيوعيين التى حاولت إقناعى كانت تابعة لمنظمة الشرارة. وأثناء الشهور التالية تصادفت بالصدفة مع شيوعيين آخرين فى الجامعة حاولا اقناعى ولكن دون جدوى.

وكان رأيى فى القوى السياسية الثلاث، الشيوعيين والوفديين والاخوان المسلمين، التى كانت تتصارع فى الجامعة، كالآتى : الاخوان المسلمون متعصبون وأنا أكره التعصب وأدعو للعلمانية ومساواة المرأة بالرجل، والوفديون كثيراً ما تتهم قياداتهم بالسرقة واستغلال النفوذ، أما الشيوعيون فهم ليسوا ديمقراطيين وأنا أعشق الديمقراطية. ولكن رغم ذلك ومن خلال المناقشات مع بعض الأصدقاء الشيوعيين اقتربت منهم شيئًا فشيئًا ودون أن أعى ذلك بوضوح، حتى جاء يوم صدمت فيه عندما رأيت مجموعة من الإخوان المسلمين المسلحين بالشوم والجنازير الحديدية عددهم لا يزيد عن بضع عشرات يهاجمون جمعًا مسالما من الطلبة يزيد عددهم عن ألفين يستمعون إلى خطب وطنية يلقيها بعض الشيوعيين أو الوفديين من طلبة الجامعة. وقد هز هذا العدوان غير المسبب عواطفى بعنف، وقلت لصديقى الشيوعى الذى كان فى صحبتى – أنا اليوم أصبحت شيوعياً ... ولا زلت!

الخطوات الأولى :

كنت شغوفًا بالقراءة منذ الطفولة كما قلت، وطلبت من صديقى أن يساعدنى فى الحصول

على كتب ماركسية، فصحبنى إلى صديق مشترك اسمه اسماعيل مرزوق (ولنا عودة إليه فيما بعد) استقبلنى بترحاب كبير، كان عنده عدد كبير ومتنوع من الكتب الماركسية وسمح لى أن أستعير ماشئت من الكتب. وكان استيعابى للنظرية الماركسية بمثابة النور الساطع الثانى الذى لون حياتى بأكملها.

انضممت فورا للتنظيم السياسى الذى كان صديقى ينتمى إليه، وكان اسم هذا التنظيم «العصبة الماركسية». وكانت العصبة تفتخر حينذاك بأنها المنظمة الشيوعية الوحيدة التى ليس بين أعضائها يهود. وخلال شهرين حضرت اجتماعين فقط فى العصبة ولم أكلف بأى نشاط ولم يطلب منى أى عمل محدد. وكنت شديد الحماس وعلى استعداد للعمل السياسى بوتيرة أسرع بكثير مما كانت تتطلبه العصبة. وبعد شهرين عندما عرض على صديق آخر الانضمام إلى منظمة (م.ش.م) قبلت وتركت العصبة وانضممت إلى (م.ش.م) وكانت هذه المنظمة احدى المنظمات التى انشقت من منظمة (ح.د.ت.و) التى انفجرت بعد تشكلها ببضعة شهور. وباختصار شديد ما أذكره عن (م.ش.م) هو أنها كانت تركز جهودها بالكامل فى الطبقة العاملة ولا تهتم اهتماما كبيراً بالقضية الوطنية وتعتبر جميع المنظمات الشيوعية الأخرى منظمات بوليسية وتمنع أعضاءها من مجرد التحدث إلى أعضاء هذه المنظمات!

ومع ذلك فإن ذكرياتى عن فترة ارتباطى بمنظمة (م.ش.م) التى لم تزد عن سبعة أو ثمانية أشهر ذكريات طيبة جداً حيث كانت تتمشى مع حماسى الفائق وافتقادى للخبرة والحنكة السياسية بحكم صغر سنى نسبياً حينذاك. فهذه الفترة كانت مليئة بالنشاط والاجتماعات الحزبية التى كادت أن تكون يومية، وقابلت لأول مرة فى حياتى عمالاً يعملون فى مصانع النسيج فى شبرا الخيمة وكنت مسئولاً عن مجموعتين من المرشحين العمال.

كما كانت هذه الفترة مليئة بالدراسات والمناقشات النظرية (ولكن ينبغى القول إن الكتب التى كنا نقرؤها ونناقشها كانت من كلاسيكيات الماركسية وليس بينها دراسات عن مصر والأوضاع المحلية). توقفت فى هذه الفترة عن الدراسة أو حتى الذهاب أصلا إلى كلية الهندسة. وعندما جاءت العطلة الصيفية كان على أن أختار بين ترك المنزل ووقف الدراسة والاحتراف السياسى، أو الانصياع لرغبة والدى الذى كان يصر على مصاحبتى لأسرتى فى رحلة صيفية إلى لبنان. لم أكن حينذاك مستعدا لهذا التغيير الجذرى، وخضعت لإرادة والدى وذهبت مع أسرتى إلى لبنان. وكان هذا من حسن حظى لأنه أثناء وجودى هناك قرأت فى صحيفة الأهرام نبأ القبض على عدد كبير من الشيوعيين، ومن بين أسماء المقبوض عليهم

جميع الرفاق الذين كنت أناضل معهم. بالطبع كانت صدمة كبيرة لأننى بعدما عدت إلى القاهرة لم أنجح رغم محاولاتى العديدة فى الاتصال بمنظمة (م.ش.م) وكان هذا أيضًا من حسن حظى لأننى أفلت من مصير غالبية أعضاء المنظمة الذين سجن العديد منهم وحطمتهم فترة السجن بسبب سياسة قيادتهم الانعزالية التى تميزت باليسارية المتطرفة وبالسلطوية المطلقة. عندما تشكلت (م.ش.م) بعد الانشقاق من حدتو كانت أكبر المنظمات عددا وتم القضاء عليها تماما بعد عامين تقريبًا نتيجة الضربات البوليسية وسياساتها اليسارية الجنونية وأيضًا لنشاطها المفرط دون أى تعقل والفقدان التام للديمقراطية داخلها وسلطوية قيادتها.

طليعة العمال :

عدت للدراسة فى كلية الهندسة، وكان نشاط الشيوعيين قد خف بسبب إعلان الأحكام العرفية مع بداية حرب ١٩٤٨ مع إسرائيل. وبالطبع لعدة أشهر لم أتصل بأى شيوعيين آخرين حيث كنت لا أزال مقتنعًا بأن كل المنظمات الشيوعية الأخرى بوليسية! وعندما زال هذا الوهم بدأت أتسلم وأقرأ مطبوعات المنظمات المختلفة، ولكن الحقيقة التى يجب أن أعترف بها هى أنه لم تكن لى بعد الدراية السياسية الكافية كى أختار بوعى وإدراك سياسى بين التنظيمات المتعددة الموجودة فى الساحة الشيوعية. وفى نهاية المطاف انضممت إلى (طليعة العمال) لثقتى فى رفيقين احترمتهما احترامًا كبيرًا لأخلاقياتهما العالية ومواقفهما التى اتسمت بالجدية التامة، وهما الرفيق حسن صدقى وكان من زعماء كلية الهندسة، والدكتور الطبيب فريد حداد الذى كانت عيادته فى شبرا ويدعى طبيب الفقراء وكان شاهدى فى الزواج، واستشهد على بوابة معتقل أبو زعبل المشئوم. اشتركت فى المعركة الانتخابية التى حاز فيها الوفد على الأغلبية، وفى التظاهرة العظمى بعد أن ألغت الحكومة الوفدية معاهدة ١٩٣٦ خضوعا لضغط الجماهير العارم. وعندما صدر قرار التنظيم (وذلك بعد فترة من التردد) بالتدرب على السلاح للاشتراك فى العمل الفدائى فى منطقة القنال، اتصلت فى يناير ١٩٥٢ بصديقى القديم اسماعيل مرزوق، وكنت أعلم أنه على اتصال بضباط من الجيش وبالمجموعات التى بدأت تعمل فى منطقة القناة. وذهبت برفقة الرفيق جمال البراد ورفيق آخر لا أذكر اسمه مع اسماعيل وصديق له للتدرب على إطلاق النار فى صحراء الجيزة وراء الأهرامات. وحدثنا اسماعيل أثناء التدريب عن تنظيم الضباط الأحرار وعن اجتماعات لهؤلاء الضباط تتم فى ضاحية الزيتون ويشترك، هو طالب كلية الحقوق، فى حراستها! لم أعط أهمية كبيرة لهذه الثرثرة ولم آخذها

بمحمل الجدية، وكنت أتعجب أن يتحدث مناضل شيوعى عن مثل هذه الأسرار دون أى داع وخاصة عن مثل هذا العمل السرى الخطير داخل الجيش. واشتركت فى المظاهرات الكبرى فى ٢٦ يناير وشاهدت الحرائق فى وسط القاهرة وأعلنت الأحكام العرفية وأقيلت وزارة الوفد وهمدت الحركة الشعبية.

فى هذه المناسبة طلب منى التنظيم أن أتوقف عن أى نشاط سياسى علنى، وكنت على وشك الانتهاء من الدراسة والحصول على شهادة الهندسة، وفعلا حصلت عليها فى يونيو١٩٥٢ أى قبل انقلاب الضباط الأحرار بشهر واحد.

فى تلك الفترة كانت هناك منظمات شيوعية متعددة لن أتناول الحديث عنها جميعًا أو المقارنة بينها فيما عدا ثلاث منها هى : حدتو ومنظمة الحزب الشيوعى المصرى (الراية) وطليعة العمال، وذلك لأنها كانت المنظمات الكبرى التى توحدت فى يناير ١٩٥٨ وحازت على الاعتراف الدولى باسم الحزب الشيوعى المصرى. والسبب الثانى هو أن أغلب المنظمات الأخرى نشأت نتيجة انفجار حدتو فى ١٩٤٧ وبعد رحلة طالت أو قصرت حسب الظروف، وبعد انفجارات فى بعضها أدت إلى منظمات جديدة عادت جميعًا إلى المنظمة الأم حدتو، وشكلت ما سمى بالحزب الشيوعى الموحد. أما حزب الراية فغالبية أعضائه القياديين كانوا أيضًا منشقين من حدتو أصلا مثل سعد زهران بالإضافة إلى فؤاد مرسى واسماعيل صبرى عبد الله العائدين بعد الدراسة من فرنسا.

الموقف من الانقلاب العسكرى :

كان موقف المنظمات الثلاث شديد الاختلاف إزاء انقلاب الضباط الأحرار. حدتو أيدت الانقلاب تأييدًا مطلقًا. فقد كان لها تأثيرها المحسوس داخل مجموعة الضباط الأحرار واستمرت فى تأييدهم فترة طويلة، حتى بعد محاكمة وإعدام الشهيدين خميس والبقرى وحل جميع الأحزاب القائمة ونشر وتوسيع برنامج النقطة الرابعة الأمريكى (بل إن عناصرها مثل عبد المنعم الغزالى وأحمد طه دارا فى شوارع كفر الدوار لدعوة العمال إلى الهدوء والسكينة بمكبرات الصوت). وقد لعبت حدتو دورًا بالغًا فى السوء لكى تقبل الجماهير إرهاصات الدكتاتورية الناشئة التى نجح عبد الناصر فى فرضها على الشعب المصرى طوال عهده. أما حزب الراية فقد عارض الانقلاب معارضة مطلقة منذ اللحظة الأولى دون أن يأخذ فى الاعتبار

بعض الجوانب الإيجابية مثل طرد الملك وبدايات الإصلاح الزراعى. ودام هذا الموقف اليسارى المتطرف حتى عام ١٩٥٦ حيث انقلب إلى عكسه تماماً، أى إلى موقف موغل فى يمينيته كما سنرى فيما بعد. أما طليعة العمال فكان موقفها متعقلاً إذ وضعت شروطها لتأييد النظام الجديد مثل اطلاق الحريات العامة والنقابية.. الخ.

وبعد إعدام خميس والبقرى وقمع عمال كفر الدوار ووضوح الصورة السياسية عامة، مثل اختيار على ماهر شديد الرجعية رئيساً للوزراء واحتضان السفير الأمريكى للخطوات الأولى للانقلاب، اتخذت طليعة العمال موقفاً واضحاً محدداً هو المعارضة الكاملة ونعتت النظام الجديد بالدكتاتورية العسكرية، وفى قليل من الأحيان على ما أذكر بالفاشية. ودام هذا الموقف حتى يناير ١٩٥٥ ولنا عودة إلى ذلك فيما بعد.

بعد أن طلبت منى المنظمة وقف نشاطى العلنى بمدة سبعة شهور تقريبًا وكنت قد بدأت العمل مهندسًا، اتصل بى الرفيق صادق سعد وأفهمنى أننى سوف أعمل فى جهاز الاتصال وأنه مسئولى الجديد وأننى يجب أن أستمر فى عدم القيام بأى نشاط علنى وأن أمتنع تماما عن الثرثرة وأكون شديد الحذر فى اتصالاتى الحزبية. ومضت على هذا الوضع حتى فبراير أو مارس ١٩٥٧ حيث عقدت طليعة العمال مؤتمرها الثانى ولنا عودة إلى ذلك فيما بعد. وطوال هذه الفترة جاءنى صادق سعد عشرات المرات وأصبحنا على مدى الايام صديقين حميمين وأدين له بجزء هام من تطورى السياسى والفكرى. وبالإضافة إلى ذلك أصبح منزلنا (تزوجت من عايدة عبد النور فى هذه الفترة وهى من أصل فلسطينى ولا زالت تناضل فى مجال القضية الفلسطينية) مقراً لاجتماعات قيادة طليعة العمال. وكنا شديدى الحذر، يصل صادق قبل الآخرين، وعندما يبدأ الآخرون فى الوصول أدخل فى غرفة وأبقى فيها ويستقبلهم صادق. وأذكر تماما أننى لم أر احدا من القادة الآخرين قبل مؤتمر ١٩٥٧، رغم اجتماعهم عدداً لا يحصى من المرات فى منزلنا. إننى أروى كل هذا لكى أؤكد أن ممارسة الحذر والأمان كانتا ميزتين تتحلى بهما طليعة العمال لحماية الكادر والأعضاء بخلاف المنظمات الأخرى ولذلك أذكر الأرقام التقريبية التالية : فى فترة ١٩٥٣ حتى ١٩٥٦ دخل السجون والمعتقلات بين ٧٠٪ و٨٠٪ من أعضاء حزب الموحد وبين ٨٠٪ و٩٠٪ من أعضاء حزب الراية و٢٠٪ من أعضاء طليعة العمال. إننى أعلم أن الحذر والاهتمام بالأمان ليسا العاملين الوحيدين لحماية المناضلين بل هناك أيضا وبصفة خاصة السياسة السليمة، فى مقابل السياسة المتطرفة يساراً التى تزيد من العزلة عن الجماهير والسياسة اليمينية التى لا تفرق جيداً بين الصديق والعدو.

فى هذه الفترة دارت أحداث سياسية عديدة وكانت المنظمات الثلاث أساليب مختلفة لمواجهة هذه الاحداث. فمثلاً كان هناك فرق جذرى بين مواقف طليعة العمال وحزب الراية فيما يتعلق بسياسة التحالفات مع القوى السياسية الأخرى. كان حزب الراية يدعو إلى تشكيل جبهة شعبية مع الإخوان المسلمين وحزب أحمد حسين المسمى بالاشتراكى ضد الوفد قبل يوليو ١٩٥٢، وضد نظام عبد الناصر ومحمد نجيب بعد ذلك. بينما كانت سياسة طليعة العمال الثابتة هى التحالف مع الطليعة الوفدية والسعى للتحالف مع الجماهير الوفدية العريضة لمحاربة كل القوى الرجعية الأخرى، وبصفة خاصة الإخوان المسلمين الذين كنا نتهمهم بالفاشية، وحزب أحمد حسين الاشتراكى الذى كان من أنصار هتلر وموسولينى عندما كان يسمى حزب مصر الفتاة قبل هذه الفترة بسنوات قليلة. أما سياسة حدتو فكانت تتأرجح بين الموقفين حسب الظروف. وكما ذكرنا ظلت حدتو لمدة أشهر طويلة تؤيد النظام العسكرى ثم غيرت موقفها وظلت على موقفها الجديد حتى نهاية ١٩٥٥ أو بداية ١٩٥٦.

وعارضت المنظمات الثلاث عبد الناصر وأيدت محاولة إعادة الديموقراطية عندما دب الخلاف بين جناح محمد نجيب وجناح عبد الناصر. وعارضت المنظمات الثلاث أيضًا المعاهدة الجديدة مع بريطانيا التى دفعت للحصول على وعد من بريطانيا بالجلاء ثمنا أعلى من معاهدة صدقى – بيفن التى أسقطها الشعب فى عام ١٩٤٦ إذ كانت تربطنا هذه المعاهدة الجديدة بتركيا التى كانت عضوا فى حلف الأطلنطى.

الموقف السياسى الجديد :

بدأ التغير الكبير فى سياسة عبد الناصر فى ديسمبر ١٩٥٤ حيث رفض بتاتا الدخول فى حلف السنتو مع تركيا وعراق نورى السعيد وباكستان، هذا الحلف الذى حاولت أمريكا أن تفرضه على بلادنا. ثم فى يناير أو فبراير ١٩٥٥ أعلن عبد الناصر أنه سوف يحضر مؤتمر باندونج الذى نظمه نهرو الزعيم الوطنى الهندى وشوإن لاى الشيوعى الصينى وسوكارنو الزعيم الاندونيسى للبلد المضيف. وهنا بادرت طليعة العمال بإرسال خطاب مفتوح إلى الرئيس عبد الناصر تؤيد موقفه الوطنى فى رفض الاشتراك فى حلف السنتو كما تؤيد حضوره مؤتمر باندونج. ثم توالت الأحداث وتمت صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا وسحبت أمريكا وبريطانيا عرضهما لتمويل السد العالى. ثم أمم عبد الناصر قناة السويس وبدأ بعد أشهر العدوان الثلاثى. ومنذ بداية ١٩٥٥ بعدما ذهب عبد الناصر إلى باندونج غيرت منظمة طليعة

العمال توصيفها للنظام الناصرى بأنه ديكتاتورية عسكرية واعتبرته نظاما وطنياً وأيدته تأييداً نقدياً ولم تتوقف عن مطالبته بإطلاق الحريات الديمقراطية. أما الحزب الموحد وحزب الراية فلم يغيرا موقفهما المعارض ويؤيدا النظام الوطنى إلا فى بداية ١٩٥٦.

مؤتمر طليعة العمال :

بعد فترة تأميم القناة والعدوان الثلاثى – أى فى نهاية ١٩٥٦ – بدأنا الإعداد للمؤتمر بدراسة الوثائق التى أعدتها قيادة التنظيم وبانتخاب المندوبين للمؤتمر وذلك فى جميع الخلايا القاعدية وفى مختلف المستويات التنظيمية الأخرى. وسألنى صادق سعد إذا كنت على استعداد لتولى مسئولية الإعداد المادى والمعيشى للمؤتمر، أى استئجار مكان مأمون فى وسط القاهرة لعقد المؤتمر وتوفير الطعام اللازم لمدة ثلاثة أيام بكميات تكفى لثلاثين شخصاً فطلبت منه مهلة للتفكير فى الأمر، خاصة وأننى كنت أريد مشاورة زوجتى لأننى كنت سوف أحتاج لمساعدتها فى الإعداد. قبلت تحمل المسئولية الجسيمة واستأجرت شقة فى عمارة الإيموبيليا لأنها كانت فى نظرى مأمونة حيث أنها كبيرة جدا والمرور فيها دائم ومتواصل وتسمح بمرور الرفاق الثلاثين المخطط حضورهم دون أن يلتفت إليهم أحد.

وأحضرت المأكولات اللازمة بمعاونة زوجتى وحملناها إلى الشقة المستأجرة على عدة مرات كى لا نلفت الأنظار. ثم اصطحبت صادق سعد (الذى كان قد غير اسمه إلى أحمد صادق سعد بعد إشهار إسلامه لأسباب سياسية كى يقطع أية صلة باليهودية التى كانت موصومة بالصهيونية وبإسرائيل ويمكن أن تستخدمها الدعاية الرجعية والعنصرية) إلى الشقة المستأجرة لكى يراها. وتولت بعد ذلك قيادة طليعة العمال مهمة إحضار الرفاق يوم المؤتمر الأول ولم يخرج أحد من الشقة المستأجرة لمدة الثلاثة أيام الكاملة التى دار فيها المؤتمر غيرى أنا، حيث كنت أذهب يوميا لشراء الصحف والتأكد من عدم وجود تحركات مشبوهة حول عمارة الإيموبيليا تنبئ بأى خطر.

حضر المؤتمر فى واقع الأمر ٣١ شخصاً من بينهم رفيقة واحدة هى ثريا أدهم، وبالإضافة إلى كاتب هذه السطور كان الحاضرون الاخرون هم : أبوسيف يوسف وكان سكرتير المنظمة قبل المؤتمر، وحلمى يس، ويوسف درويش، وحسن صدقى الذى قابلته للمرة الأولى بعد أيام الجامعة وحسين توفيق طلعت، ومحمد بدر وأحمد سالم ومحمد عبد الغفار وفؤاد عبد المنعم وصادق سعد وريمون دويك ونبيل صبحى وعادل الضبع ورشدى خليل وعوض الباز ولويس

اسحاق وعبد الباسط خلاف وصفوت يس وعدد من الرفاق الآخرين لا أتذكر أسماءهم.

وعلى ما أتذكر كان عدد العمال فى المؤتمر يقرب من ٣٥٪ وفى اللجنة المركزية التى انتخبت فى المؤتمر ٤٥٪ وناقشنا وثائق المؤتمر مثل الخط السياسى والخط التنظيمى والعمل الجماهيرى وبالطبع قضية الوحدة مع الشيوعيين الآخرين. وبهذا الخصوص أذكر أننى لم أسمع رأياً واحداً ضد الوحدة ولكن كان هناك خلاف حول التعجيل بعمل الوحدة، وكان يمثل هذا الرأى فى طليعة العمال قسم الطلبة المتحمسين فى أغلبيتهم للوحدة بأى ثمن بحكم اختلاطهم وتداولهم مع رفاق من منظمات أخرى وكفاحهم الوطنى والديمقراطى المشترك واقتناعهم بأن الخلاف بين القيادات المختلفة قائم بسبب التنافس على المراكز القيادية ولأسباب حلقية، ولم يدركوا أن الفروق أعمق بكثير من هذا التصور الساذج كما اتضح بعد الوحدة. وكان يمثل هذا الاتجاه فى المؤتمر الرفيق الشهيد رشدى خليل وعادل الضبع ورفيق آخر لا أتذكر اسمه. أما الغالبية سواء فى المنظمة أو فى المؤتمر وبصفة خاصة الأغلبية الساحقة من العمال الحاضرين فى المؤتمر كانت مع الوحدة ولكن بتريث شديد وحذر. وكان هذا رأيى أيضاً. وأثناء المؤتمر طلب منى صادق سعد أن أروى للمؤتمر مقابلتى مع أحد قادة الحزب الشيوعى اللبنانى فى بيروت، وكنت قد ذهبت فى رحلة خاصة مع عدد من الاصدقاء إلى لبنان وسوريا فى اغسطس ١٩٥٦ أى بعد تأميم القناة وكان عبد الناصر فى أوج شعبيته، واستقبلنا بصفتنا مصريين كأبطال فى المحال التجارية والمطاعم والفنادق التى أقمنا فيها، وفى سوق الحميدية فى دمشق مثلاً وذلك مع انتفاء أية صفة رسمية لنا ولمجرد أننا مصريون! عندما قابلت هذا القائد وأعتقد- دون تأكيد- أنه كريم مروة، بعد بضع دقائق من الحديث سألنى : هل هناك يهود فى منظمتك؟ عندما أجبت بالإيجاب قال فوراً بلهجته اللبنانية : ما ينفعش!! وكانت هذه المرة الأولى التى سمعت فيها قائداً شيوعياً من خارج مصر يبدى مثل هذا الرأى واعتبرته خروجاً على كل المبادئ الأممية التى استوعبتها منذ ارتباطى بالشيوعية. رويت هذه القصة للمؤتمر ولا أتذكر أن أحداً علق أى تعليق.

بعد مناقشة الوثائق المختلفة تم انتخاب اللجنة المركزية وانتخبت القائمة المقدمة من القيادة السابقة بالكامل، ولم يحصل الرفاق الذين تقدموا خارج هذه القائمة على أصوات كثيرة. وأذكر أن الشهيد رشدى خليل كان فى القائمة المنتخبة رغم رأيه فى عملية الوحدة الذى كان مختلفاً تماماً مع رأى الأغلبية الساحقة.

وأتذكر تماما أننى تأثرت كثيراً بأسلوب الانتخاب فكل مرشح يقدم نفسه ونضاله وينتقد

الأخطاء التى وقع فيها ونواقصه ويعد بمحاولة التخلص منها، ثم يتحدث عنه مسئول سابق ورفيق آخر عمل فى الماضى تحت مسئوليته بنفس أسلوب الانتقاد المتعقل وكانت الروح الرفاقية عالية جداً والوحدة الفكرية تكاد تكون كاملة.

حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصرى :

وانتهى المؤتمر وتغير اسم التنظيم إلى حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصرى الذى عرف باسم (ع.ف) وكانت منظمة (ط.ع) تضم قبل إلغاء الأحكام العرفية وتأميم القناة حوالى ٣٠٠ عضو ومجموعة هائلة من العاطفين والمرشحين منذ سنوات فى بعض الأحيان. وانتقد المؤتمر أسلوب منح العضوية وانقفال التنظيم الذى كان لا يقبل عضوا إلا بعد أن يكون قد اكتسب الصفات الأساسية للشيوعي المناضل المدرب. وتغيرت سياسة التجنيد إلى الانفتاح واعتبر حزب (ع.ف) الجديد أن العضو يكتسب الصفات الأساسية للشيوعي المناضل داخل الحزب لا قبل دخوله! ولذا فى نهاية ١٩٥٧ بعد المعركة الانتخابية التى انتخب فيها أول مجلس أمة فى الجمهورية المصرية كان عدد أعضاء (ع.ف) قد ارتفع إلى ٢٠٠٠ عضو.

وكانت (ط.ع) فى منتصف ١٩٥٦ قد كلفت ريمون دويك مسئولا وحسين طلعت وحسن صدقى لمعاونته فى إقامة دار علنية للنشر. وسميت هذه المؤسسة «الدار القومية للنشر والتوزيع» وسجلت نجاحات هائلة فى مدة قصيرة بحيث أصبحت من أكبر دور النشر بعد مدة لا تزيد عن سنتين، وصفيت هذه المؤسسة بعد عملية القبض الكبرى فى ليلة رأس سنة ١٩٥٩.

وبعد المؤتمر رفع عنى إلى حد ما الحظر على ممارسة أى نشاط علنى، وكنت قد قابلت بعد سنين طويلة عدداً كبيراً من الشيوعيين وكان ذلك بمثابة هواء نقى جديد أستنشقه بعد فترة طويلة من الحرمان، وأقمت صداقات جديدة مع حلمى يس وحسين طلعت ويوسف درويش وأبو سيف واستأنفت صداقات قديمة مع ريمون دويك وحسن صدقى.

وكلفت بعد المؤتمر بمسئولية الجهاز الفنى، وحصلنا فى تلك الفترة على جهاز طباعة حديث وجديد، وأصبحت مطبوعاتنا التى كنت على الدوام أشكو من سوء طباعتها تقرأ بسهولة. ولم أشترك فى المعركة الانتخابية فى ١٩٥٧ لأن رفع الحظر على نشاطى العلنى لم يصل إلى هذا الحد! وكانت مفاوضات الوحدة قد بدأت، ورغم ذلك برزت الخلافات بقوة أثناء المعركة الانتخابية خاصة مع الحزب الموحد، وكانت عناصر حدتو قد سيطرت عليه من جديد بعد فترة

من التوازن بينهم وبين العناصر الآتية من المنظمات الصغيرة التى توحدت فى الحزب الموحد، وكانت الوحدة فى الحزب المتحد على وشك الحدوث بين حزب الراية وحزب الموحد.

وأبرز مثال كان بالنسبة لدائرة الوايلى حيث كنا نؤيد الرفيق عبد العظيم أنيس الذى كان قد وافق على برنامجنا الانتخابى . فى هذه الفترة كان تأثيرنا كبيراً فى عدة مناطق فى القاهرة وضواحيها وفى عدد من المدن الأخرى. وكان الاتحاد القومى قد رفض جميع المرشحين الذين قدمتهم (ع.ف) من أعضاء الحزب مثل حلمى يس وحسين طلعت وطه سعد عثمان ومن غير الأعضاء مثل سعيد خيال. رغم ذلك أيد برنامجنا الانتخابى عدد من المرشحين إلى جانب عبد العظيم أنيس. أما الحزب الموحد فرفض تأييد عبد العظيم أنيس لأنه لم يكن من توابعه، وأيد عبد العزيز مصطفى بحجة أنه نقابى من عمال الترام وله علاقة هلامية ما بحدتو! وكانت المعركة ضارية بين الجانبين، وانحازت الحكومة والمباحث العامة إلى جانب عبد العزيز مصطفى. ورغم ذلك كاد عبد العظيم أن ينجح بفارق كبير في الأصوات لولا عملية تزوير الصناديق الانتخابية التى يتحمل عبد العظيم إلى حد ما مسئولية نجاحها إذ لم يقم بالعمل اللازم لمنع هذا التزوير بالرغم من نصائحنا.

وكانت مفاوضات الوحدة تدور على قدم وساق، وكانت الوحدة قد تمت بين الراية والموحد داخل حزب سمى الحزب المتحد، ولكن لم تتخذ خطوات فعلية فى تنفيذ هذه الوحدة عمليا. وفى ديسمبر ١٩٥٧ كان الاتفاق قد تم على أسلوب الوحدة والحماس شديد بين الشيوعيين حيث أنه لأول مرة فى تاريخ مصر بعد الحرب العالمية الثانية ينشأ حزب شيوعى يضم الغالبية الساحقة من الشيوعيين المنظمين. ولم يتبق خارج الحزب غير تنظيمين صغيرين هما طليعة الشيوعيين ووحدة الشيوعيين اللذان يضمان معا عشرات قليلة من المناضلين. وتم الاتفاق على أن يقدم كل حزب العدد الاجمالى لأعضائه وتحددت على هذا الأساس تقريبًا النسب فى اللجنة المركزية للحزب الواحد. وعلى حد علمى تقدم حزب الراية بشرط لا تنازل عنه، وهو أبعاد كل رفيق «منحدر من أصل يهودى» من القيادة المركزية. وبالطبع كان رد الفعل عنيفًا فى صفوف حزب (ع.ف) فى أول الأمر، إذ يطلب منا استبعاد يوسف درويش وريمون دويك وصادق سعد وهم مؤسسو هذا التيار ويحوزون على احترام وتقدير جميع الأعضاء لأخلاقياتهم الرفيعة والتضحيات الجسيمة التى قدموها للوطن وللطبقة العاملة. أذكر أننى ذهبت فى أواخر شهر ديسمبر إلى شقة ريمون دويك لحضور اجتماع اللجنة المركزية لمناقشة هذا الشرط الذى قدمته الراية.(وكنت قد صعدت إلى ل.م. بعد المؤتمر ولم أنتخب فيه لأن أحدا

لم يعرفنى كمناضل قبل المؤتمر فيما عدا صادق سعد). ذهبت إلى هذا الاجتماع وأنا متأكد من موقفى، وهو الرفض بالطبع، ومن موقف جميع الرفاق الذين بالتأكيد سوف يرفضون هذا الشرط مثلى. وتحدث أبو سيف يوسف وقدم القضية كما يلى : الوحدة على وشك الاتمام وكل شئ جاهز للحظة التى تمناها الشيوعيون منذ سنين طويلة. والحركة الأممية تنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر ولا يمكن وأد كل هذه الآمال. ويوجد حاليًا فى القاهرة مندوب من المكتب السياسى للحزب الشيوعى الإيطالى هو الرفيق «سبانو» ورفيق آخر من المكتب السياسى للحزب الشيوعى العراقى جاءا إلى مصر أثناء المراحل النهائية لمناقشات الوحدة للتأكد من نجاحها. وعندما سئل الرفيق سبانو عن رأيه فى هذا الشرط لم يعارضه وقال إن هذه مناسبة سياسية ويعنى بذلك أن ظروف الوضع مع اسرائيل وترك اليهود مصر فى هذه الظروف (وكانوا قد هاجروا من مصر بأعداد وفيرة فى ١٩٥٧) تسمح بوضع مثل هذا الشرط. أما الرفيق العراقى فلم يقبل ابداء رأى ما فى مثل هذا الموضوع. لا أنكر ما هى المناقشات التى دارت ولكن أتذكر تماما نتيجة التصويت. وافق الجميع بمن فيهم يوسف درويش وريمون دويك على قبول الشرط فيما عدا صادق سعد الذى امتنع عن التصويت وصفوت يس الذى عارض تماما قبول هذا الشرط. أما أنا فلخجلى الشديد حتى اليوم صوت مثل الآخرين خضوعًا للضغط المعنوى وخوفا من مسئولية إفشال الوحدة المرتقبة واحترامًا لحكمة وحنكة قادة (ع ف). وفى رأيى لم تكن العنصرية هى الدافع الأساسى وراء الشرط الذى وضعته قيادة الراية فإننا نعرف جميعًا أن الأب الروحى للمجموعة القيادية فى الراية العائدة بعد دراستها فى فرنسا والتى كانت هى الاساس فى تشكيل حزب الراية، رفيق من أصل يهودى مصرى وعضو فى الحزب الشيوعى الفرنسى اسمه «أجيبيون» وصديق آخر لهذه المجموعة العائدة من فرنسا هو «مكسيم رودنسون» وهو يهودى الأصل أيضًا ومعاد تماما للصهيونية. ورغم أن هذا الشرط فى رأيى لم يوضع فى الأساس بدافع العنصرية عند أغلبية هذه القيادة إلا أنها استغلت الفكر العنصرى الذى كان متفشيًا إلى حد كبير فى صفوف حزب الراية، كما ظهر ذلك بوضوح فى معتقل الواحات، بل كان الهدف الحقيقى لوضع هذا الشرط من قبل قيادة الراية هو تقسيم قيادة (ع ف) داخل الحزب. وقد فشلوا تماما فى محاولة تقسيم ع ف. ونجحوا تمامًا فى الهدف الثانى وهو اضعاف الحذر السياسى والحنكة السياسية والترقب ضد الفكر اليمينى كما سنرى فى تطور الأحداث.

الحزب الشيوعي المصرى (٨ يناير ١٩٥٨) :

وتم اعلان الوحدة فى يناير ١٩٥٨، وتشكلت اللجنة المركزية الجديدة آخذة في الاعتبار أرقام العضوية التى قدمها كل حزب : ١٧٠٠ بالنسبة للموحد، ٣٠٠ بالنسبة للراية، و٢٠٠٠ للعمال والفلاحين كما ذكرت أعلاه. لا أتذكر جيداً أرقام ل.م. ولكن صادق سعد أقنعنى، وقبلت ذلك بسهولة، بأن لا أكون فى قائمة ل.م من أصل (ع.ف) وذلك للمحافظة على أمنى على قدر الامكان حيث أن أسماء أعضاء ل.م كانت متداولة بين الجميع، فعينت مسئولاً تنظيميا ثانوى الأهمية وغير معروف فى أحد أقسام القاهرة والذى كان أغلب أعضائه عمالا فى المطابع الأميرية. كما عينت عضوا فى المجموعة التى تحرر وتصدر مجلة الحزب المركزية (كفاح الشعب) وكانت مكونة من ثلاثة رفاق، واحد من حزب الراية سعيد عارف، والثانى من الموحد فتحى خليل، والثالث كاتب هذه السطور وكان مسئول المجموعة سعد زهران. وهنا أعتقد من المفيد أن أروى حادثًا لا لأهميته فى حد ذاته ولكن لإعطاء مثال لتصرفات أحد قادة حزب الراية التى تتمشى فى رأيى مع عقلية هذه المجموعة وانتفاء الديمقراطية فى تقاليدها. فى إحدى الجلسات قدمت المقال الذى كان قد طلب منى إعداده ولا أتذكر تماما الموضوع ولكنه كان يتناول سياسة الحزب. وبعد قراءة المقال على الجميع بدأ سعد زهران ينتقد أجزاء عديدة من المقال بمفهوم يمينى، وكنت فى كل مرة أثبت له تطابقها مع الوثائق الرسمية الصادرة من قيادة الحزب (التى يعرفها هو بالطبع واشترك فى وضعها فى القيادة). وفى كل موضوع خلافى كان يقف إلى جانبى الرفيقان الآخران بحيث أسقط فى يده تمامًا واضطر أن يوافق على صياغة المقال كما هو ودون أى تغيير. عندما صدر عدد المجلة اكتشفت أن مقالى قد تغير تماما وأصبح يحتوى كل الأفكار اليمينية التى كان سعد يريد إدخالها على المقال. أعددت مذكرة مفصلة موجهة إلى المكتب السياسى، وفى الجلسة التالية قدمتها لسعد زهران وطلبت منه أن يقرأها علينا نحن الثلاثة وأن يسلمها بعد ذلك للمكتب السياسى.

أذكر أن لون وجهه تغير مع قراءة المذكرة ثم بعد انتهاء الجلسة طلب منى البقاء بعد انصراف الرفيقين الآخرين ورجانى رجاء شديداً ومتكرراً أن أسحب مذكرتى. واعتبرت الدرس كافيا وسحبت الشكوى!.

وفى شهر نوفمبر ١٩٥٨ عينت عضوا فى الهيئة الحزبية المسئولة عن الشؤون البرلمانية وأذكر من القصص الطريفة أننى كنت أعمل مهندسا فى شركة يعمل فيها أيضًا فايق فريد، وكان على ما أتذكر عضو مجلس الأمة الشيوعى الوحيد. وصباح يوم الاجتماع فضلت أدبيا

أن انبئ فايق فريد الذى كنت أعمل بجانبه منذ شهور طويلة أننى أعلم أنه عضو فى الحزب، وأننى أيضًا عضو فى نفس الحزب وسوف أجتمع معه فى نفس الجلسة وصعق اندهاشًا!

وفى نفس الفترة سحبت من مسئولية التنظيم فى قسم المطابع الأميرية فى وسط القاهرة وعينت مسئولاً للدعاية فى لجنة قطاع شمال غرب الوجه البحرى والتى كانت تشمل الاسكندرية – كفر الدوار– رشيد على ما أتذكر. ولكنى لم أحضر أى اجتماع للجنة القطاع هذه حيث تمت عملية القبض الكبرى فى ليلة رأس السنة ١٩٥٩، ولأول مرة فى حياتى دخلت المعتقل.

وينبغى القول إنه للمرة الأولى فى تاريخ ما بعد الحرب العالمية الثانية كشفت المنظمات الشيوعية أحشاءها بالكامل لضربات الدولة والمباحث العامة، وإن كان هذا عاديًا بالنسبة لحدتو – الحزب الموحد، ونعلم جميعًا أن وحدة الموحد تمت فى عام ١٩٥٥ وقيادتها بالكامل فى السجن، ومتكرر أيضًا بالنسبة لحزب الراية الذى كانت كل قيادته فيما عدا فؤاد مرسى مسجونة أو معتقلة فى عام ١٩٥٥، إلا أن الأمر كان يختلف اختلافًا شديدًا بالنسبة لحزب (ع.ف) الذى لم يكن معتقلاً من قيادته فى هذه الفترة إلا عدداً قليلاً جداً من المناضلين. وكانت الثرثرة متفشية وأسماء القيادة متداولة بين الجميع. وانتقلت عدوى هذه التصرفات إلى صفوف حزب (ع.ف) ولذا عندما حدثت الضربة أطاحت بالجميع. ولنا عودة إلى هذا الموضوع فيما بعد.

الانقسام :

منذ بداية الوحدة تم عمليا قيام تحالف ضمنى بين (ع.ف) و(الراية) وعناصر الموحد غير التابعة لتيار (حدتو). فالجميع يعرف من التاريخ السابق لحدتو وتصرفات الهيكل الكوريلى فيها كيف تمكنت المرة تلو المرة من السيطرة على كل تنظيم نشأ عن وحدة دخلت فيها. حدث هذا الأمر حتى فى الوحدة الأولى بين ح.م. واسكرا (وكان عدد أعضاء اسكرا أكبر بكثير من عدد أعضاء ح.م) التى شكلت حدتو، إذ سيطرت مجموعة كورييل على تنظيم حدتو الجديد بعد فترة قصيرة. وهذه السيطرة، التى تمت بأسلوب تآمرى وتصرفات أقل ما يمكن وصفها به هو افتقادها لأية أخلاقيات، من ضمن الأسباب الرئيسية للانفجارات المتتالية التى انتابت حدتو ونشأ عنها العديد من التنظيمات. حدثت مرة أخرى بعد تشكيل الموحد وانضمام حدتو إليه حيث سيطرت حدتو عليه بعد فترة قصيرة. وفى رأيى أن التحالف الضمنى مع بعض عناصر

الموحد أمر طبيعي حيث كان هناك تشابه فى المواقف السياسية.

أما التحالف مع حزب الراية فكان أقل مبدئية. صحيح أنه كانت هناك ضرورة تقليم أظافر حدتو ومنعها من السيطرة على الحزب بأساليبها الملتوية، إلا أنه كان هناك خلاف جذرى بيننا وبين حزب الراية الذى كان بعد توغله فى اليسارية المتشددة حتى بداية ١٩٥٦ قد انقلب وتوغل فى الفكر اليمينى وفى الانحراف القومى بعد ذلك (ولنا عودة إلى هذا الموضوع فيما بعد). وفى رأيى: اتخذ هذا التحالف غير المبدئى لونا تكتليًا أعطى لاتهامات منظمة حدتو شيئًا من المصداقية عندما انشقت من الحزب وذلك عندما فقدت بعد مدة قصيرة أى أمل فى السيطرة عليه.

الاعتقال :

دخلت المعتقل إذا فى أول يناير ١٩٥٩ وأقمنا جميعًا فى سجن القلعة لمدة ثلاثة أشهر ثم نقلنا بالقطار مكبلين بالسلاسل الحديدية والكلبشات طوال مدة السفر حتى سجن الواحات. ولم أقدم للمحاكمة لأن الاتهام لم يجد أى دليل على اشتراكى فى الحزب. وبقيت فى سجن الواحات حتى الإفراج عنى. عانيت كبقية المعتقلين المعاملة السيئة والجوع والحفاء والضرب مرتين أو ثلاث. ولكننى أقول دائمًا عندما أسأل أن حسن حظى كان كبيرًا لأننى لم أمر بمعتقل الفيوم أو بأوردى أبو زعبل الذى عانى فيه الرفاق التعذيب يوميًا وعوملوا فيه معاملة شبه نازية تفتقد فقط وجود أفران الغاز لكى تتلون كاملاً بصفة النازية.

مايمكن قوله عن فترة اعتقالى هو أنها كانت أسوأ فترة قضيتها فى حياتى، لا بسبب فقدان الحرية أو معاناة المعاملة السيئة من قبل السلطة، فهذا متوقع وكان سهل الاحتمال بالنسبة لى خاصة وأننى احتفظت بصحة جيدة طوال اعتقالى، ولم يكن هناك داع للانشغال على زوجتى حيث كانت تعمل فى وظيفة جيدة. السبب هو الصراع الايديولوجى غير المبدئى الذى دار داخل الحزب والذى أبرز كل نقاط الضعف الأخلاقية التى لم أكن أتصورها عند رفاق مناضلين. هذا لا يعنى بالطبع أنه لم تكن هناك صور من البطولة الفردية والجماعية التى كانت تجعلنى أفخر بانتمائى إلى الحزب الشيوعى. ويكفى أن أقول إن الشيوعيين المصريين صمدوا فى أغلبيتهم الساحقة رغم طول مدة الاعتقال والتعذيب والمعاملة السيئة التى تحملوها والمحاولات المستمرة والمتكررة – حتى آخر لحظة – التى قامت بها السلطة الناصرية كى

يتخلى الشيوعيون عن هويتهم الشيوعية. لكن رغم ذلك فإن النواقص التى ظهرت فى أخلاقيات بعض الرفاق، والعنصرية التى لم أكن أتصورها عند شيوعيين مناضلين، والأنانية التى برزت مثلاً إزاء الموقف من الحياة العامة، كانت بالنسبة لى جرحاً أليماً.

وهنا أعود للصراع الايديولوجى الذى دار فى الحزب بين التيار اليمينى الممثل فى أعضاء حزب (الراية) السابقين وخاصة قيادتهم من جانب وبقية أعضاء الحزب من جانب آخر، والذى استعملت فيه كل الأسلحة اللامبدئية والخروج على القواعد التنظيمية السليمة.

فعندما جاءنا أول بيان من الخارج يصف النظام الناصرى بأنه دولة الاحتكار وشبه الاحتكار وكانت القيادة الشرعية فى الخارج ممثلة فى أبو سيف يوسف المنتخب أميناً عاماً للحزب قبل الاعتقال ومعه نبيل صبحى ومحمد سالم وإسماعيل المهدوى ونسيم يوسف الذين نجحوا فى الافلات من الضربة الأولى، تم توصيف السلطة بأنها سلطة رأسمالية الدولة الاحتكارية. وساد هذا الفكر صفوف غالبية الحزب (أى أعضاء ع.ف السابقين وغالبية أعضاء الموحد المتبقين داخل الحزب) وللحقيقة والتاريخ يجب أن نذكر هنا الوقائع التالية : قضاء الدكتاتورية الناصرية على النظام البرلمانى فى سوريا بعد الوحدة وعمليات القبض الشرسة على المعارضين السوريين وخاصة الشيوعيين (قتل فرج الله الحلو تحت التعذيب واختفاء جثته وقيل إنها أذيبت فى الأحماض)، وغزو بنك مصر والبنك الأهلى لسوريا، وموقف النظام الناصرى من الثورة العراقية ومساعدة الشواف فى محاولة قلب النظام الجديد، والتواطؤ مع السياسة البريطانية إزاء مشكلة الكويت التى لم تكن بريطانيا قد خلقتها بعد كإمارة ودولة مستقلة وكان يطالب بها عراق الثورة. وأخيراً وليس آخراً تصريح عبد الناصر الشهير بأن المعركة مع الاستعمار قد انتهت! كل هذا يفسر إلى حد ما الخطأ اليسارى الذى وقع فيه الحزب وغالبية أعضائه فى توصيفه للنظام. (ولنا عودة إلى هذا الموضوع عندما أتناول باقتضاب شديد تحليلى للنظام الناصرى). ولكن عندما انقلبت السياسة الناصرية تحت ضغط الأزمة العارمة التى نتجت عن التخلى عن السياسة الوطنية السابقة وبوادر الانفصال فى سوريا وبدأت سياسة التأميمات والتحول الذى أسمته الناصرية بالتحول الاشتراكى وإصدار القوانين التى لبت بها مطالب كان الشيوعيون أول من طالبوا بها وسجنوا واعتقلوا بسببها، غيرت أغلبية عضوية الحزب موقفها وانتصر معنوياً التيار اليمينى داخل الحزب وكذلك فريق المنقسمين خارجه الذى بدأ يجذب من جديد بعض عناصر الموحد المهتزة التى كان قد فقدها منذ الانقسام وراجت نظرية المجموعة الاشتراكية سيئة السمعة.

فى شهر ابريل ١٩٦٢، وكان الحزب لم يغير بعد سياسته، أفرج عنى وخرجت من معتقل الواحات بعد محاولة شكلية من قبل المباحث لحملى على استنكار الشيوعية ورفضتها بالطبع. وكان هذا الإفراج بناء على أمر شخصى من عبد الناصر. روى لى الحادث الزعيم الجزائرى محمد خيضر الذى قتل فى مدريد بعدها بسنتين أو ثلاث. بدأت القصة بأننى تعرفت فى سنة ١٩٥٣ على زعيمين (محمد خيضر وآية أحمد) هربا من الجزائر ولجأ إلى القاهرة. وقامت زوجتى بترجمة كتيبات لجبهة التحرير الجزائرية، من اللغة الفرنسية إلى اللغة الانجليزية وترجمت لهما أنا فى عدة مناسبات بعض الرسائل والمطبوعات إلى اللغة العربية وربطتنا علاقات ودية وحميمة مع أسرتيهما. وعندما استقبلوا مع بن بيلا فى القاهرة استقبال الأبطال المنتصرين بعد الإفراج عنهم من السجون الفرنسية طلب بن بيلا من عبد الناصر فى أول فرصة سانحة، الافراج عنى. وأمر فوراً هذا الأخير أمام بن بيلا ومحمد خيضر الذى كان يحضر المقابلة، وزير الداخلية زكريا محيى الدين حينذاك، بالهاتف، أن يطلق سراحى فوراً، وهكذا كان! بعد خروجى من المعتقل أحسست على الفور أن العداء للنظام بعد هذا التغيير الكامل لسياسته ينبع من الفئات البرجوازية المتوسطة والكبيرة وأن تأييد الخطوات الجديدة عارم بين الفئات الشعبية، وبعد مرور شهرين تمكنت من إرسال تقرير مكتوب بالخط الصغير على ورق البفرة إلى سجن الواحات أصف فيه الأوضاع الجديدة وأنصح بتغيير سياسة الحزب إزاء النظام.

وعندما أفرج عن جميع الرفاق عام ١٩٦٤ لم أنتظم فى صفوف الحزب من جديد، من ناحية لأنه لم يطلب منى ذلك ومن ناحية أخرى لأن الأوضاع كانت هلامية داخل الحزب. وجاء الحل. وعندما سئلت عن رأيى بخصوص الحل، لم أكن متحمساً له ولكن لخجلى الشديد للمرة الثانية لم أعارضه بل وافقت عليه.

تقييمى الصريح والمخلص للمنظمات الشيوعية الثلاث :

إن هذا التقييم بالطبع تقييم سياسى لا يقصد منه مس أشخاص معينين فى كرامتهم أو نضاليتهم. فاحترامى شديد لرفاقى الشيوعيين الذين صمدوا فى أغلبيتهم الساحقة لكل صنوف الضغط والتعذيب والإغراء أثناء نضالهم كشيوعيين. فهناك أمثلة باهرة للشجاعة رأيتها بعينى رأسى، أو سمعت عنها من قبل رفاق اختلفت معهم سياسيًا تمامًا أو جزئيًا فى جوهر الفكر أو بخصوص أمور ثانوية، كثيراً ما كانوا من منظمات غير (ع.ف) مثل فخرى

لبيب وبطولته أمام اللواء همت عندما هدده فخرى بمحاكمته لأفعاله الإجرامية دون اكتراث بالمدافع الرشاشة المصوبة إليه. أو عندما وقف أمام شنيشن مأمور السجن وهدده علنياً أمامنا وأمام عسكر الحراسة بأننا سنثور لو مس واحداً منا بالضرب مرة أخرى. أو بطولات اسماعيل صبرى عبد الله ومحمود العالم ونبيل صبحى وغيرهم كثيرون في ظروف الضرب والتعذيب فى أوردى أبو زعبل، وكذلك فوزى حبشى والبكار فى معتقل الفيوم. وكان الشهداء من جميع الصفوف مثل شهدى عطية وفريد حداد ورشدى خليل ومحمد عثمان، كلهم سقطوا تحت ضربات الديكتاتورية العسكرية رغم كونها وطنية.

الهوية المصرية : أول أمر أتناوله هو موضوع خبرته في حياتي الشخصية وهو الهوية المصرية والارتباط بشعب مصر. وقال مثلا الرفيق يوسف درويش فى شهادته فى كتاب شهادات ورؤى «الجزء الثانى» أنه عند بداية تنظيم المنظمة التى أنشأوها عرضوا على رفاق أجانب قدامى لهم تاريخ فى النضال البقاء إذا أرادوا فى هيئة سميت بالمر حتى يتعلموا اللغة العربية ويمكن قبولهم بعد ذلك فى التنظيم. وأعلم أن صادق سعد عندما دخل كلية الهندسة لم يكن يعرف العربية جيداً ولكنه بقدرته الدوبة على العمل الصبور تعلمها جيداً بحيث كان يكتب مقالات فى الفجر الجديد ويؤلف كتبًا مثل «فلسطين فى مخالب الاستعمار» بلغة عربية سليمة تمامًا. وفى هذا الأمر المقارنة بهنرى كورييل ساطعة وهو الذى لم يكتب سطراً واحداً باللغة العربية وكانت تترجم له كتاباته من الفرنسية، ومع ذلك لم ير هو أو اتباعه مانعًا من أن يتزعم ح.م. ثم حدتو بوصفه القائد المفترض لثورة شعب لا يعرف لغته.

الإحساس بنبض المجتمع المصرى : منذ ثورة ١٩١٩ حتى عام ١٩٥٥ وبصفة خاصة عام ١٩٥٦ وتأميم قناة السويس عندما دعم عبد الناصر قيادته الوطنية وأزاح الوفد من هذه المكانة، احتل حزب الوفد مكانة خاصة فى قلب وعواطف الشعب المصرى الوطنية والديمقراطية. ورغم معاهدة ١٩٣٦ سيئة السمعة ورغم دخول عناصر شبه اقطاعية كثيرة فى قيادته وميوعة مواقفه الوطنية وتهادنه فى المدة الأخيرة مع السراى الذى كان يعاديه فى المرحلة الأولى، ظل الوفد يحتل المكانة الأولى عند الشعب وينجح بالأغلبية الساحقة من مقاعد البرلمان فى كل الانتخابات الحرة نسبيًا التى أجريت فى مصر بحيث كان يقال : إذا رشح الوفد حجراً لنجح! لذا كانت طليعة العمال، مع الاحتفاظ بهويتها الطبقية، فى تحالف دائم مع الطليعة الوفدية وهى الجناح اليسارى للوفد وتسعى لجذب الجماهير الشعبية الوفدية

الواسعة وإبعادها بالتدريج عن هيمنة القيادة الوفدية المتهادنة دون اعتبار هذه القيادة العدو السياسي الأول. ومن ناحية أخرى إذا وضعنا جانبًا الأحزاب الأخرى كالسعديين والاحرار الدستوريين والكتلة التي لم يكن لها أية شعبية تذكر لم يبق في الساحة إلا الاخوان المسلمين وحزب أحمد حسين الاشتراكي (مصر الفتاة ثم الحزب الوطني الاسلامي).

وقد ارتبط الإخوان المسلمون بالاستعمار وحلفائه - السراي وكبار ملاك الأرض - منذ نشأة حركتهم في الاسماعيلية حيث كانوا منذ ذلك الوقت يبنون جوامعهم بتبرعات شركة قناة السويس الفرنسية - الانجليزية. وحتى عام ١٩٣٩ كان عدوهم الأساسي هو الوفد، يحاربونه بشعاراتهم ضد النظام البرلماني والحزبي باسم الأصولية الاسلامية. وكانت حكومات الأقلية تساعدهم وتؤيدهم بشتى الطرق. بعد الحرب احتل هؤلاء المكانة الأولى في عداوتهم. بل حدث في فترة ١٩٥١ تواطؤ بين العناصر الوفدية اليمينية التابعة لسراج الدين وبين الإخوان ضد الطليعة الوفدية والشيوعيين. وبالإضافة إلى عدم وضوح موقفهم إزاء القضية الوطنية والاستعمار البريطاني كانوا بتعصبهم الديني الموجه ضد الاقباط يرفضون تماما شعار الثورة الوطنية في ١٩١٩ «الدين لله والوطن للجميع». ومن جانب آخر ازدادت في هذه الفترة قوة جناحهم المسلح الذي استخدم في صدامهم مع القوى الديمقراطية في بورسعيد في ٦ يوليو ١٩٤٦ البنادق والقنابل! لذا اكتسبت حركة الاخوان المسلمين كل قسمات الأحزاب الفاشية الساعية للسلطة. ويصف جيداً كتاب «الإخوان المسلمون في الميزان» الذي ألفه عبد الرحمن الناصر وكان على ما أعتقد عضوا في منظمة الشرارة، كل هذه الأمور.

أما حزب أحمد حسين «مصر الفتاة - الحزب الوطني الاسلامي - الحزب الاشتراكي» فتوجهاته الفاشية منذ نشأته ومواقفه المتعاطفة مع دول المحور تحت شعار «أعداء اعدائنا هم أصدقاء لنا» معروفة للجميع. وموقف هذا الحزب مثله مثل الاخوان المسلمين هو معاداة الحزبية والنظام البرلماني، كما أنه مثله مثل الاخوان المسلمين مرة أخرى يعمل على تحويل معاداة الشعب المصري للصهيونية وتضامنه مع الشعب الفلسطيني العربي الشقيق إلى معاداة عنصرية دينية ضد اليهود! كل هذه القسمات تدمغ حزب أحمد حسين أيضًا بالفاشية.

وكان موقف الفجر الجديد وطليعة العمال واضحًا ومحدداً وثابتًا منذ البداية وهو معاداة كاملة للحزبين والوقوف مع الطليعة الوفدية والوفد عامة ضدهما (رغم تذبذب مواقف الوفد والطليعة الوفدية إزاء حزب أحمد حسين عام ١٩٤٥) أما حدتو فكان موقفها من الإخوان متذبذبًا حسب الظروف، تعاديهم عندما يعتدون على قواها مثل فترة اللجنة الوطنية وتتفق

معهم فى فترات عداء حدتو للوفد حيث لم يكن لحدتو سياسة ثابتة مبدئية إزاء حزبى الوفد والإخوان. أما بالنسبة للحزب الاشتراكى فكانت سياسة حدتو الدائمة هى السعى للتحالف معه. وعلى عكس ذلك وضع حزب الراية منذ نشأته سياسة تحالفات واضحة تماما. فالإخوان وأحمد حسين عضوان فى الجبهة الشعبية التى يدعو حزب الراية لتشكيلها، والوفد هو العدو الذى يجب إضعافه وابعاد الجماهير الشعبية عن نفوذه. وظل حزب الراية على هذا الموقف حتى بعد الانقلاب العسكرى ضد النظام الملكى واستبعاد الوفد عن الحكم نهائياً.

الهوية الطبقية : دعمت المجموعة التى شكلت فيما بعد (ط.ع) وأصدرت مجلة الفجر الجديد مبدأ استقلالية الطبقة العاملة وارتبطت بأبرز ممثلى هذا الاتجاه فى الأوساط العمالية مثل محمود العسكرى ومحمد العسكرى ومحمد يوسف المدرك وطه سعد عثمان، وكانت ترى أن القيادة العمالية يجب أن تنبع طبيعيا من أحشاء الطبقة العاملة. ولذا عندما تشكلت اللجنة العمالية للتحرر الوطنى من ثمانية أعضاء من بينهم الثلاثة المذكورون أعلاه كان الباقون عمالا، ويوسف درويش أحد أعضائها وصدرت (الضمير) لسان حالها. وكان الهدف المرجو هو أن تكون هذه اللجنة هى النواة التى يتشكل منها الحزب الشيوعى. وأتذكر أننى قرأت ليوسف درويش مقالا فى الضمير تحت أسم خيرى محمود ينهيه بما يلى :«إن حركتينا تتقابلان : حركة العمال التى لا تثق إلا فى قيادتها الذاتية وحركة الطلبة التى لا تثق فى القيادات القديمة». ولكن هذه المحاولة فشلت لأسباب مختلفة ليس مجال مناقشتها هنا.

ومثل العمال جزءًا هامًا من عضوية طليعة العمال منذ البداية كما مثلوا أيضًا نسبة هامة من قيادة المنظمة حتى اللجنة المركزية والمكتب السياسى. وأذكر دون تأكيد أن محمد بدر وفؤاد عبد المنعم العاملين كانا عضوين من بين ستة أعضاء فى المكتب السياسى لحزب (ع.ف).

وكانت الحركة المصرية أيضًا على اتصال بقادة نقابيين منذ وقت مبكر مثل محمد شطا وسيد سليمان الرفاعى، ولعبت دورًا هامًا فى دعم الحركة النقابية المستقلة، وكادت حدتو أن تنجح فى انشاء الاتحاد العام للنقابات لولا إعلان الأحكام العرفية فى يناير ١٩٥٢ بعد حريق القاهرة. ولكن فى رأيى كانت حدتو تستخدم نفوذها فى الطبقة العاملة كوسيلة وأداة لدعم نفوذها هى كهيئة سياسية لا للتأكيد على قيادة الطبقة العاملة فى المجتمع. وأبرز دليل على ذلك هو الخط السياسى لمنظمة حدتو المسمى «خط القوات الوطنية الديمقراطية» الذى يميع قيادة الطبقة العاملة وحزبها فى وسط جبهة هلامية يقودها «وطنيون».

ومن المناسب أن أذكرٌ هنا بحادث إرسال محمد يوسف المدرك كمندوب الطبقة العاملة المصرية إلى مؤتمر النقابات العالمي والذى كان قد انتخبه ممثلو ٨٠٠٠٠ عامل تحملوا بقروشهم نفقات سفره والمناورات والأساليب الدنيئة التى استخدمتها الحركة المصرية لإعاقة سفره، وإرسال دافيد ناحوم الموظف فى مصرف على ما أعتقد كمنافس له لمجرد أنه من عناصرها.

أما حزب (الراية) فكانت علاقاته الفعلية بالطبقة العاملة ضعيفة جداً، ورأيى هذا قائم على ما شاهدته فى المعتقل إذ كانت الأغلبية الساحقة من الكوادر الشيوعية معتقلة ولم يكن من بينها إلا عدد قليل جداً من العمال ذوى الارتباط بحزب الراية.

الهوية العربية والقضية الفلسطينية والعدو الصهيونى :

كان موقف (ط.ع) من الصهيونية واضحاً منذ اللحظة الأولى : معاداتها كحركة مستعمرة تستخدمها منذ البداية الحركة الصهيونية لفرض اليهود على أرض فلسطين الذى يقطنها سكانها العرب. وكتب صادق سعد كتابه المشهور «فلسطين فى مخالب الاستعمار» عام ١٩٤٧ وهو على حد علمى أول كتاب ماركسى عربى عن القضية الفلسطينية. وفى هذه المناسبة من الطريف أن أذكر الحادث التالى : بينما كان الصراع الايديولوجى العنيف دائرا فى المعتقل عام ١٩٦٠ ويتهم عدد من أعضاء حزب (الراية) بأسلوب يفتقد المبدئية والأخلاقيات الشيوعية تماماً أحمد صادق سعد بأنه صهيونى لأنه من أصل يهودى، وصل إلى المعتقل فى الساعة الثامنة مساء الشاعر الفلسطينى وزعيم الحزب الشيوعى فى غزة معين بسيسو وعدد من الرفاق الفلسطينيين. وكانت الزنازين مقفلة علينا وقبل أن يدخل فى الزنزانة صاح معين بسيسو بصوت مرتفع : أريد أن أحيى صادق سعد. وعندما عرف فى أى الزنازين كان صادق سعد، قال له وتفصلهما القضبان وبصوت عال : أحييك وأشكرك على كتابك العظيم!

وعندما وافقت الأمم المتحدة فى اكتوبر ١٩٤٧ على تقسيم فلسطين بناء على اقتراح جروميكو المندوب السوفييتى وافقت جميع الأحزاب الشيوعية فى العالم وفى البلاد العربية والمنظمات الشيوعية فى مصر، وإن كان على مضض، على هذا القرار فيما عدا طليعة العمال. وظلت طليعة العمال معترضة حتى شهر ابريل ١٩٤٨. واضطرت ط.ع. إلى تغيير موقفها حيث كان بقاؤها على نفس الموقف فى ظل ظروف ١٩٤٨ يعنى انفصالها عن الحركة الشيوعية العربية والعالمية. وفى تقديرى أن الموقف السوفييتى كان مبنياً على عاملين.

الأول هو أن توازن القوى في العالم وعلى أرض فلسطين كان لا يسمح بحل أفضل بالنسبة للفلسطينيين. والتقدير السوفيتي سليم من هذه الناحية، ومجرى التاريخ قد أثبت ذلك تماما. أما العامل الثاني فهو التصور السوفيتي الانتهازي بأن وجود حركة ثورية يهودية على أرض فلسطين يمكن في ظروف سيطرة حكومات رجعية وعميلة على الشعوب العربية، أن يدفع بالحركة الثورية ضد الامبريالية في الشرق الأوسط إلى الأمام، متجاهلين الطبيعة الاستعمارية الملازمة لدولة اسرائيل منذ نشأتها والتي سوف تدفعها بسرعة إلى أحضان الامبريالية.

أما حدتو التي كان يترأسها كورييل حينذاك فقد قبلت هذا القرار فوراً وبلا اعتراض، بل وكأن كورييل كان ينتظر بفراغ الصبر الضوء الأخضر للاندفاع في هذا الاتجاه. ولم يكن هذا الموقف غريباً على الحركة المصرية إذ أن موقف كورييل من الصهيونية لم يكن كامل الوضوح. فهو لا يعتبر استيطان اليهود في فلسطين استيطاناً استعمارياً، بل تطالب الحركة المصرية منذ ١٩٤٥ بحق تقرير المصير للمستوطنين اليهود (وهذا الموقف شبيه بتأييد المطالبة بحق تقرير المصير للمستوطنين الفرنسيين في الجزائر أثناء حرب التحرير الجزائرية، هذا الموقف الذي لم يجرؤ أحد على المطالبة به!!) بينما في نفس هذه الفترة كانت الحركة الوطنية والشيوعية في البلاد العربية وفي مصر تطالب بوقف الهجرة المتدفقة على أرض فلسطين. ومن المعروف أيضا معاداته لرابطة مكافحة الصهيونية التي شكلتها الشرارة قبيل الوحدة مع الحركة المصرية. كما كان يعبر عن مخاوفه من أن يتحول الهجوم على الصهيونية إلى معاداة السامية واليهود!! ومن المعروف مثلاً أنه كان ينصح الشباب اليهودي الذي يريد مهاجرة مصر بأن يذهب إلى اسرائيل كي يلعب دوره الثوري هناك، متناسياً أن الدور الأساسي الذي سوف يقوم به هؤلاء القادمون الجدد على أرض ليست أرضهم هو دور المستعمر بغض النظر عن النيات والنوايا. ويمكن القول بأن كورييل إلى جانب افتقاده الهوية المصرية كان يفتقد إلى حد أبعد الهوية العربية – وليس هذا على الاطلاق بسبب كونه يهودي الديانة أصلا، بل بحكم ايديولوجيته التي يمكن أن نستنتجها من تصرفاته، والقائمة على الاعتقاد بأنه يمكن أن ينشط الانسان المناضل كشيوعي مكتفياً بالانتماء إلى الهوية الأممية دون أن ينتمي إلى أرض معينة أو إلى شعب محدد. وهنا ينبغي أن يكون واضحاً أنني لا أدعي أن حدتو كان لها نفس سياسة كورييل في هذا المجال، ومع ذلك فكانت هناك مفارقة ملفتة للنظر. فبينما كانت أصابع كثيرة تشير إلى عدم الوضوح التام لموقف كورييل من الفكر الصهيوني وإلى عدم وضوح عدائه المطلق المبدئي لدولة اسرائيل بصفتها دولة قائمة على الفكر الصهيوني (ولا أتحدث هنا عن

الموقف من عمل عدوانى معين أو موقف سياسى معين لاسرائيل كانت تقف ضده قوى عديدة ومن بينها بعض التيارات الصهيونية الديمقراطية فى اسرائيل نفسها)، وكانت حدتو على عكس ذلك تقف مواقف وطنية معادية للصهيونية لا شائبة عليها، استمرت العلاقات مع ذلك أوثق ما تكون بين الطغمة الكورييلية داخل تنظيم حدتو التى كانت دائمة السيطرة على قيادة حدتو - وبعدها بعد فترة قصيرة على قيادة الموحد - وبين كورييل ومجموعته فى باريس.

وأخيراً فهذا مرتبط فى رأيى بعدم وضوح الهوية، فعلى العكس من العشرات أو أكثر من المناضلين الشيوعيين الأجانب الذين هاجروا مصر وانضموا كل فى البلد الذى ذهب إليه إلى الحزب الشيوعى فى هذا البلد، لم ينجح كورييل فى الانضمام سواء إلى الحزب الشيوعى فى ايطاليا التى أقام فيها فترة أو فى فرنسا التى بقى فيها أكثر من عشرين عاماً. إننى أقول لم ينجح وأنا لا أعرف الأسباب ويجوز أنه لم يرد ووضع الشروط لانضمامه والتى دفعت هذه الأحزاب إلى رفض قبوله فيها.

الانحراف اليمينى : ويتمثل هذا الانحراف الذى ساد حدتو، أساساً، فى «خط القوات الوطنية الديمقراطية» الذي كان عاملاً من عاملين (الثانى فى رأيى هو أسلوب القيادة) تسببا فى انفجار حدتو فى ١٩٤٧ إذ رفض عدد من المناضلين هذا الخط السياسى اليمينى المفروض عليهم بأسلوب دكتاتورى. واستمرت حدتو على نفس هذا الطريق بابتداع فكرة «المجموعة الاشتراكية» عام ١٩٦١ التى وضعت أساساً نظرياً لفكرة حل الحزب والانضمام إلى الحزب الناصرى.

أما حزب الراية فبعد عدة سنوات من اليسارية المتطرفة انقلب رأساً على عقب وأوغل فى اليمينية حتى فاق فى هذا الطريق حدتو ذاتها. ألم يصف فؤاد مرسى قطاعا من البورجوازية المصرية كان متربعًا على كراسى السلطان أثناء الناصرية بأنه «بورجوازية من نوع جديد تسعى إلى الاشتراكية»!! كما دافع عن النظرية الانتهازية اليمينية النابعة أصلا من الدبلوماسية السوفييتية وهى «الطريق غير الرأسمالى» الذى من المفترض أن البلدان حديثة الاستقلال حاولت اتباعه. وهذا الفكر هو الأساس الثانى لنظرية حل الحزب والانضمام إلى الاتحاد الاشتراكى.

وللأسف الشديد لم يفلت تيار (ع.ف.) من الانجراف فى هذه الموجة اليمينية العارمة ووافقت قيادته على جريمة حل الحزب دون مقاومة تذكر.

الوحدة بين الشيوعيين : هناك عدد كبير من الشيوعيين المصريين ظلوا يعتبرون الوحدة

حلا رئيسيًا للتفتت والضعف وضياع الجهود في مهاترات لا فائدة منها. وفي رأيي يمكن تقسيم قادة الدعوة إلى الوحدة إلى قسمين شديدى الاختلاف : قسم يدعو إلى الوحدة للسيطرة على الحركة الشيوعية وفرض فكره الانتهازى عليها، وهذا القسم هم قادة حدتو أو بالأحرى ما أسميه أنا بالهيكل الكوريلى المرتبط بمجموعة باريس. والقسم الآخر يتشكل من أعضاء المنظمات الصغيرة التى شكلت فى البدء الحزب الموحد فى ١٩٥٥ والذين اعتبروا أن التوحيد هو الخطوة الرئيسية الأولى والشرط النمو والنجاح. وانحاز حزب (الراية) قيادة وقاعدة إلى هذا الرأى بعد اتضاح فشل سياسته بالكامل فى ١٩٥٦ وهو الذى كان شعاره «لاشيوعية خارج الحزب». أما طليعة العمال فلم تكن مبدئيا ضد الوحدة ولم ترفع أبدا شعارا مثل «لا شيوعية خارج طليعة العمال» بل كان عدد هام من اعضائها من أصول تنظيمية أخرى وبعضهم أعضاء فى القيادة مثل حسن صدقى وحسين طلعت وثريا أدهم .. ولكنها كانت تدعو إلى وحدة تدريجية مبنية على نضال مشترك وتنسيق بين القواعد وترفض الوحدة الفوقية بين القيادات. إلا أنها تخلت عن هذا الموقف فى مؤتمرها فى ١٩٥٧ رغم عدم حماس القيادة أو القاعدة وخاصة القطاع العمالى فيها، باستثناء الطلبة.

وفى رأيى الآن أن الوحدة كما تمت كانت وبالا على الحركة الشيوعية بشكل عام، وعلى حزب (ع.ف) بشكل خاص.

ولاشك – فى رأيى –أن ع.ف لو لم تدخل الوحدة وتفتح أحشاءها للضربات البوليسية لتمكنت من الصمود كما صمدت فى فترة ١٩٥٢ – ١٩٥٦ ولو لم تستبعد من قيادتها ثلاثة من افضل الرفاق هم يوسف درويش وصادق سعد وريمون دويك ذوى الخبرة الكبيرة والحنكة السياسية لما انجرت بهذه السهولة إلى السياسة اليمينية التى أدت إلى حل الحزب. ولكن لا فائدة من سياسة لو .. لو.. ومن التصور الوهمى للتاريخ على هذا الاساس!

أساليب القيادة والاخلاقيات النضالية : تميزت قيادة طليعة العمال بتمسكها الشديد باخلاقيات نضالية نظيفة تحوز على احترام الرفاق الآخرين والجماهير المحيطة بها. وكان مفهوم سليم للمركزية الديمقراطية يطبق على الدوام وكل شئ مطروح للنقاش دون استثناء، والخضوع التنظيمى للأغلبية وللمستوى الأعلى يطبق بحذافيره. ولم تكن هناك أية عبادة لفرد أو لأفراد. وتبدو هذه الصورة مثالية، ولكن بكل أمانة هذه هى خبرتى داخل (ط.ع) و (ع.ف) وما سمعته من رفاق آخرين كانوا أعضاء فى (ط.ع) لمدة طويلة. لذا لم يحدث أبدا أى انقسام فى (ط.ع) وذلك رغم تغير الأمين العام للتنظيم مرتين وكان فى أول الأمر صادق سعد ثم أحمد

رشدى صالح ثم استقر نهائيًا على ابو سيف يوسف حتى وحدة يناير ١٩٥٨.

أما حزب الراية فكان يتميز بعبادة الفرد سواء بالنسبة للقائد الأعلى أمين عام الحزب الرفيق خالد أو بالنسبة لقادة الراية عامة. ومن المضحك المبكى أن خلايا الراية كانت تنهى اجتماعاتها بهتاف «عاش الرفيق خالد ألف عام». وفى رأيى أن تلقين القاعدة مفاهيم من هذا النوع أمر مبك بالنسبة لمناضلين ثوريين.أما المضحك فهو أنه عندما ظهر هذا الشعار كان خالد على رأس تنظيم لا يزيد عدده عن مائتى أو ثلاثمئة عضو ولم يقم بأى عمل بارز يلفت نظر الشعب المصرى أو الطبقة العاملة المصرية بأى شكل من الأشكال. ونقطة أخرى أريد التحدث عنها تتعلق بالموقف النضالى والامتثال للقرارات الحزبية. فكانت قيادة الحزب خارج المعتقل قد كلفت أعضاء اللجنة المركزية والأعضاء ذوى الصفة الجماهيرية بأن يعلنوا انتماءهم للحزب أمام المحكمة. ولم يخضع أعضاء القيادة من الراية لهذا القرار، واعتقادى أنهم بموقفهم هذا كانوا يأملون فى أن تكون أحكام السجن أخف. ولكن هذا لم يحدث إذ حكم مثلاً على فؤاد مرسى واسماعيل صبرى عبد الله بعشر سنوات مثلهما مثل يوسف درويش وحلمى يس اللذين دافعا بشجاعة عن عضويتهما فى الحزب. ونقطة أخيرة لابد من ذكرها وهى متعلقة بالحياة العامة داخل المعتقل. فكان التقليد المتبع هو أن كل ما يرسله أهالى المسجونين والمعتقلين يوزع بنسبة مائة فى المائة على جميع المعتقلين خاصة أن غالبية هؤلاء لم يتمكن أهلهم من ارسال أى شئ. ولا يعقل فى نظرى أن يدخن أحد الرفاق سجاير مثلاً أو يأكل حلوى آتية من الخارج ويمتنع رفاق آخرون لأن الأهل لم يرسلوا إليهم شيئًا! إلا أن جزءًا من قيادة الراية رفض هذا التقليد الرفاقى المبدئى بشتى الحجج الواهية ونوقشت نسبة المشاركة واتفق على حل وسط هو ٧٠٪!!

وقبل أن أبدأ تقييمى العام للمنظمات الثلاث أعيد وأكرر احترامى الشديد العام لرفاقى الشيوعيين فى مصر بغض النظر عن أصولهم التاريخية. فقد تحملوا سنوات السجن بشجاعة باسلة ولم يسقط من بينهم فى استنكار الشيوعية أو الخيانة إلا نسبة ضئيلة جداً. ويمكننا أن نقول دون أدنى مبالغة أن الحركة الشيوعية الوسيطة - أى التى ظهرت فى بداية الاربعينيات وانتهت بحل الحزبين القائمين تحت الترقب المتعاطف من قبل الاتحاد السوفيتى- دفعت ثمنا باهظًا دفاعًا عن مبادئها إذ أن جميع كوادرها دون استثناء تقريبًا دخلوا السجون والمعتقلات فى ظروف أحكام عرفية دائمة لم ترفع عن البلاد إلا لفترات متقطعة لا تزيد فى مجموعها عن عدد من السنوات يقل عن أصابع اليد الواحدة.

المنظمات الثلاث :

أشهر المنظمات إعلاميًا هى حدتو، واشتهرت بانقساماتها العديدة طوال تاريخها، وانتهت هى بالانقسام عن الحزب الذى اشتركت فى تشكيله عندما اكتشفت أنها لن تتمكن من السيطرة عليه. اتبعت منذ نشأتها وعلى الدوام سياسة يمينية ابتداءً بخط القوات الوطنية والديمقراطية، ومرورًا بتأييدها لحركة الجيش لمدة أشهر طويلة حتى بعد وضوح خطها الدكتاتورى وانتهاء بنظرية المجموعة الاشتراكية. وكان لحدتو نشاط جماهيرى واسع خاصة بين الطلبة واتصالات واسعة مع قيادات عمالية عدد منها انتهازى وصولى وعدد آخر يتميز بالنضالية والتفانى. قامت بمبادرات عديدة نذكر منها دورها فى لجنة العمال والطلبة، وتربية الكادر الذى أنشأ الحزب الشيوعى السودانى، واشتراكها فى حركة الضباط الأحرار، ودورها البارز فى حركة السلام. أسوأ ما يميز حدتو هو أسلوب القيادة التآمرى والعمل على أساس الغاية تبرر الوسيلة. والغاية هى البقاء فى مراكز القيادة والوسيلة هى كل الأساليب من كذب واحتيال وسرقة ورشوة بالمال والمناصب والوظائف. وكل الذين اشتركوا فى حدتو وانقسموا عليها، وكل الذين تعاملوا ثم اختلفوا معها، يشهدون على هذه التصرفات. وكل هذه الأخلاقيات والتقاليد من تراث كورييل ومجموعته فى باريس ومصر. إن الهيكل الكورييلى الذى نشأ مع الحركة المصرية وسيطر على الدوام على حدتو ثم بعد فترة قصيرة على الموحد هو كما وصفه احد الرفاق الصديق أديب ديمترى «سرطان الحركة الشيوعية المصرية».

أما تنظيم طليعة العمال ثم حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى المشهور باسم ع.ف. فهو أقل المنظمات الثلاث شهرة خاصة فى المجال الدولى، وإن كان أكبرها عددًا حسب الأرقام المقدمة فى الوحدة. وبرز منذ الإعداد لنشأته السعى الدوب لتمصير الفكر الماركسى والارتباط الوثيق بالطبقة العاملة. وكانت له منذ البداية مبادرات ناجحة، إذ لعب دورًا رئيسيًا فى إرسال يوسف المدرك مندوبًا إلى مؤتمر النقابات العالمى ممثلاً حقيقيًا لعمال مصر، وأصدر مجلة الفجر الجديد أول مجلة سياسية فى مصر تتكلم باسم الماركسيين، كما كان وراء إصدار مجلة الضمير أول مجلة عمالية تتحدث باسم التيار الاستقلالى فى الحركة النقابية. ولعبت طليعة العمال دورًا رئيسيًا فى نشأة الطليعة الوفدية. وبرزت من بين المنظمات الشيوعية الأخرى كالمنظمة الوحيدة التى اعترضت على قرار الامم المتحدة لتقسيم فلسطين. وتميزت عن المجموعات التى شكلت الحزب الموحد وعن حزب الراية بموقف متوازن من حركة الجيش مما

سمح لها بالمبادرة السياسية في أعوام ١٩٥٥ و١٩٥٦ و ١٩٥٧ دون الوقوع بشكل عام في انحرافات يمينية أو يسارية. لم تحدث في طليعة العمال أية انقسامات، وتميزت في تصرفاتها بالحذر الشديد لحماية الكادر والتريث الزائد عن لزومه في تجنيد الأعضاء الجدد مما أساء إلى المنظمة وعطل وكبح توسعها.

وكان كثير من المطبوعات يقرأ بصعوبة وكثيرا ما يتوقف عن الصدور حسب خبرتي الشخصية. وكانت طليعة العمال فقيرة تفتقد مصادر للتمويل تضمن لها موارد مالية كافية أو ثابتة. وكان من أهم نواقصها في رأيي عدم الاهتمام الكافي بالنظرية الماركسية الكلاسيكية والاكتفاء بالنظرية المصمرة في أغلب الأحيان مما يعرقل الحرية الفكرية والمبادرة السياسية للأعضاء. وانتهى حزب (ع.ف) بدخوله الوحدة على عكس المبادئ التي طالما دافع عنها، وانجرف مع بقية الشيوعيين في الانتهازية اليمينية التي أدت إلى حل الحزب.

الحزب الشيوعي المصري المشهور بحزب الراية كان أصغر وأضعف الاحزاب الثلاثة عند الوحدة التي انخرط فيها بعد هزيمة سياسية مطلقة اتضحت تماما في بداية ١٩٥٦ (الفشل الكامل لنظرية فاشية النظام الناصري ولفكرة الجبهة مع الإخوان المسلمين والقبض على الغالبية الساحقة من كوادره). تشكل من عناصر عادت من فرنسا بعد الدراسة وترأست الحزب الجديد مثل فؤاد مرسي وإسماعيل صبري عبد الله، وعناصر خرجت من حدتو مثل سعد زهران وداود عزيز وعناصر مثل مصطفى طيبة آتية من منظمات أخرى مثل القلعة والعصبة الماركسية، وتميز حزب الراية بعبادة الفرد، الشئ الذي كان منتفيًا في جميع المنظمات الأخرى فيما عدا ما يتعلق بكورييل الذي كان أتباعه يعتبرونه زعيمهم الروحي GOUROU. كما تميز بانتفاء مزاولة الديمقراطية في صفوفه. وكانت ارتباطات الراية بالطبقة العاملة ضعيفة جدًا ويبرز ذلك بوضوح في المعتقل إذ كان عدد العمال من الراية قليلاً جدًا وبخاصة إذا قورن بعدد العمال من أصل ع.ف. أو حدتو. ومرة أخرى - على عكس المنظمات الأخرى - كانت متفشية في صفوفه وعند بعض قادته رائحة العنصرية الكريهة ضد اليهود، ومعاداته الجذرية للوفد في الوقت الذي كان يسعى للتحالف مع الاخوان المسلمين وحزب أحمد حسين الاشتراكي، ونظرية فاشية الحكم الناصري ثم انقلابه إلى سياسة يمينية في كيفية تأييد النظام، ونظريته بأن شروط القومية العربية اكتملت ... كل ذلك دلالة على الانتهازية الفكرية المتفشية في قيادة الراية. وطبعًا لا يمكننا أن ننسى ما قاله الزعيم الايديولوجي الكبير عندما تحدث عن «بورجوازية من نوع جديد تسعى إلى الاشتراكية».

كما لايمكن أن ننسى أيضًا الدور الذى لعبته عناصر من قيادة الراية قبل الخروج من المعتقلات للإعداد لحل الحزب!! ورأيى الصريح بالرغم من تقديرى تماما للتضحيات الجسيمة التى تكبدها أعضاء الراية أنه إن لم يوجد هذا التنظيم وأخطاؤه المستمرة والجسيمة لكان ذلك أفضل للحركة الثورية فى مصر.

تقييم النظام الناصرى :

وأخيرًا أعود هنا لتقييمى للنظام الناصرى باقتضاب شديد. كانت مصر عام١٩٥٢ حبلى بالثورة، ثورة شعبية ديمقراطية معادية للاستعمار ولأعوانه في الداخل، السراى وكبار ملاك الأراضى وكبار الرأسماليين الاحتكاريين. ولكن الشعب المصرى كان يفتقد القيادة القادرة على إنجاز هذه المهمة ولذا تمكنت مجموعة من الضباط الوطنيين من اختراق التحصينات الهشة التى كانت تشكلها الدولة وهى على وشك الانهيار، والقيام بانقلاب عسكرى أطاح بالحكم الملكى كخطوة أولى. واحتضنته منذ البداية الإمبريالية الأمريكية. وإذا تتبعنا مسار النظام الناصرى نلاحظ أنه سار على خط أحمر يسعى إلى استقلال مصر السياسى والاقتصادى، ويتميز بعدم الثقة فى الجماهير الشعبية رغم محاولاته الدوبة لنيل تأييدها وثقتها. وبحكم التوازن الداخلى (مصر حبلى بالثورة، والطبقات الحاكمة غير قادرة على الانفراد بالسلطة، والطبقات الشعبية غير مؤهلة أو قادرة على الاستيلاء على السلطة) والتوازنات الدولية (أولاً بين الامبريالية الأمريكية الصاعدة حينذاك والامبرالية البريطانية المحتلة، وثانيًا بين الامبريالية كمعسكر من جانب والاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الأخرى من جانب أخر) تمكن النظام الناصرى الدكتاتورى العسكرى حتى النهاية، من تحقيق قدر هام من الحرية والقدرة على التحرك والمناورة فى الداخل وفى الخارج، واتبع سياسة تبدو متناقضة ولكنها تسعى على الدوام رغم الأخطاء إلى الاستقلال السياسى والاقتصادى للوطن، مصر، والإبقاء فى نفس الوقت على التوازن الطبقى القائم منذ استيلائه على السلطة، وبعد القضاء على أعوان الاستعمار وبقايا الاقطاع. فقد انتقل من التعاون مع الامريكان (انتشار النقطة الرابعة فى كل المجالات، والتعاون الصريح مع وكالة المخابرات المركزية) ثم الاتفاق مع بريطانيا على معاهدة ١٩٥٤ (التى ربطتنا بتركيا وعن طريقها بحلف الاطلنطى) إلى رفض حلف بغداد ثم الذهاب إلى مؤتمر بندونج، ثم جاءت صفقة الأسلحة التشيكية والاعتراف بالصين الشعبية وتأميم قناة السويس ردًا على سحب التعهد الامريكى البريطانى بتمويل

السد العالي. وفي أوج الدعاية القومية العربية وقمة شعبية عبد الناصر بعد انتصار السويس تمت الوحدة مع سوريا بأسوأ الشروط، إذ تحولت سوريا من بلد يتمتع شعبه بقدر ما من الديمقراطية إلى دولة تحكمها دكتاتورية عسكرية لم تتخلص سوريا منها حتى اليوم! وعندما قامت ثورة العراق انحاز عبد الناصر إلى الشواف ضد قاسم والحزب الشيوعي ثم وقف ضد مطلب العراق لضم منطقة الكويت (التي لم تكن دولة مستقلة بعد بل كانت محمية بريطانية) ووقف البطل الوطني عبد الناصر إلى جانب بريطانيا في هذه المعركة. ثم أدلى بتصريحه الشهير والخاطئ:«إن المعركة مع الاستعمار قد انتهت». وبعد فترة من الذبذبة في المجال الدولي وانفصال سوريا عاد النظام الناصري إلى سياسة التقارب مع الاتحاد السوفيتي.

أما في الداخل فقد حل الأحزاب وفرض بدلها نظام الحزب الواحد، هيئة التحرير ثم الاتحاد القومي ثم الاتحاد الاشتراكي، وقضى على استقلالية الحركة النقابية العمالية والمهنية، وعلى كل المنظمات الديمقراطية في المجتمع المدني مثل منظمات الحركة النسائية والمنظمات الطلابية في الجامعات. وقد سعى النظام الناصري منذ البداية إلى تدعيم الصناعة واستند حتى عام ١٩٦١ على البورجوازية الاحتكارية والكبيرة والمتوسطة وقمع الحركة العمالية المطلبية خدمة للبورجوازية، وكان للنظام علاقات خاصة ببنك مصر الاحتكاري وبشركاته (وهذا الوضع إلى جانب عدم تفهم الطبيعة البونابرتية والاستقلال النسبي للنظام بالنسبة للبورجوازية يفسر خطأ تحليل قيادة الحزب في ١٩٥٩ عندما وصفته بأنه يمثل الاحتكار وشبه الاحتكار، كما يفسر ضياعها وانجرافها إلى اليمين بعد تأميمات ١٩٦١/١٩٦٢). وجاءت تأميمات ١٩٦١/١٩٦٢ وتخفيض الحد الأعلى للملكية الزراعية وتشكيل الاتحاد الاشتراكي والقوانين الانتخابية الجديدة ونسبة ٥٠٪ للعمال والفلاحين في مجلس الأمة وبشكل عام كل ما سمي حينذاك بالقوانين الاشتراكية والتي حصل العمال والفلاحين من خلالها على فوائد جمة، نقول جاء كل هذا للخروج من مأزق انفصال سوريا ومحاولة لدفع سياسة التصنيع دفعة قوية إلى الأمام.

إن توصيفي للنظام الناصري هو أنه نظام بونابرتي وطني يمثل البورجوازية القومية استند إلى دكتاتوريته العسكرية لفرض إرادته على الجماهير والفوز بقدر معين من الاستقلال عن البورجوازية القومية التي خدمها في نهاية المطاف، كما استغل التوازن الطبقي في الداخل والتوازن الدولي في الخارج للتحرك بقدر كبير من الحرية أكسبه احتراماً وتأييداً كبيرين في داخل مصر وفي المجال العربي وعلى النطاق الدولي.

المنظمات الشيوعية منذ العشرينات إلى عام ١٩٦٥

رقم المسلسل	اسم المنظمة	المؤسسون	عام التأسيس
١	الحزب الاشتراكى المصرى		١٩٢١
٢	الحزب الشيوعى المصرى		١٩٢٢
٣	منظمة تحرير الشعب	مارسيل اسرائيل	١٩٤٠
٤	مجموعة التروتسكيين	جماعة الخبز والحرية (أنور كامل، جورج حنين، رمسيس يونان)	١٩٤٠
٥	الحركة المصرية للتحرر الوطنى(حمتو)	هنرى كورييل	١٩٤٣
٦	إسكرا	هليل شوارتز	١٩٤٣
٧	منظمة القلعة	مصطفى هيكل، عبد العزيز بيومى وآخرون	١٩٤٣
٨	اتحاد شعوب وادى النيل	تنظيم ماركسى اسلامى، انقسام من الحركة المصرية (عبد الفتاح الشرقاوى وآخرون).	١٩٤٦
٩	الطليعة الشعبية للتحرر (طشت)	المجموعة التى اشتهرت باسم الفجر الجديد وطليعة العمال والتى تكونت فى نهاية الثلاثينيات وقد تحولت إلى منظمة (يوسف درويش، صادق سعد، ريمون دويك).	١٩٤٦
١٠	طليعة الاسكندرية	انقسام من الحركة المصرية(د. حسونة من الحزب الأول وعدلى جرجس)	١٩٤٦

١١	العصبة الماركسية	انقسام من الحركة المصرية (فوزى جرجس وعبد الفتاح القاضى، وبعض أعضاء من الحزب الأول).	١٩٤٦
١٢	الطليعة المتحدة	إسكرا + منظمة تحرير الشعب.	١٩٤٦
١٣	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)	الحركة المصرية + اسكرا + بعض أعضاء من تحرير الشعب	١٩٤٧
١٤	حركة تحرير الشعب (حتش)	(راؤول مكاريوس، عبد الرحمن عزت، حسين توفيق طلعت) وانضمت إلى الطليعة الشعبية للتحرر.	١٩٤٧
١٥	التكتل الثورى	انقسام من الحركة الديمقراطية (-شهدى عطية الشافعى).	١٩٤٧
١٦	الجبهة الاشتراكية	فتحى الرملى	١٩٤٧
١٧	القاعدة المشتركة	لم تكن تنظيمًا ولكنها شكل لإدارة الحوار الفكرى حول ما أثير من خلافات فى قاعدة حدتو.	١٩٤٨
١٨	حدتو العمالية الثورية	انقسام من الحركة الديمقراطية (عبد المعبود الجبيلى، أحمد شكري سالم، مارسيل اسرائيل، عبد الرحمن الناصر).	
١٩	النجم الأحمر	بقايا عمالية ثورية (عدلى جرجس وأخرون).	١٩٥٠
٢٠	صوت المعارضة	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيدنى سلامون، أوديت حزان وسعد الطويل وعنايات المنيرى وفاطمة زكى).	١٩٤٨
٢١	نحو منظمة بلشفية	انقسام من الحركة الديمقراطية (ميشيل كامل، أحمد شوقى	١٩٤٩

		الخطيب وسعد رحمى وآخرون).	
٢٢	نحو حزب شيوعى مصرى (نحشم)	انقسام من حدتو (هليل شوارتز، وبقايا إسكرا منهم أحمد فؤاد، إنجى أفلاطون، ابراهيم المانسترى).	١٩٤٩
٢٣	المنظمة الشيوعية المصرية (م ش م)	صوت المعارضة بعد المؤتمر (أوديت حزان، وسليم سيدنى)	١٩٤٩
٢٤	جبهة التحرير التقدمى (جات)	(عصام الدين جلال وأحمد طه واسماعيل جبر وصلاح سلمى ويحيى المازنى).	١٩٤٩
٢٥	اتحاد النضال الثورى	ابراهيم عرفة	١٩٤٩
٢٦	حدتو الشيوعية	معظم قادة الحركة المصرية، (فؤاد عبد الحليم محمد يوسف الجندي، وآخرون).	١٩٤٩
٢٧	الحزب الشيوعى المصري (الراية)	(فؤاد مرسى، اسماعيل صبرى عبد الله مع سعد زهران داوود عزيز، مصطفى طيبة) والثلاثة منشقون عن حدتو وانقساماتها.	١٩٤٩
٢٨	اتجاه النضال الثورى	ابراهيم عرفه	١٩٤٩
٢٩	نواة الحزب الشيوعى المصرى	امتداد العصبة الماركسية بعد تحللها (فوزى جرجس) واتجاه النضال الثورى	١٩٥٠
٣٠	طليعة الشيوعيين المصريين	بقايا التكتل الثورى (فخرى لبيب وآخرون وبعض من خرجوا من حدتو).	١٩٥٠
٣١	وحدة الشيوعيين	ابراهيم فتحى وآخرون	١٩٥٠
٣٢	الحركة الديمقراطية للتحرر	انقسام من الحركة الديمقراطية	١٩٥٣

	الوطنى (التيار الثورى)	(سيد سليمان رفاعى).	
٣٣	الحزب الشيوعى المصرى الموحد	الحركة الديمقراطية+ نواة الحزب الشيوعى + طليعة الشيوعيين+ النجم الأحمر + التيار الثورى.	١٩٥٥
٣٤	طليعة الشعب الديمقراطية	عناصر رافضة لوحدة الموحد من النواة وغيرها من التنظيمات (فوزى جرجس)	١٩٥٦
٣٥	حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى	الطليعة الشعبية للتحرر بعد اعلانها كحزب والمعروفة بطليعة العمال	١٩٥٧
٣٦	الحزب الشيوعى المصرى المتحد.	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصرى (الراية).	١٩٥٧
٣٧	الحزب الشيوعى المصرى (حزب ٨ يناير)	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصرى(الراية) + حزب العمال والفلاحين	١٩٥٨
٣٨	الطليعة الشيوعية (ط.ش)	طليعة الشعب الديمقراطية + وحدة الشيوعيين ثم خرجت منها وحدة الشيوعيين.	١٩٥٨
٣٩	الحزب الشيوعى المصرى	حزب العمال والفلاحين، الحزب الشيوعى المصرى (الراية) وعناصر من الموحد بعد الحزب الواحد.	١٩٥٨
٤٠	الحزب الشيوعى المصرى (حدتو)	اعضاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .	١٩٥٨
٤١	نواة الحزب الشيوعى المصرى (الجديدة).	بقايا الطليعة الشيوعية خارج المعتقلات بعد تحلل الطليعة فى الواحات، (رمسيس لبيب)	١٩٦٢

٥٠	لجنة التنسيق الثلاثية		
٥١	طليعة الشعب + وحدة الشيوعيين		
١٠٠	اللجنة الوطنية للطليعة والعمال		
١٠١			
١٠٢			
١٠٣	الاتحاد العام للعمال المصريين		
١٠٤	اتحاد الفلاحين		
١٠٥	اللجنة الوطنية لرجال الجيش		
١٠٦	الشبية المصرية للدفاع عن السلام		
١٠٧	لجنة الدفـاع من تأمـيم شـركـة قناة السويس بباريس		
١٠٨	لجنة الانتخابية العامة		
١٠٩	اللجنة التحضرية للمؤتمر الوطنى لعمال النسيج وملحقاته بالقاهرة ووضعه		
١١٠	الاتحاد العام للعمال		
١١١	الجبهة الوطنية الديمقراطية فى مصر		
١١٩	جهة العمال للمقاومة الشعبية ببورسعيد		
١٢٠	لجنة المقاومة الشعبية		
١٢١	الجـهة المتـحـدة للمـقـاومـة الشـعـبـيـة ببورسعيد		
١٢٢	اللجنة السـودانيـة لمقـاومـة الاسـتـعـمـار لجهبة المقاومة لسنتين		
١٢٣	جهة المقاومة الشعبية المتحدة ببورسعيد		
١٢٤	هاتا شاجا..؟		

المؤسسون فى لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

أحمد نبيل الهلالى	عبد الخالق الشهاوى
إسماعيل عبد الحكيم	فاطمة زكى
بشير السباعى	فتح الله محروس
خالد حمزة	فخرى لبيب
داود عزيز	فوزى حبشى
رمسيس لبيب	مبارك عبده فضل
سعد الطويل	محمد الجندى
سمير أمين	محمد فخرى
سيد عبد الوهاب ندا	محمود أمين العالم
شكرى عازر	نجاتى عبد المجيد
طه سعد عثمان	

ويتعاون مع اللجنة فى عملها أ. د. عاصم الدسوقى، د. عماد أبو غازى، والسادة الباحثون بشير السباعى -صلاح العمروسى- مصطفى مجدى الجمال- محمود مدحت- حنان رمضان خليل

شهادات
نشرت فى الأجزاء السابقة

أحمد الجبالى
أحمد خضر
ثريا إبراهيم
ثريا شاكر
جنيفيف سيداروس
حلمى ياسين
خالد حمزة
رزق مكارى
رشاد الملاح
رمسيس لبيب
سعاد زهير
سعد الطويل
سعيد مصطفى
سيد عبد الوهاب ندا
شريف حتاتة
عبد العال البسطاويسى
عدلى برسوم
عريان نصيف
فخرى لبيب
فرنسيس كيرلس
فوزى حبشى
مارسيل تشيريزى
متولى محمد بحر
محروس سليمان حنا
محمد الجندى
محمد سيد أحمد
محمد عبد الواحد
محمد فخرى
وداد مترى
نجاتى عبد المجيد
يوسف درويش